دولة ليبيا
جامعة مصراتة – كلية الآداب
قسم: التاريخ

بحث بعنوان:

الحياة الاجتماعية والثقافية في الدولة الغزنوية

"351-582هـ/962-1186م"

مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة:

ابتسام سليمان اسميو

إشراف الدكتور:

مفتاح يونس الرباصي

العام الجامعي
2013-2014م





دولة ليبيا
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مصراتة
كلية الآداب
مكتب الدراسات العليا والتدريب والمعيدين

"اعتماد رسالة الإجازة العالية (الماجستير)"

إعداد الطالبة// **ابتسام سليمان عمر اسميو**، والمعنونة:

(الحياة الاجتماعية والثقافية في الدولة الغزنوية 351 – 582هـ/ 926 – 1186م)

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الإجازة العالية (الماجستير) في التاريخ.

لجنة المناقشة //

1- أ.د. مفتاح يونس الرباصي .   أستاذ   (مشرفاً ومقرراً)   التوقيع : ....

2- أ.د. بشير رمضان التليسي.   أستاذ   (عضواً خارجياً)   التوقيع : ....

3- أ.د. صالح الصادق السباني.   أستاذ   (عضواً خارجياً)   التوقيع : ....

نوقشت هذه الرسالة يوم الأربعاء الموافق : 2014/6/18م
العام الجامعي (2013 – 2014م)

يعتمد // ....
د. عمر مصطفى النعاس
مدير مكتب الدراسات العليا والتدريب والمعيدين
بكلية الآداب مصراتة



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيم

سورة الحجرات، الآية (13)

الإهداء

أهدي ثمرة عملي هذا إلى
عائلتي التي تحملت معي
مشاق ومتاعب فترة الدراسة

الفهرس

المقدمة

انطلق المسلمون من شبة الجزيرة العربية لنشر الإسلام في بقية المناطق، فشملت فتوحاتهم عالماً واسعاً من الأقاليم والأجناس والشعوب واللغات المختلفة من أوسط آسيا شرقاً إلى المحيط الأطلس غرباً. وعلى الرغم من محافظة الدولة على وحدتها خلال عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية، فإن هذه الأقاليم الواسعة التي توحدت برباط الإسلام، لم تتوحد في قومياتها أو بيئاتها أو لغاتها، فقد ظل كل إقليم له قوميته وشعبه وبيئته ومصالحه الخاصة به. ثم جاءت الدولة العباسية التي قامت بمساعدة الموالي والفرس والتي حملت بين طياتها بذور الانفصال، فقد نتج عن انتهاج الدولة العباسية للمركزية الإدارية في بغداد أعباء ثقالاً على خلفاء الدولة العباسية، وذلك باتساع أملاك الخلافة وتعددها، مما أدى إلى ظهور حركات المعارضة والعصيان التي عبرت عن الدولة ذات النزعة الإقليمية في معظم الولايات خاصة الشرقية، مما اضطرها إلى اللجوء إلى إتباع سياسة اللامركزية في الحكم مما أدى إلى ازدياد الحركات الانفصالية فتم تشكيل دول منفصلة عن الدولة العباسية لا تربطها بها سوى التبعية الاسمية فقط على الرغم من أن هذه الاستقلالية في المشرق أضرت بوحدة الدولة الإسلامية سياسياً، إلا أنها قامت بدور إيجابي في نشر الإسلام فيما وراء الحدود الإسلامية في آسيا والهند كما أدى التنافس بينها إلى ازدهار الحضارة الإسلامية في تلك الجهات وظهور مراكز حضارية زاهرة فيها يؤمها العلماء والأدباء مثل نيسابور وغزنة وبخارى من الدول المستقلة في المشرق الإسلامي التي تتجلى فيها الصورة المبهرة التي استطاعت في فترة قصيرة من الزمان أن تغير مجرى الأحداث في المشرق، وتفتح صفحة تاريخية مزدهرة في مناطق الدولة الغزنوية (351-582هـ/962-1186م) التي قادت حركة جهادية لنشر الإسلام امتدت لتشمل الجزء الشمالي من شبه القارة الهندية من جهة الشرق، والعراق من جهة الغرب وخراسان وطخارستان وقسماً من بلاد ما وراء النهر من جهة الشمال وسجستان من الجنوب، فأصبحت من أقوى الدول في المشرق الإسلامي، الأمر الذي جعل الخلافة العباسية تعترف بجهود هذه الدولة ودورها في نشر الإسلام في أقاصي الشرق.

أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية دراسة الموضوع في إن الدولة الغزنوية تُعد من أعظم الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية في المشرق الإسلامي والأثر الذي تركته في تلك البلاد يشهد بذلك، لذا كان من الضروري إلقاء الضوء على البعض من إنجازاتها الحضارية وتناولها بالبحث والدراسة، ومن جهة أخرى فإن التعمق في دراسة الدول المستقلة بالمشرق قد يكشف عن بعض القضايا المهمة في تاريخ العالم الإسلامي خاصة فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية والثقافية وأثرها على جوانب الحياة في بلاد ما وراء النهر وبلاد فارس، والمناطق الواقعة شرقها، خاصةً إذا عرفنا أن الدول المستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق لم تنل حقها من عناية الباحثين واهتمام الدارسين، وحتى وإن حظيت بالدراسة فكان التركيز على الجانب السياسي دون الجوانب الحضارية.

وتأتي هذه الدراسة في إطار التعريف بتراث وتاريخ وحضارة السلف أمراً لابد منه إذا أردنا العودة إلى المجد الذي صنعته الحضارة الإسلامية، الأمر الذي يبعث الثقة بأنفسهم وحضارتهم لإعادة وتجديد تلك الحضارة وطرد السلبية والانهزامية أمام الحضارة الغربية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على الحياة الاجتماعية والثقافية وإثبات أن الجهود العسكرية التي عُرفت بها هذه الدولة لم تحل دون مساهمتها الحضارية، وقدرتها على نشر المظاهر الحضارية في المناطق التي سيطرت عليها.

أهم المصادر والمراجع:

اعتمدت هذه الدراسة على العديد من المصادر والمراجع وسنذكر فيما يلي نماذج من هذه المصادر والمراجع.

1-كتاب(تاريخ اليميني- أبي نصر محمد بن عبد الجبار العتبي ت.482هـ/1089م). سمي كتابه باليميني نسبةً إلى لقب السلطان محمود

الغزنوي، ويعتبر من أشهر مؤرخي الدولة الغزنوية، حيث أرخ لعهد سبكتبين وابنه السلطان محمود، فقد كان كاتباً للسلطان محمود وسفيره ويوضح العتبي في كتابه بداية تأسيس الدولة الغزنوية، ويُعد هذا الكتاب من أهم المصادر لدراسة تاريخ هذه لدولة على الرغم من أنه ركز على الجانب السياسي.

2-كتاب تاريخ البيهقي- أبوالفضل محمد بن الحسن البيهقي (470هـ/1077م) عمل صاحب هذا الكتاب فترة في ديوان الرسائل لمدة تسعة عشر عاماً أيام السلطانيين (محمود الغزنوي وابنه مسعود) ولاشك أن هذا الاتصال المباشر بسياسة الدولة أتاح للبيهقي أن يكون يُحكم تحرير الرسائل ويحسن فهم معانيها بِحكم معاصرته للسلاطين والوزراء، كتاب البيهقي مُلم بجميع الجوانب في الدولة الغزنوية وقد تضمن الكتاب معلومات من النظم الإدارية والمالية والسياسية ورسوم قصر الخلافة والعادات والتقاليد بشكل مفصل لا يتوفر في كتب التاريخ الأخرى بحسب إطلاع الباحثة.

أما بالنسبة لكتب المراجع فكان من أهم ما تم الاستفادة منه:-

1. كتاب (الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي) للمؤلف: عصام لدين عبد الرؤوف الفقي.
2. كتاب (تاريخ المسلمين وحضارتهم في آسيا الوسطى وبلاد القوقاز) للمؤلف: محمد عبد العظيم أبو النصر. تناول فيه المؤلف الحياة الاجتماعية في الدولة الغزنوية مع التعريج على الجانب الثقافي والعمارة.
3. كتاب (في تاريخ الدول الإسلامية المشرقية المستقلة من الخلافة العباسية) للمؤلف: إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا، وقد استفادت الدراسة من هذا الكتاب في الجانب التأسيسي (السياسي) للدولة بالإضافة إلى تناول الجانب الحضاري بشيء من الاختصار، غير أن من الواضح أن للكتاب ميول شيعية أثرت على رأيه في الدولة الغزنوية وانجازاتها.

منهج البحث:

لقد اعتمدت في هذه الدراسة على استخدام المنهج التاريخي القائم على سرد الأحداث والوقائع، وعلى المنهج الوصفي القائم على وصف الملابس وبعض المناسبات الاجتماعية، كما اعتمدت على المنهج التحليلي القائم على تفكيك الحادثة التاريخية، وذلك من أجل التوصل إلى تكوين نظرة شاملة للمظاهر الحضارية لهذه الدولة، ووفقاً للمنهج المتبع قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد، تناولت فيهما دراسة الفترة السابقة لقيام الدولة الغزنوية من حيث تسليط الضوء على الآلية التي أُدخل بها الأتراك في الدولة الإسلامية، ومن ثم وصولهم إلى التدخل في شؤون الحكم، وثلاثة فصول وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع فتناولت في التمهيد الفترة السابقة لظهور الدولة الغزنوية وأهم الإرهاصات التي أدت إلى قيامها وفي الفصل الأول قمت بدراسة بداية الدولة من حيث الموقع والتسمية، وفي الفصل الثاني درست الحياة الاجتماعية في المجتمع الغزنوي من حيث عناصر السكان وطبقات المجتمع، والعادات والتقاليد بما فيها الملابس والطعام والمناسبات الاجتماعية كالزواج وحفل الختان والاحتفالات الدينية الإسلامية، والفارسية، والهندية، أما الفصل الثالث، فتم فيه دراسة الحياة الثقافية في المجتمع الغزنوي من حيث المراكز الحضارية واللغة والعلوم الأدبية والدينية ودراسة المؤسسات التعليمية في المجتمع الغزنوي.

وجاءت الخاتمة حصيلة النتائج التي توصلت إليها خلال الدراسة ويليها قائمة للمصادر والمراجع التي تم استخدامها في الدراسة.

وفي الختام لا يسعني سوى تقديم جزيل الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور: مفتاح يونس الرباصي، المشرف على هذه الرسالة التي بين أيديكم، وإلى الأستاذ الدكتور: بشير رمضان التليسي، والأستاذ الدكتور: صالح الصادق السباتي على تحملهم مشاق السفر لمناقشة عملي المتواضع، كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من ساعدني وساندني ولو بكلمة لاستكمال هذا العمل.

والله ولي التوفيق

الباحثة

التمهيد

أ- العباسيون والاستعانة بالعناصر غير العربية.

ب- ظهور الدول المستقلة.

ج- بداية الغزنويين في عهد الدولة السامانية.

أ- العباسيون والاستعانة بالعناصر غير العربية:

قامت الدولة الإسلامية في بدايتها على أُصول عربية خالصة، وقد بَذل المسلمون في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم–، ومن بعده عصر الخلفاء الراشدين، وعهد الدولة الأموية جهداً كبيراً لنشر الدين الإسلامي ورفع رايته في مختلف أصقاع البلاد، سواءً كانت عربية أو أعجمية، فوصل الإسلام إلى شمال أفريقيا وبلاد الأندلس في الغرب، وإلى الصين والسند بعد فتح بلاد فارس، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فلم يقتصر الدخول فيه على العرب فقط، بل اعتنق الإسلام أجناسٌ مختلفة من فرس وترك وبربر وغيرهم، وأصبح لها بمرور الزمن دوراً بارزاً في أحداث الدولة الإسلامية.

إن الدّارس في تاريخ الدولة الإسلامية لا يلاحظ الدور البارز لهذه العناصر الجديدة الداخلة في الإسلام إلا في العهد العباسي، فقد حضي عهد الدولة العباسية بالعديد من التغيرات والتطورات في مختلف المجالات، سواءً كان ذلك في الجانب السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الحضاري، بعد أن قام العباسيون بالقضاء على حكم الدولة الأموية، تولوا القيام بأمور الدولة الإسلامية التي تضم عدة شعوب وأُمم، كان لكل منها أثره في تاريخها، فبعد أن كان أغلب اعتماد بني أُمية على العنصر العربي في إدارة شؤون الدولة الإسلامية، والذي أدّى إلى إثارة المسلمين من غير العرب مما دفعهم للانضمام إلى الجماعات المناهضة لبني أُمية مثل العلويين والعباسيين، فمثل ذلك أقوى العوامل التي أدّت إلى القضاء على الحكم الأُموي، وبعد أن آل الأمر للعباسيين اعتمدوا بشكل كبير على العنصر الفارسي، حيث قامت الدولة على أكتافهم، مما أدى إلى ظهور بعض المؤامرات السياسية كنتيجة لتعصب العرب للعنصر العربي من دون الفرس[1]، من الأمثلة على ذلك ما قام به الفضل بن الربيع ضد البرامكة[*] ثم إثارة الفتن والحروب بين

---

[1] بدر عبدالرحمن بدر: الدولة العباسية، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1995م، ص100-101.

[*] الفضل بن الربيع: اتخذه هارون الرشيد وزيراً سنة 173هـ/789م، وحضي بمكانة عظيمة في عهده، وكان لهُ دور كبير في نكبة البرامكة والصراع بين أبناء هارون الرشيد الأمين والمأمون، توفي سنة 208هـ/831م. ابن الأثير: (عز الدين أبي الحسن علي) الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، 1429هـ/2009م، ج6، ص179- ابن كثير: (عماد الدين أبي الفداء) البداية والنهاية، القاهرة، دار بن الجوزي، 1431هـ/2010م، ج5، ص298.

الأمين والمأمون أبناء هارون الرشيد[1]، والتي أحدثت صراعاً واضحاً بين العرب والفرس، ترأس فيه الأمين وأمه زبيدة – زوج الرشيد- والفضل بن الربيع الحزب العربي، بينما كان الحزب الفارسي يرأسه المأمون – ولي العهد بعد الأمين- والفضل بن سهل[*]، عندما ولي الأمين الخلافة، سعى الحزب العربي إلى تقوية نفوذه وإضعاف نفوذ الفرس، وازداد العداء بين العرب والفرس عندما خلع الأمين أخاه من ولاية العهد، وكان المأمون في ذلك الوقت في خراسان أي في محيط فارس، فشجعوه على محاربة أخيه الأمين[2]، ودارت الحروب بينهما وانتهت بانتصار الحزب الفارسي بزعامة المأمون على الحزب العربي بزعامة الأمين، وقتل الأمين في عام 198هـ/814م[3]، وتولى المأمون الخلافة، وبذلك ازداد نفوذ الفرس وضَعُفَ شأن العرب.

حمل عهد المأمون بين طياته بذرة الانقسام وضعف سلطان الدولة، ولعل ما يذكره الطبري في تاريخه خير دليل على ذلك، فيروي أن المأمون كان بالشام وأن رجلاً من العرب تعرض له، وقال غاضباً أن ازدياد نفوذ الفرس وضعف نفوذ العرب في الجيش الإسلامي "يا أمير المؤمنين انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم خراسان"[4].

توفى المأمون في سنة 218هـ/833م[5]، وتولى الخلافة من بعده أخوه المعتصم، الذي استاء من الصراع الحادث بين الفرس والعرب، ورأى ضرورة استبدالهم بعنصر آخر، لا تكن لديه مطامع الفرس القومية ولا أهواء العرب السياسية[6]، فتخير المعتصم العنصر التركي الذي يحمل هو نفسه بعض صفاتهم في الشجاعة والقوة والبأس والتزامهم بالروح العسكرية، فقد كانت أم المعتصم

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص105-110 – ابن كثير: المصدر السابق، ج5، ص261.

[*] تولى الوزارة في عهد المأمون سنة (198هـ/763م)، وتوفي في سنة (202هـ/817م)، ابن كثير، المصدر نفسه، ج5، ص286.

[2] عصام الدين عبدالرؤوف الفقي: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1420هـ/1999م، ص22.

[3] ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص130.

[4] الطبري (ابن جرير): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر، 1979م، ج6، ص15.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص204.

[6] عصام الدين عبدالرؤوف: دراسة في تاريخ الدولة العباسية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1424هـ/2004، ص174.

تركية الأصل[1]، وتم جلب الأتراك إلى بغداد من بلاد ما وراء النهر، وكانوا رجالاً أشداء يعيشون رعاة وصيادين في هضابهم وجبالهم العالية، لذلك عرف عنهم خشونة الطبع وقوة الشكيمة، وأثرت هذه الحياة في أخلاقهم، لذا برعوا في أساليب الحرب والقتال، وساعدهم اعتناقهم للإسلام وتعلمهم اللغة العربية على الاندماج في مجتمع بغداد[2].

أرسل المعتصم في شراء الأتراك من نواحي سمرقند وفرغانه، حيث كانت توجد أكبر أسواق تجارة الرقيق الأبيض، ثم يلبسهم أحسن الملابس وأثمنها[3]، واستعان بهم في إدارة شؤون دولته في حين أهمل وقلص دور العنصرين العربي والفارسي، وأسند إليهم أعلى المناصب، وقلدهم الولايات الكبيرة وأدرّ عليهم الأرزاق[4] والهبات وفضلهم على سائر جنوده[5]، واستكثر المعتصم من الترك حتى بلغ عددهم ثمانية آلاف رجل، حيث تكونت منهم فرق من الجيش يقودها قادة من الترك، وكانت هذه الفرق في عزلة تامة عن بقية الجيش، وازداد نفوذ الترك في بغداد، وأصبح لهم السلطة والنفوذ فيها، بينما ضعف أمر العرب والفرس.

وقد تضايق أهالي بغداد من ازدياد عدد الأتراك، حيث قال المسعودي: "كانت الأتراك تؤذي العوام بمدينة السلام بجريها بالخيول في الأسواق وما ينال الضعفاء من ذلك، فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لامرأة أو شيخ كبير أو صبي أو ضرير"[6]، وضاقت بغداد بعكسر المعتصم، وتأذى منهم الناس وزاحموهم في دورهم وتعرضوا للنساء فخشي المعتصم أن تحدث فتنة في بغداد بين الجنود الأتراك من ناحية وأهل بغداد العرب والفرس من ناحية أخرى،

---

(1) أحمد أمين: ظهر الإسلام، القاهرة، نوابغ الفكر، 2009م، ج1، ص7.

(2) عصام الدين عبدالرؤوف: الحواضر الإسلامية الكبرى، القاهرة، دار الفكر العربي، 1975م، ص175.

(3) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن): مروج الذهب، تحقيق: محمد مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1986م، ج4، ص63.

(4) السيوطي: تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الله، القاهرة، 1351هـ/1932م، ص223. وحافظ أحمد حمدي: الشرق الإسلامي قبل الغزو المغولي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1420هـ/2000م، ص21. عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص176.

(5) المسعودي: المصدر السابق، ج4، ص66. وانظر: حسن إبراهيم حسن، وعلي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، القاهرة، د.ن، 1358هـ/1939م، عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص176.

(6) المسعودي: المصدر السابق، ج4، ص70.

فقام ببناء مدينة سامراء سنة (220هـ/835م) ونقل حاضرة دولته إليها، ومكنهم في الأرض وحرص على أن تبقى دماؤهم متميزة، فجلب لهم نساء من جنسهم[1].

وقد كان لهذا العنصر الجديد دورٌ بارزٌ في تاريخ الدولة الإسلامية في انتصار المسلمين على الروم في موقعة عمّورية سنة 223هـ/837م[2]، حيث كانت القيادة العليا في يد الأتراك وعلى رأسهم أشْنَاس.

ازداد نفوذ الأتراك وسيطروا على مقاليد الأمور خلال العصر العباسي الثاني 232-334هـ/846-945م، فكانت أولى النتائج التي ترتبت على دخول العنصر التركي في خدمة الجيش، زيادة نفقات الدولة لكثرة عددهم، وظل نفوذهم في تزايد مستمر بعد وفاة المعتصم سنة 227هـ/842م، حتى أصبح الخلفاء العباسيون لا يملكون من الحكم سوى اسمه[3]، فقد سيطروا على مقاليد الحكم، يُولُّون من يشاءون ويعزلون من يشاءون، بعد أن أبعدوا كل من العرب والفرس، فضلاً عن كونهم ليسوا على وفاق مع بعضهم البعض، وقد كان كل فريق منهم ينحاز لأحد قادته[4]، وهم كثيرو الطمع في الأموال ولا ينقطعون عن تدبير المؤامرات والدسائس[5]، وقد حاول بعض الخلفاء[*] التخلص منهم أو تحجيم دورهم في الدولة الإسلامية إلا أنهم لم ينجحوا في ذلك، بل زادت قوتهم وتفاقم خطرهم، حتى أصبحت الخلافة العباسية في حال يرثى لها، وأصبحوا هم أصحاب القرار والسلطة الحقيقية.

---

(1) المسعودي: المصدر السابق، ج4، ص70. ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص209.

(2) الطبري، المصدر السابق، ج9، ص7. ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص223. وانظر: أحمد أمين، المرجع السابق، ج1، ص9.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص243.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص244.

(5) أحمد أمين، المرجع السابق، ج1، ص14. عصام الدين عبدالرؤوف، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص176.

(*) الخليفة المتوكل سنة 232هـ أي بعد مضي اثنا عشر سنة من قدوم الأتراك، وقد برز في عهده من بين الأتراك إيتاخ، وملك معظم الأمور، فدبر له المتوكل مكيدة فقتله، ولكن هذا لم يضعف من شأن الأتراك في شيء، بل أوغر صدورهم على المتوكل فقتلوه، وهي تعد أول حادثة اعتداء على الخلفاء العباسيين، ولم يكن قتل المتوكل اعتداء على المتوكل وحده بل هو قتل لسلطان كل خليفة من بعده، وكان في قتله حياة الأتراك وسلطانهم. انظر: أحمد أمين، المرجع نفسه، ص14-15. عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص176.

ب- ظهور الدول المستقلة:

يرى بعض المؤرخين أن ظهور الأتراك وازدياد نفوذهم، وتميزهم بالنزعة الاستقلالية، أدى إلى ظهور الدول المستقلة، أو أنهم كانوا سبباً في التعجيل بظهورها، غير أن الدّارس في تاريخ هذه الدولة يجد أن النزعات الاستقلالية قائمة في الدولة وتنتظر فرصة تحقيق مآربها، فالعهد العباسي الأول استمر حوالي مائة عام، تميزت فيه الدولة العباسية بالقوة، فكانت جميع ولايات الدولة تابعة لحكومة بغداد – حكومة مركزية– يحكم فيها الخليفة دولته حكماً مطلقاً، على اعتبار أنه سلطان الله في الأرض، وطاعته من طاعة الله، ويرجع إليه ولاة الولايات في كل أمور الولاية، وطوال هذه الفترة – العصر العباسي الأول– فشلت العديد من الحركات الاستقلالية باستثناء الأمويين في الأندلس والأدارسة في المغرب الأقصى، وفيما عدا ذلك فشلت الحركات الاستقلالية عن الدولة العباسية، مثل حركة المقنع الخراساني[1]، وابن طباطبا العلوي[2]، وإبراهيم موسى[3] وبابك الخرمي[4]،... وغيرهم، فظلت الدولة العباسية خلال تلك الفترة تملك زمام الأمور، وذلك بالخضوع والولاء الديني من قبل رعايا الدولة، فكان ذلك من أهم الأسباب لاستمرارها متماسكة خلال قرن من الزمن.

أما في العصر العباسي الثاني، فلم يعد للحكومة المركزية دورٌ يذكر، بل حلّت محلها اللامركزية، بمعنى أن الخليفة العباسي في بغداد لم يعد صاحب السلطان المطلق في الدولة، ولم يعد لبغداد تلك السيطرة المطلقة التي امتازت بها طوال فترة الدراسة، وبدأت تظهر الحركات الاستقلالية عن بغداد، فاستقلت عن الدولة العباسية بعض الأقاليم التي لا يربطها بالخلافة العباسية في بغداد سوى الخضوع الاسمي المتمثل في الدعاء للخليفة في الخطبة، ونقش اسمه على السكة، وسعي حكامها للحصول على تقليد أو لقب من الخليفة ليكتسب من ذلك اعترافاً

---

(1) ابن الأثير المصدر السابق، ج6، ص19.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص140.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص144.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص152.

بحكمه، ليضفي عليه الشرعية، إضافةً إلى ذلك أن حكام هذه الأقاليم المستقلة كانوا يرسلون إتاوةً للخليفة في كل عام، وانفردوا بحكم أقاليمهم، فكان الوالي أو السلطان أو الأمير على الإقليم لهُ جيش، وميزانية مستقلة، ويحكم حكماً مستقلاً تماماً عن الخليفة في بغداد[1].

إن الدولة التي نحن بصدد دراستها دولة مستقلة قامت في المشرق الإسلامي، ولكنها لم تكن أول دولة تقوم فيه، فقد سبقها ظهور عدة دول منها الدولة الطاهرية (205-259هـ/820-872م)، والدولة الصفارية (254-290هـ/868-903م)[2]، والدولة السامانية (261-389هـ/874-999م)[3]، وسنتناول الحديث عن الدولة السامانية باعتبارها الدولة التي قامت على أنقاضها الدولة الغزنوية (351-582هـ/962-1186م)[4]، وهي موضوع الدراسة.

الدولة السامانية (261-389هـ/874-999م):

تنسب الدولة السامانية إلى أسرة فارسية، وقد اختلفت الروايات التاريخية في تحديد تاريخ اتصال هذه الأسرة بالدولة الإسلامية واعتناقهم للدين الإسلامي، وأغلب الروايات تتفق على أن اتصالهم بالمسلمين تم في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك، عندما استنجد جدهم سامان[*] وهو أحد أعيان بلخ بأمير خراسان وكان يدعى أسد بن عبدالله القسري في مرو، ليساعده في النيل من عدو له كان قد أخرجه من المدينة، فلبى الوالي المسلم طلبه وحماه واهتم بأمره، مما أثار إعجاب سامان بتصرفاته الحسنة ومعاملته الطيبة، فاعتنق الإسلام على يديه، وصارت

---

[1] عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص173-174.
[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص167، ج7، ص90.
[3] المصدر نفسه، ج7، ص132.
[4] المصدر نفسه، ج8، ص322.
[*] سامان: لقب ديني لجد هذه الأسرة (بهرام جور)، انظر: أحمد أمين، المرجع السابق، ج1، ص268، عصام الدين عبدالرؤوف: الدولة المستقلة في المشرق الإسلامي، المرجع السابق، ص41. محمد نصر مهنا: الفتوحات الإسلامية والعلاقات السياسية في آسيا، القاهرة، دار المعارف الإسكندرية، 1990م، ص188.
وهناك من يقول أن سامان قرية بنواحي سمرقند إليها ينسب السامانيين، انظر النرشخي (أبوبكر محمد بن جعفر): تاريخ بخاري، ترجمة وتحقيق: أمين عبدالمجيد ونصر الله الطرازوي، القاهرة، دار المعارف، 1965م، ص86.

أُسرتهُ كلها على الإسلام[1]، وقد سمي سامان ابنه الأكبر باسم الوالي المسلم (أسد)، وكان لأسد أربعة أبناء، هم: نوح، وأحمد، ويحيى، وإلياس، وقد ارتفعت مكانتهم في عهد الدولة العباسية فقد خدم أسد بن سامان في بلاط العباسيين أيام هارون الرشيد، كما رفع المأمون من شأنهم، حين أمر والي خراسان غسان بن عبادة بتوليتهم على بعض الأقاليم، فكان نوح أميراً على سمرقند، وأحمد أميراً على فرغانة، ويحيى على الشاس وأشروسنة، وإلياس على هراة[2]، وعندما ولي طاهر بن الحسين، على بلاد خراسان أقرهم على هذه الأعمال، وكان لأحمد سبعة أبناء[3] اشتهر منهم إسماعيل ونصر فقد ولى الخليفة العباسي المعتمد "نصر بن أحمد الساماني" بلاد ما وراء النهر، وزاد نفوذه وسلطته حتى أنهُ ولي أخاه إسماعيل على بخارى سنة 261هـ/874م[4].

قامت الدولة السامانية على يد نصر بن أحمد في سنة 261هـ-874م وبسط نفوذه على بلاد ما وراء النهر، حيث أرسل الخليفة المعتمد 256-278هـ-م869-891م منشوراً يفوض إليه حكم البلاد الممتدة من شواطئ نهر جيحون حتى أقصى بلاد الشرق، وتكون مستقلة عن حاكم خراسان، وقد سعى السامانيون لتأكيد وترسيخ حكمهم واستقلالهم، وضمنوا الاستمرار بفضل سياستهم وحبهم للاستمرار في شؤون الحكم[5].

عندما توفي نصر بن أحمد الساماني، تولى أمور السامانيين إسماعيل بن أحمد (289-295هـ/892-907م) الذي اتخذ من بخارى عاصمة لدولته

---

[1] إبراهيم عبدالمنعم سلامة أبو العلا، الدولة الإسلامية المشرقية المستقلة عن الخلافة العباسية، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، 2005م، ص182. محمد عبدالعظيم أبو نصر، تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب، القاهرة، شركة نوابغ الفكر، 1430هـ/2009م، ط1، ص92.

[2] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1965م، ج3، ص73.

[3] ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص133. يذكر ابن الأثير أن ولاية نصر بن أحمد الساماني لما وراء النهر، تولاها من جانب الخليفة بعد أن كانت توليته في السابق من قبل عمال خراسان وهذا يدل على ارتفاع مكانة السامانيين.

[4] ميرخون (محمد بن خاوند شاه)، روضة الصفا في سيدة الأنبياء والملوك والخلفاء، ترجمة: عبدالقادر الشادلي، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1981م، ص80.

[5] محمد علي حيدر، الدويلات الإسلامية في المشرق، القاهرة، عالم الكتب، 1974م، ص90، أبو العلا، مرجع سابق، ص188.

وازدهرت في عهده ولاية ما وراء النهر[1]، وكانت الدولة السامانية في عهده تبذل جهوداً كبيرةً في سبيل الدعوة إلى الإسلام ورفع رايته في ربوع البلاد التي تخضع لسيطرتهم، فكانوا يتحينون الفرص لتحقيق هذا الهدف، لذا شنوا حروباً كثيرةً ضد الأتراك، وقد اتخذت هذه الحروب الطابع الديني، فقد جرد إسماعيل بن أحمد سنة 289هـ/892م جيشاً سار به إلى "طراز" وبعد حرب لاقى فيها مشقة شديدة استولى عليها وحول كنيستها إلى مسجد وقرأ الخطبة باسم أمير المؤمنين المعتضد بالله، ثم عاد إلى بخارى بغنائم كثيرة[2].

كما ظهرت الدولة السامانية بمظهر القوة في عهد إسماعيل بن أحمد، حيث قامت الدولة في عهده بدور ملموس في إزالة الدولة الصفارية.

توفي إسماعيل بن أحمد سنة 295هـ/907م، وتولى أمر السامانيين من بعده ابنه أبو نصر أحمد (295-301هـ/907-914م) وكان ذلك في عهد الخليفة المكتفي، الذي أرسل إليه عهدةً بالولاية[3]، ثم قتل هذا الأمير الساماني بعد ست سنوات من توليه الحكم، فخلفه في الحكم ابنه نصر (301-330هـ/912-941م) وقد اقتص من قتلة أبيه[4]، وفي فترة حكمه خرج عليه بعض أفراد البيت الساماني، حيث استقل عمه إسحاق وابنه إلياس بن إسحاق بسمرقند[5]، واستولى ابنه منصور بن إسحاق في العام التالي على بعض مدن خوراسان، غير أن استقلالهم عن الدولة السامانية لم يدم طويلاً، فقد استطاع نصر بن أحمد القضاء على المتمردين واستعادة البلاد التي استقلوا بها بعد حروب دامت زهاء أربع سنوات (302-306هـ)[6].

وبعد وفاة نصر بن أحمد تولى ابنه نوح الحكم (331-343هـ/942-954م) وفي عهده بدء الضعف يسري في أركان دولة بني سامان، فقد طمع فيها

---

(1) الطبري: المصدر السابق، ج1، ص30. ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص254.

(2) أبو العلا: المرجع السابق، ص202-203.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص3.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص38.

(5) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت، ص83.

(6) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص39. بن خلدون (عبدالرحمن محمد)، تاريخ ابن خلدون، بيروت، مؤسسة الأعلمي، 1391هـ-1971م، ج4، ص341. أبو العلا، المرجع السابق، ص208.

الأمراء، فاستقل كل أمير بناحية، غير أن ضعفها اشتد عندما غزا ركن الدولة البويهي منطقة الري واستولى عليها كما استولى على إقليم خراسان، وبذلك انحصر نفوذ السامانيين فلم يتجاوز بلاد ما وراء النهر[1]، وبعد وفاة نوح تولى الحكم من بعد ابنه عبدالملك بن نوح (343-350هـ/954-961م) ولم يستطع الاحتفاظ بأملاك الدولة لصغر سنه فاستقل أمراء الولايات بولاياتهم، وتوفى عبدالملك بن نوح سنة 350هـ/961م وخلفه في الحكم أخوه منصور بن نوح (350-366هـ/961-976م)[2]، وفي عهده ازداد ضعف وانقسام الدولة السامانية، وبعد وفاته خلفه في الحكم ابنه أبو القاسم نوح بن منصور وكان يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً، ولقب المنصور[3]، وفي عهده تمرد عليه اثنان من أكبر قادته[*] سنة (363هـ/993م) واتصلا بشهاب الدولة هارون بن سليمان أيلك المعروف ببغراخان التركي[**]، وأطمعاه في الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر، وقد تمكن بالفعل من دخول بخارى، ولكنه لم يستقر فيها فترةً طويلة فغادرها.

واستعان نوح بن منصور في سنة (384هـ/994م) بالقائد سبكتكين صاحب غزنة لحرب الأمراء الثائرين عليه، وانتصرت جيوشهما قرب هراة[4] على الأمراء الذين استعانوا بدورهم ببني بويه، وفروا إلى جرجان، فاستعاد نوح ولاية نيسابور واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين، ولقبه بسيف الدولة، ولقب أباه (سبكتكين) ناصر الدولة[5]، عاد نوح إلى بخارى، وعاد

---

[1] النرشخي، المصدر السابق، ص137.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص253. ابن كثير، المصدر السابق، ج6، ص284.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص317.

[*] القادة هم: أبو علي بن سيمجور قائد جيوش خراسان، وفائق، انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص48.

[**] بغراخان التركي: هو حاكم البلاد الممتدة من حدود الدولة السامانية شرقاً حتى تتاخم حدود الصين. ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص48.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص49، ميرخواند، المصدر السابق، ص108، السيد أحمد بن رين دحلان، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، القاهرة، مطبعة المدني، 1387هـ/1968م، ج1، ص319.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص50، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج3، ص80، أبو العلا، المرجع السابق، ص228، حمدي عبدالمنعم حسين، دراسات في تاريخ الدولة الإسلامية، الإسكندرية، دار المعارف الجامعية، 1999م، ص316.

سبكتكين إلى هراة، وأقام محمود بنيسابور غير أن هؤلاء المتمردين لم يلبثوا أن انتصروا على محمود بن سبكتكين.

استمر حكم نوح بن منصور إحدى وعشرين سنة، كانت مليئة بالثورات والحروب والفتن الأهلية وتدخل النساء والوزراء في إدارة شؤون الحكم مما أدخل أفراد البيت الساماني في خضم صراعات ومنافسات للوصول إلى سدة الحكم، كل هذا زاد من طمع بني بويه والأتراك في الاستيلاء على أملاك الدولة السامانية[1].

توفي الأمير نوح بن منصور الساماني سنة (ت387هـ/998م) وتولى بعده حكام ضعاف لم يستمروا طويلاً في الحكم، فتولى الحكم ابنه منصور، ومنهم أبو الحارث منصور، ومن بعده أخوه عبدالملك بن نوح (ت389هـ/999م)، وفي عهده انتهت الدولة السامانية، حيث استغل محمود بن سبكتكين الغزنوي اضطراب الأوضاع في الدولة السامانية ووجدها فرصةً للاستيلاء على نيسابور، واستقر ملكه بخراسان وأنهى نفوذ آل سامان فيها وخطب فيها للخليفة القادر بالله العباسي[2]، أما بلاد ما وراء النهر فأصبحت في يد أيلك خان التركي "الأيلخانيون"[*]، حيث قصد بخارى وأظهر المودة والموالاة والحماية لعبدالملك بن نوح، لكنه لم يلبث أن قبض على الأمراء السامانيين ثم على عبدالملك نفسه، وتم حبسه هو وأخوته وعماه وغيرهم من آل سامان.

بهذا زالت وانتهت الدولة السامانية على يد الغزنونيين من جهة وخانات الترك من جهة، وأصبحت كأن لم تغن بالأمس، كدأب الدول قبلها، بعد أن كانت دولتهم قد انتشرت وضمت كثيراً من الأرض من حدود حلوان إلى بلاد الترك بما وراء النهر وكانت من أحسن الدول سيرةً وعدلاً وسياسة[3].

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص54-56.

[2] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج3، ص80. إبراهيم عبدالمنعم أبو العلا، المرجع السابق، ص228. حمدي عبدالمنعم حسن، مرجع سابق، ص318.

[*] الأيلخانيون: يطلق عليهم أيضاً القرخانيون – أو الأيلكخانييون، وذلك نظراً لاتخاذهم لقب (قرخان)، ولقب (إيلك خان)، انظر بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1958، ص72.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص72. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص371.

ج- بداية الغزنويين في عهد الدولة السامانية:

نشأت الدولة الغزنوية في أواخر عهد الدولة السامانية التي كانت تتبع بالولاء الخلافة العباسية في بغداد، فهي تعد إحدى الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية، بعد أن ضعفت سلطة خلفائها نتيجة لاعتمادهم على العنصر الفارسي في المناصب الإدارية في حكمهم من جهة، واعتمادهم على العنصر التركي في الجيش والحرس من جهة أخرى مما أدى إلى حدوث صراع بينهم، كان للأتراك فيه حظٌ وافر، حيث استطاعوا الانفصال عن تسلط الفرس، وتكوين دولة تركية إسلامية مستقلة وهي الدولة الغزنوية، وقد كان ظهور ونشأة الدولة الغزنوية امتداداً لازدياد نفوذ الأتراك في الدولة السامانية المنحدر من أصل فارسي، وكانت دولة آل بويه ترجع إلى نفس الأصل (320هـ/932م) وقد استطاعت أن تسيطر على بغداد وعلى الخلفاء العباسيين سيطرة كاملة فملكت زمام الأمور، وقضت على نفوذ الأتراك في بغداد بعد أن كان لهم دور الصدارة، ولكن لم يقف دور الأتراك عند هذا الحد فاستعان حكام الدول المستقلة بهم في الجيش مما جعل لهم دوراً ونفوذاً فكان ذلك امتداد لعصر نفوذهم في بغداد.

لقد اشتهرت الدولة السامانية بجهادها ضد الترك الوثنيين في وسط آسيا وحملتهم على الانخراط في جيوشها عن طريق نظام تربوي إسلامي عسكري، طبقته عليهم منذ الصغر، ويرجع الفضل للوزير نظام الملك الطوسي في شرح هذا النظام التربوي فهو يذكر في كتابه سياسة نامة وصفاً دقيقاً لهذا النظام الذي وضعه السامانيون لمماليكهم الأتراك، ومن ذلك قوله: "إن مماليك السامانيين كانوا يرقون تدريجياً بناءً على خدماتهم وشجاعتهم وليس اعتماداً على المحسوبية أو الجاه"[1]، فيوضح لنا المراحل التي يمر بها المملوك التركي في الدولة السامانية، حيث تمتد فترة تربيته إلى سبعة أعوام تبدأ بظهور المملوك عند شرائه راجلاً مرتدياً قباء من القطن يسمى (زنداجي) نسبةً إلى مدينة شمالي بخارى التي اشتهرت بالملابس القطنية، وكان يسير وهو في هذا الثوب بجوار سيده الممتطي صهوة جواده، ولم

---

[1] الطوسي (نظام الملك أبي علي حسن): سياسة نامة، ترجمة وتعليق: السيد محمد العزاوي، القاهرة، د.ن، 1975م، ص141.

يكن يسمح له بركوب الخيل لا علانيةً ولا خفيةً فإذا ركب عوقب، فإذا انتهت مدة السنة أخبر (الواثق باشي) الحاجب فيأمر هذا بإعطائه حصاناً تركياً بعنان دون سرج كما يعطي لجاماً وسوطاً، وفي السنة التي تليها يعطي حزاماً يشدّ به وسطه، ثم يمنح المملوك في العام الخامس من خدمته سرجاً ولجاماً مزيناً بالكواكب(*) وسروالاً من القطن المخلوط بالحرير، وبعض الأسلحة التي يعلقها في سرج فرسه، وفي العام السادس من الخدمة يعطى ثياباً ملونة وغالية وفي السنة السابعة يعطى خيمة تستند إلى عمود وتشدّ إلى ستة عشر وتداً كما يمنح ثلاثة من الرقيق ليقوموا بخدمته، ويلقب بلقب "وثاق باشي" أي رئيس جماعة الغلمان ويضع على رأسه قلنسوة(**) من الجوخ الأسود الموشاة بالفضة، كما يرتدي قباءً(***) حريرياً كنجوياً(****)، ويظل المملوك يسمو في الترقي عاماً بعد عام، وتزداد حاشيته تدريجياً إلى أن يصل إلى مرتبة (صاحب الخيل) ثم (حاجب الحجاب)، ورغم هذه المناصب فإن هؤلاء المماليك لا يتلقبوا بألقاب الإمارة، ولا يتولوا أعمالاً كبيرةً كحكم الولايات، أو قيادة فرقة من الفرق العسكرية إلا بعد أن ينضجوا، وحدد السامانيون سنن النضج لمماليكهم بسن الخامسة والثلاثين[1]، فإن كان له من جدارته ومكانته عند الملك ما يهيؤه لمناصب الدولة الكبرى فإنها تمنح له، وتجدر الإشارة إلى أن هذا النظام التربوي الساماني كان الأساس الذي سار على منهاجه بعد ذلك عدد كبير من الدول الإسلامية مثل دولة السلاجقة(*****) الأتراك وأتباعها من الأتابكة والأيوبيين، غير أنه قد تبلور وتحور بشكل راسخ متين زمن دولة

(*) الكواكب "نجوم من المعدن"، إبراهيم عبدالمنعم، المرجع السابق، ص218.

(**) القلنسوة، هي لباس يلاث على الرأس تكويراً "طاقية" أبو الفضل البيهقي، تاريخ البيهقي، ترجمة: يحيى الحشاب، وصادق نشأت، بيروت، دار النهضة العربية، 1982م، ص49. وانظر: صلاح العبيدي، الملابس العربية والإسلامية في العصر العباسي، بغداد، دار الرشيد للنشر، 1980م، ص19.

(***) القباء: هو لباس خارجي يرتديه الرجل "فارسي الأصل"، البيهقي، المصدر نفسه، ص49، صلاح العبيدي، المرجع نفسه، ص237.

(****) حرير كنجويا: نسبة إلى مدينة كنجة في إقليم شيروان على ساحل بحر قزوين وكانت مركزاً لتجارة الحرير، وهي بجمهورية أذربيجان الآن، إبراهيم أبو العلا، المرجع السابق، ص352.

(1) الطوسي، سياسة نامة، المصدر السابق، 141، وانظر: عبدالهادي محمد رضا محبوبة، نظام الملك، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1419هـ/1999م، ط1، ص442-443، وإبراهيم أبو العلا، المرجع السابق، ص351-353.

(*****) لم يكن هذا النظام متبع في الدولة السلجوقية، ولكن نظام الملك الطوسي رأى أن يعمل به من جديد، عبدالهادي محمد رضا محبوبة، المرجع السابق، ص442.

المماليك في مصر والشام، فكان له دورٌ بارز في تقوية القدرة الدفاعية للمسلمين في صد الهجوم المغولي شرقاً والانتصار على الغزو الصليبي غرباً.

خلاصة القول أن الدولة السامانية اتبعت تنظيماً محكماً لحياة الرقيق الأتراك، ظل متبعاً في عهدهم فنتج عن ذلك وصول العنصر التركي إلى أعلى المناصب في دولتهم مما أدى بالتالي -عندما ضعفت الدولة- إلى قيامهم بإنشاء دولة خاصة بهم، وهي الدولة الغزنوية- فكانت لهم بذلك سابقة إقامة أول دولة تركية إسلامية.

الفصل الأول

نشأة الدولة الغزنوية وأبرز حكامها

المبحث الأول : نشأة الدولة الغزنوية

أ- التسمية والأصول

ب- أقاليم الدولة الغزنوية

المبحث الثاني : قيام الدولة الغزنوية

أ- ظهور الغزنويين على الساحة السياسية

ب- أبرز حكام الدولة:

- عهد الأمراء الغزنويين.
- عهد السلاطين الغزنويين.

التسمية والأصول:

أولاً: التسمية:

أُطلق على الدولة الغزنوية العديد من المسيمات التي ورد ذكرها عند المؤرخين وفي كتب الباحثين، منها الدولة المحمودية[1]، ودولة بني سُبُكتكين[2]، والدولة السبكتكينية[3]، والدولة الغزنوية وهو أشهرها، وقد سميت بهذا الاسم نسبةً إلى مدينة غزنة[*] في أفغانستان الحالية الواقعة في سفوح جبال سليمان[4]، وهي قريبة من بلاد الهند الشمالية، فهي تقع على قمة الهضبة التي تشرف على سهولها، مما يجعلها سهلة الاتصال بوديان كابل وقورم، ونهر جمال، فساعد ذلك سلاطين الدولة الغزنوية على تحقيق نجاح غزواتهم في بلاد الهند[5]، واتخذ الغزنويون من هذه المدينة حاضرة لدولتهم، وقد بدأت منها أهميتهم واعتبارهم[6]، وأكسبها ذلك شهرة كبيرة في نهاية القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي)، بعد أن كانت مجرد ولاية نائية ليست بذات قيمة كبيرة تخضع لحكام آل سامان في خراسان وما وراء النهر.

وصف الاصطخري مدينة غزنة فقال: إنها مثل بلدة الباميان لا بساتين لها، ويجري بها نهر "وليس في هذه المدن التي في نواحي بلخ أكثر مالاً وتجارةً من غزنة، فإنها فرصة الهند"[7]، ويقول لسترنج "لم يصل إلينا وصف دقيق وافي لغزنة أثناء حكم الغزنوية خاصةً حين جدد السلطان محمود بن سبكتكين بناءها

---

(1) البيهقي، المصدر السابق، ص2.

(2) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص322.

(3) عبدالمنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، القاهرة، دار العهد الجديد، 1378هـ-1959م، ص81.

(*) غزنة، وتكتب غزنين بصيغة المثنى كما ذكرها المقدسي، وقد ذكر أن استعمال اسم غزنين كان أكثر من غزنة، ولغزنة العديد من الرساتيق والقرى والمدن. المقدسي شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1977م، ص296-297.

(4) عباس إقبال اشتياني، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القلجارية (205هـ/820م-1343هـ/1925م)، تحقيق: محمد علاء الدين منصور، القاهرة، دار الثقافة، 1989م، ص169.

(5) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج3، ص90.

(6) إبراهيم عبدالمنعم أبو العلا، مرجع سابق، ص350-351، عبدالمنعم النمر، مرجع سابق، ص80، سيف الدين الكاتب، أطلس تاريخ العرب والعالم، سوريا، دار الشرق العربي، 1433هـ/2012م، ط5، ص79، أبو نصر، مرجع سابق، ص196.

(7) الاصطخري، أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبدالعال، القاهرة، (د.ن) 1381هـ/1961م، ص232.

وزينها بما غنمه من غزواته في الهند"[1]، ولكن المؤرخ العتبي هو معاصر للسلطان محمود الغزنوي ينفرد بذكره للمسجد الجامع فيها ووصفه وصفاً دقيقاً[2].

ويلاحظ الدارس في تاريخ هذه المدينة أن الشواهد الأثرية عن هذا العهد ضئيلة وقيمتها قليلة، ولعل ذلك يرجع لقلة اهتمام مهد الدولة الغزنوية – أفغانستان– بفتح المجال أمام البحوث الأثرية فقد تعرضت غزنة إلى دمار شامل على يد السلطان علاء الدين الغوري "محرق العالم" ولم ينج شيء من انتقامه عدا قبري السلطان محمود، وابنه السلطان مسعود[3]، وقصر لاشكاري – بازاد– وهو الذي اكتشفه شلومبرجر بالقرب من غزنة[4].

ثانياً: الأصول:

إن السؤال الذي يطرح نفسه عند الاطلاع على بالدولة الغزنوية ما معنى الغزنوية؟ وإلى من ينتمون أو ينتسبون؟

السؤال الأول تمت الإجابة عليه آنفاً، أما الثاني فهو ما سنحاول الوصول إليه، أصول الغزنويين أو بالأحرى أصل مؤسسي الدولة الغزنوية هي دولة إسلامية انبثقت عن الدولة السامانية ذات الأصول الفارسية، ولكن دولة الغزيويين تعد دولة تركية، وهنا يظهر الفرق واضح بين اختلاف الجنسين التركي والفارسي، فالأتراك تورانيون والفرس أو الأفغان إيرانيون، مما قد يحدث لبساً في نسبة الغزنويين خاصةً وأنهم أقاموا دولتهم على أنقاض بني سامان، بينما كانوا في ذات الوقت قادة لجيوشها وولاة على بعض ولاياتها.

فالدارس في تاريخ هذه الدولة يلاحظ أنها تشكل خليطاً أو مزيجاً من الأجناس لم تكن في أي دولة من الدول المستقلة الأخرى، فنجد أن مؤسسيها أتراك

---

[1] كي لسترنج: المرجع السابق، ص387.

[2] العتبي، أبي نصر محمد بن عبدالجبار، اليميني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود الغزنوي، تحقيق: إحسان دنون التامري، بيروت، دار الطليعة، 1424هـ/2004م، ص414.

[3] محمد ناظم: السلطان محمود الغزنوي حياته وعصره، ترجمة عبدالله سالم الزليتني، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2007م، ص29.

[4] كلود كاهن، الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، ترجمة: حسين جواد قبيسي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010م، ص350.

والجيش أغلبه أتراك مع وجود عناصر أخرى مثل الهنود والأكراد والأفغان[1]، ولا ننسى أن لهذا الجيش الغزنوي آليات مختلفة بين ما هو متعارف عليه عند كل من الهنود، والفرس، وبلاد العرب – الفيلة- والخيل- والبعير- وترى الباحثة أن هذا الامتزاج بين الشعوب في تكوين دولة لا يعد منقصة بل أنها بذلك حققت أهم مبادئ الدين وهو المساواة وعدم التميز أو الانحياز لعنصر دون الآخر[*]، وبهذا التجانس حققت أعظم الانتصارات والفتوحات التي لم يسبقها إليها أحد في بلاد الهند ويرجع لها الفضل في نشر الدين الإسلامي ورفع رايته، وهذه تعد ميزة للدولة الغزنوية عن بقية الدول المستقلة المعاصرة لها.

عودة إلى أصل الغزنويين يقول موريس لومبار بخصوص الدولة الغزنوية، "في نهاية القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر اعتنقت قبيلة الغز التي تقع أرضيها على نهر سيرداريا، الإسلام وتأسست منها أسرة ملكية تركية مسلمة هم الغزنويون"[2]، فهو ينسب قيام الدولة الغزنوية إلى قبيلة بعينها – الغز-، بينما يتضح من خلال الدراسة في تاريخ الدولة الغزنوية أنها لم تقم على أساس جماعة أو قبيلة تركية معينة بذاتها اعتنقت الإسلام وشكلت دولة إسلامية تركية إنما قيام الدولة الغزنوية كان انبثاق عن الدولة السامانية وهذا ما تم ذكره آنفاً، وفي ذات الوقت لا نستطيع أن نجزم بعدم وجود أفراد من قبائل الغز في تشكيل الدولة، فقد ضمت دولة الغزنويين العديد من القبائل التركية، حيث كانت دولة آل سامان تعتمد في قواتها العسكرية على العناصر التركية التي تم أسرها أو شرائها من مختلف البلاد التركية ليتم إدراجها في الخدمة العسكرية.

أما عن تنسيبه لأصل الغزنويين إلى قبيلة الغز التركية، فهذا ما لم أجد له ذكر في المصادر والمراجع التي بين يدي، ولعله بذلك يربط بين كلمة الغز والغزنوية، وهذا أيضاً تم إيضاحه فيما سبق في التسمية.

---

[1] لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: د. عجاج نويهض، القاهرة، 1352هـ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1352هـ، ج4، ص287، كلود كاهن، المرجع السابق، ص350.

[*] هذا ما سنحاول إثباته من خلال الدراسة في الفصل الثاني.

[2] موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول، ترجمة: إسماعيل العربي، المغرب، دار الآفاق الجديدة، 1411هـ/1990م، ط3، ص67.

أقاليم الدولة الغزنوية:

ضمت الدولة الغزنوية عدّة أقاليم، كانت تحت سيطرة الدولة السامانية، وضمت أراضي جديدة إثر الفتوحات الإسلامية في بلاد الهند، فاستطاعت بذلك امتلاك أراضي واسعة، قامت عليها الإمبراطورية الغزنوية في جنوب غرب آسيا[1]، غير أنه يجدر بنا الإشارة إلى أن هذه الأقاليم لم تظل كلها خاضعة للدولة الغزنوية طوال فترة قيامها، فقد بلغت أقصى اتساع لها في عهد السلطان محمود الغزنوي[*]، ثم أخذت في الانحسار والتناقص في أواخر عهد ابنه السلطان مسعود، بسبب الغارات المنظمة التي قام بها السلاجقة على أملاك الدولة الغزنوية[2]، من أبرز أقاليم الدولة الغزنوية:

1- **إقليم خوزستان:** يحده من جهة الشرق بلاد فارس وأصفهان، وغرباً إقليم العراق عند منطقة واسط والبصرة، وشمالاً الصميرة والكرج، ويضم هذا الإقليم سبعة كور، الأهواز[**] - تستر- عكسر مكرم- جند يسابور - السوس- رامهومز- سرق، وقد اتصف هذا الإقليم بخصوبة أراضيه، فهي مستوية وفيرة المياه، وأكبر أنهارها نهر تستر الذي يوفر الماء لمزارع قصب السكر والنخيل وسائر المزروعات، ولا يوجد بإقليم خوزستان جبال ولا رمال إلا شيء قليل يجاور نواحي أصفهان، وجند يسابور وتسند، وتشبه أراضي هذا الإقليم أراضي العراق[3].

2- **إقليم طبرستان[***]:** يقع إقليم طبرستان جنوب بحر قزوين ويحد به من الشرق إقليم خراسان وجرجان، ومن الغرب إقليم الجبال وإقليم أدربيجان، وتحد

---

[1] عصام الدين عبدالرؤوف، بلاد الهند في العصر الإسلامي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1426هـ/2005م، ص19.

[*] انظر الخريطة، ص25.

[2] المرجع نفسه، ص30.

[**] الأهواز: جمع هوز ويكتب هذا الاسم بصورة حوز أو هوز وقد أُطلق هذا الاسم على خوزستان بعد الإسلام، وهي عاصمة إقليم خوزستان، انظر: ياقوت الحموي (أبوعبدالله بن عبدالله الرومي)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1993م، ج1، ص279، ليسترنج، مرجع سابق، ص267.

[3] أبوالقاسم محمد بن حوقل النصيبي: صورة الأرض، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، (ب،ت)، ص225.

[***] طبرستان: هكذا عُرفت عند البلدانيين العرب الأولين، "طبر" في لغة تلك البلاد معناها الجبل، وبذلك هي تعني "بلاد الجبل" كما عرف هذا الإقليم باسم آخر هو مازندران، ليسترنج، مرجع سابق، ص409.

به المغازة الكبرى من الجنوب، من أهم مدن هذا الإقليم مازندران – دامغان، ولم يكن إقليم طبرستان ذو أهمية كبيرة في الدولة الإسلامية في بدايتها، فقد ظل أهله يدينون بالديانة المجوسية لفترة طويلة بعد ظهور الإسلام إلى أن سيطر عليه العلويون، ومن ثم الغزنويون[1]، حيث ضُم إلى دولتهم في سنة (433هـ/1041م) في عهد السلطان مسعود بن محمود[2].

3- **إقليم الجبال:** يحد هذا الإقليم من ناحية الشمال إقليم طبرستان وجيلان[3]، ومن الشرق فارس ومفازة خراسان، والجنوب إقليم خوزستان، ويحد به الجزء الشمالي من إقليم العراق وإقليم أدربيجان من جهة الغرب، يضم هذا الإقليم ثلاثة كور هي: الري- همذان- أصفهان، ولهُ سبعة نواحي هي: قم- وقاسان، الصميرة وكرج وماه الكوفة وماه البصرة وشهرزور[4]، وتعد منطقة الري عاصمة لهذا الإقليم، وقد ضمت الري وبلاد الجبل إلى أملاك الدولة الغزنوية سنة (420هـ/1029م) على يد السلطان محمود الغزنوي، وفقدت السيطرة عليه في عهد السلطان مسعود (434هـ/1042م)، حيث استولى عليه طغرلبك السلجوقي[5].

4- **إقليم جرجان:** يحد هذا الإقليم من ناحية الجنوب إقليم خراسان، ومن الشرق إقليم خوارزم، وغرباً إقليم طبرستان وبحر قزوين، ومن الشمال دهستان[6]، ولهذا الإقليم قصبة وهي تحمل الاسم ذاته "جرجان وعاصمتها شهرستان، ومن أشهر مدنها أستراباد قرب حدود طبرستان وأبسكون[7]، وهي سوق كبير لتجارة الحرير، وتم ضم هذا الإقليم لأملاك الدولة الغزنوية سنة (426هـ/1034م) في عهد السلطان مسعود بن محمود وتم ضمّها إلى أملاك السلاجقة سنة (433هـ/1041م)[8].

---

(1) عصام الدين عبدالرؤوف: تاريخ الإسلام في جنوب آسيا، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت، ص159.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص207.

(3) الأصطخري، المصدر السابق، ص115، ابن حوقل، المصدر السابق، ص304.

(4) المقدسي، المصدر السابق، ص385.

(5) ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص174، 236.

(6) ليسترنج: المرجع السابق، ص417.

(7) المقدسي: المصدر السابق، ص154.

(8) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص207.

5- صحراء خراسان: لا تمثل صحراء خراسان إقليماً معيناً، فهي تتوسط عدة أقاليم، فبعضها تابع لإقليم خراسان، والبعض تابع لإقليم كرمان، وجزء آخر تابع لإقليم فارس، وآخر لإقليم سجستان، مما جعل لهذا الإقليم من المناطق غير الآمنة، حيث ينتشر فيها قطاع الطرق واللصوص(1)، يحد إقليم الصحراء من جهة الشمال الغربي ومن جهة الغرب إقليم الجبال، ومن جهة الجنوب إقليم مكران، ومن الجنوب الغربي إقليم كرمان، ومن الشمال الشرقي إقليم خراسان ومن الشرق قوهستان ومن الجنوب إقليم سجستان، وهي مناطق قاحلة لا تحتوي إلا على عدد قليل من الواحات(2).

6- إقليم قوهستان: يحده من الشمال والشرق إقليم خراسان وبعض نواحي إقليم سجستان، ومن الجنوب نواحي من إقليم سجستان والمغازة الكبرى التي تحد به من جهة الغرب أيضاً، من أهم مدن إقليم قوهستان تون- ينابد- طبسن وقابن(3).

7- إقليم كرمان: يحده شرقاً مغازة خراسان، وغرباً إقليم فارس، وجنوباً بحر فارس، وشمالاً جزء من مغازة خراسان(4)، وهي تعد امتداد لها وقصبتها قصدار التي تم ضمّها إلى أملاك الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود الغزنوي سنة (402هـ/1011م)(5)، ويحتوي هذا الإقليم على خمسة كور هي: بردسير، ونرماسير، والسيرجان، وبم، جيرفت(6)، ولهذا الإقليم سبعة جبال أهمها القفص والبارز(7).

8- إقليم سجستان(*): يحده شرقاً نهر السند، وغرباً صحراء خراسان وإقليم قوهستان، وشمالاً إقليم خراسان وجنوباً إقليم مكران، ومن أهم مدن سجستان،

---

(1) الأصطخري: المصدر السابق، ص134، ابن حوقل، المصدر السابق، ص341.

(2) الأصطخري: المصدر السابق، ص133، وانظر عصام عبدالرؤوف، تاريخ الإسلام في جنوب آسيا في العصر التركي، مصر، دار الفكر، 1975م، ص156.

(3) الأصطخري: المصدر السابق، ص155، ليسترنج، المرجع السابق، ص392.

(4) الأصطخري: المصدر السابق، ص97، ابن حقول، المصدر السابق، ص262.

(5) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص323.

(6) المقدسي، المصدر السابق، ص460.

(7) الاصطخري: المصدر السابق، ص99، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص491-492.

(*) يعرف أيضاً باسم "سيستان" مأخوذ من الاسم الفارسي سكتستان "Sagistan"، انظر: لسترنج، مرجع سابق، ص372.

زرنخ، وبست، ويصف ابن حوقل أراضي إقليم سجستان بأنها منطقة خصبة وهي تقع على طريق التجارة المتجهة إلى الهند والسند[1]، وقد ضم الغزنويين إقليم سجستان إلى حكمهم سنة 393هـ[2] وقد كانت بداية الغزنويين من إحدى مدن هذا الإقليم "مدينة غزنة" التي اتخذوها عاصمةً لدولتهم سنة 366هـ[3].

9- **إقليم مكران:** يحده من جهة الجنوب بحر فارس وشرقاً بلاد السند وشمالاً إقليم سجستان والمفازة الكبرى، يغلب على هذا الإقليم الطبيعة الصحراوية القاحلة منطقة طوران وعاصمتها قصدار[4]، ومنطقة الملتان، التي غزاها السلطان محمود الغزنوي سنة (396هـ/1005م)، وكان لهذه المدينة أهمية كبيرة عند الهنود من الناحية الدينية، إذ يوجد بها المعابد الكبيرة التي يحجون إليها من كل حدب وصوب[5]، ومنطقة البدهة وهي غربي مهران والمنصورة[6].

10- **إقليم خراسان:** يحده من الشرق بلاد الهند، ومن جهة الغرب المفازة الكبرى التي بينها وبين بلاد الجبل وإقليم جرجان، ويحيط بها من الشمال بلاد ما وراء النهر، ومن الجنوب إقليم سجستان وإقليم قوهستان[7].

ويصف ياقوت الحموي خراسان فيقول: "بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق أزادوار قصبة جوين وبيهق، وهما بخراسان وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إن هو أطراف حدودها"[8].

---

(1) ابن حوقل، المصدر السابق، ص353.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص323، انظر عصام الدين عبدالرؤوف، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، مرجع سابق، ص113.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص323.

(4) الاصطخري، المصدر السابق، ص195.

(5) ابن حوقل، المصدر السابق، ص278، انظر عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص119.

(6) ابن حوقل، المصدر السابق، ص279.

(7) ليسترنج، المرجع السابق، ص423، وانظر: محمد سعد السيد أحمد عزب، الحياة الفكرية في إقليم خراسان في العصر السلجوقي، القاهرة، شركة نوابغ الفكر، 2009م، ص36-37.

(8) ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، ص218.

يعد إقليم خراسان من أهم أقاليم الدولة الغزنوية ويضم أربع مناطق رئيسية، هي هراة، وبلخ، ومرو، ونيسابور[1]، وقد ضم السلاطين الغزنويون إقليم خراسان إلى أملاك الدولة الغزنوية عام (389هـ/998م)، وفقدوه على يد السلاجقة سنة (429هـ/1037م)، وتم إجلائهم عنه في العام التالي (430هـ/1038م) في عهد السلطان مسعود ولكن لم يحتفظ بها الغزنويون طويلاً، فقد استولى عليها السلاجقة من جديد في سنة (431هـ/1039م)[2].

11- إقليم شمال غرب شبه القارة الهندية: رأى السلطان محمود الغزنوي في بلاد الهند ميدان الجهاد الأكبر، فغزاها سبع عشر غزوة، على مدى أربعة وعشرين عام، فيما بين سنة (392-416هـ/1001-1025م)[3]، واستطاع فتحها فتحها وإخضاعها عندما فتح إقليم كابلستان، وفتح الملتان وكشمير، والبنجاب، واستطاع خلفاؤه من بعد أن يثبتوا سلطانهم في منطقة لاهور، واتخذوها عاصمةً لهم طوال مائة وخمسون سنة، ولذلك يعد السلطان محمود الغزنوي سلطاناً هندياً خالصاً[4].

يحد هذا الإقليم من جهة الشرق إقليم مكران وسجستان، ومن الجنوب بحر العرب، ومملكة الهند وخليج البنغال، ومن الشمال جبال همالايا[5]، وصف هذا الإقليم بأنه إقليم الذهب والتجارات والعقاقير والآلات والخيرات[6].

---

[1] المصدر نفسه، ج3، ص218.

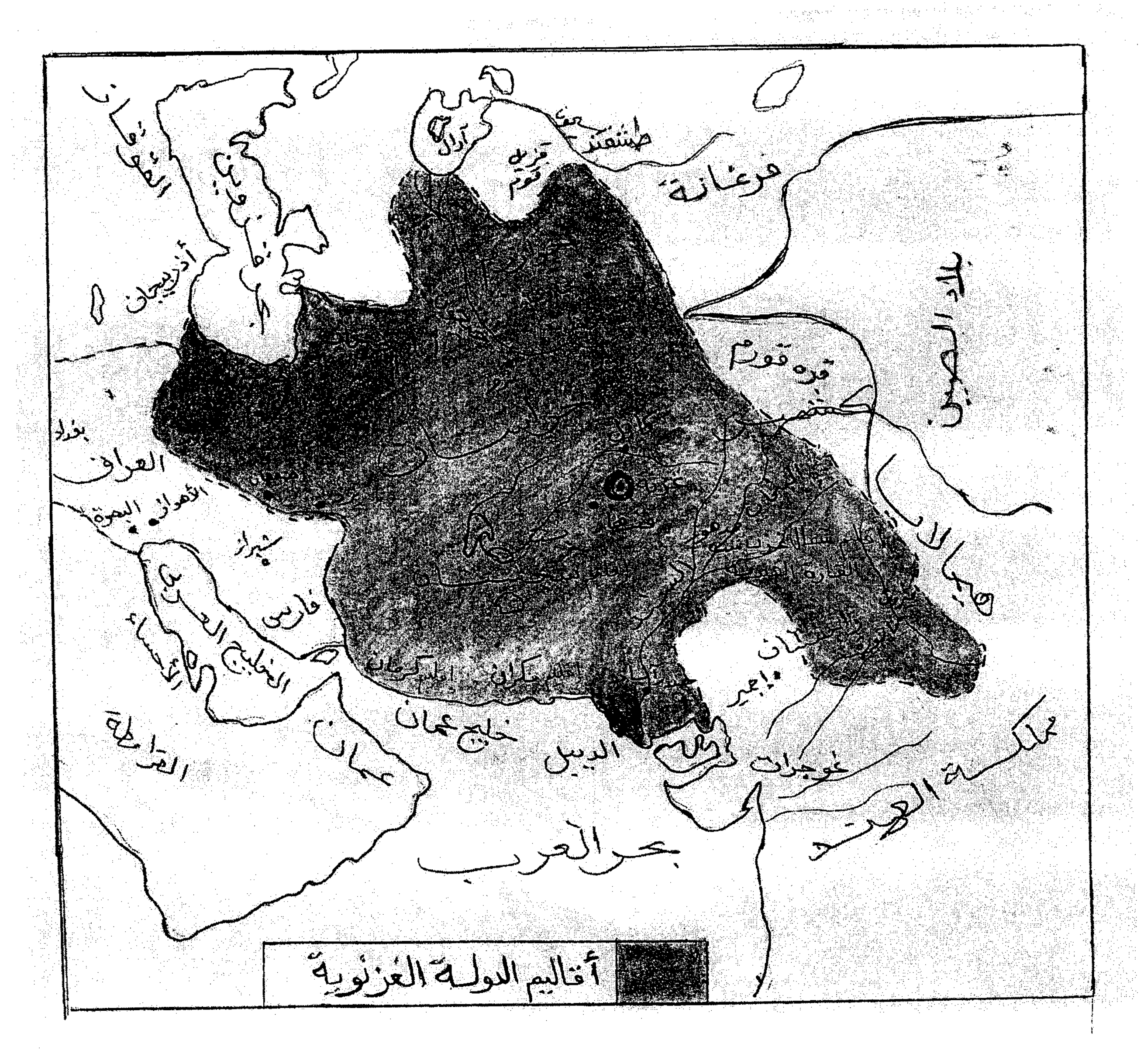
[2] انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص220-226، الحُسيني (أبي الحسن علي ابن أبي الفوارس ناصر بن علي)، أخبار الدولة السلجوقية 575-1180هـ. اعتنى بتصحيحه: محمد إقبال، بيروت، دار الآفاق الجديد، (د.ت)، ص12.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص81-160.

[4] عصام الدين عبدالرؤوف، دراسة في تاريخ الدولة العباسية، مرجع سابق، ص205.

[5] سيف الدين الكاتب، أطلس تاريخ العرب والعالم، سوريا، دار الشرق، 1433هـ/2012م، ص79.

[6] أحمد أمين، المرجع السابق، ج2، ص290.



الخريطة من عمل الباحثة.

ظهور الغزنويين على الساحة السياسية:

اعتمد السامانيون على الأتراك في تسيير أمور دولتهم، فكان قوام جيشهم منهم، وولوهم المناصب العسكرية والمدنية الرفيعة، فزاد نفوذهم وسلطتهم، وعلا شأنهم في دولة السامانيين، وقد عرف الأتراك عبر تاريخهم أنهم مصدراً للقلاقل والاضطرابات والفتن في الدول التي استعانت بهم، فأضعفوها وعملوا على إزالتها، والدولة السامانية تعد إحدى هذه الدول.

ومن أبرز هؤلاء الأتراك الذين علا شأنهم في دولة آل سامان "ألبتكين[*]"، وكان جندياً في الجيش الساماني وارتقى في سلك الوظائف حتى ولي منصب حاجب الحجاب للأمير عبدالملك بن نوح (343-350هـ/954-961م) فبعد أن كان غلاماً لأحمد بن إسماعيل الساماني، أصبح ذا شأن ونفوذ حتى أن الوزير يأتمر بأمره ويلتزم بتنفيذ تعليماته وتوجيهاته[1].

عندما توفي الأمير عبدالملك بن نوح، في يوم الخميس الحادي عشر من شوال (350هـ/961م)[2]، كان ألبتكين في نيسابور، وكان الأمير عبدالملك يخشى بأسه، فعمل على إبعاده عن حاضرة ملكه، بأن أسند إليه ولاية خراسان سنة (349هـ/962م)[3]، فكاتبه أمراء بخارى يستشيرونه فيمن يولون، فاختار البتكين عم الأمير عبدالملك ورفض اختيار أخيه الأمير منصور بن نوح خلفاً له، وذلك لصغر سنه، ولكن لم يُعمل باقتراحه، فقبل وصول رسالة البتكين إلى الأمراء في بخارى، قاموا بتولية الأمير منصور بن نوح على الحكم مما كان له سوء الأثر في قلب الأمير منصور تجاه البتكين[4]، الذي حاول التقرب والتودد من الأمير

(*) ألبتكين: كلمة مركبة من "ألب" بمعنى بطل و"تكين" كلمة تلحق بكثير من الأسماء التركية مثل: سبكتكين – أنوشتكين. شيرين عبدالمنعم حسنين، مسلموا تركستان والغزو الروسي من خلال التاريخ والأدب، مؤسسة دار التعاون للطباعة والنشر، 1985م، ص18، وكتبت عند ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص257-310، الفتكين، لعله في ذلك يخلط بين الفتكين التركي مولى معز الدولة – بني بويه– وبين البتكين في الدولة السامانية.

(1) عصام الدين عبدالرؤوف، الدول المستقلة في المشرف الإسلامي، المرجع السابق، ص101.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج8، ص253.

(3) عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص101.

(4) النرشخي، المصدر السابق، ص143-144. الكرديزي (أبوسعيد عبدالحي بن الضحاك)، زين الأخبار، ترجمة: عفاف السيد زيدان، القاهرة، (د.ن)، 1982م، ص253.

الساماني غير أن محاولاته باءت بالفشل، فقد أخذ المغرضون في العمل على زيادة الشقاق والعداوة بينهما[1]، نظراً لما كان يتمتع به البتكين من مكانة كبيرة في خراسان، فقد يكون تصرف الوزراء والأمراء بإرسال رسالة للبتكين ليستشيروه فيمن يولوا عليهم بعد وفاة الأمير عبدالملك بن نوح الهدف منها إثارة الفتنة، بين البتكين والأمير منصور خاصةً وأنهم لم ينتظروا رده وتصرفوا بسرعة واختاروا منصور بن نوح ليولي الحكم قبل أن تصلهم رسالة البتكين أو أنهم تصرفوا بسرعة ولم ينتظروا الرد لتفادي نزاعات قد تحدث بين أفراد العائلة الحاكمة، بل إنه يمكن القول إن هناك فتن بالفعل حدثت بعد موت الأمير عبدالملك بن نوح وهذا ما يشير إليه ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ حيث يقول "افتتنت خراسان بعده"[2].

خشى الأمير الساماني منصور بن نوح (350-366هـ/961-976م) من انقلاب "البتكين" عليه في خراسان، فاستدعاه إلى بلاطه فرفض البتكين دعوة الأمير لأنه خشى سوء العاقبة، وأظهر التمرد والعصيان، فعزله عن خراسان فقصد البتكين بلخ، وأرسل إليه الأمير منصور جيشاً لإخضاعه وهُزم القائد الثائر، فتوجه البتكين إلى غزنة وحاصرها واستولى عليها من حاكمها الساماني أبوبكر لويك، كما اتجه إلى باميان واستولى على زابلستان، واستولى على كابل وهكذا أقام البتكين إمارة مستقلة عن سادته السامانيين عاصمتها غزنة سنة (351هـ/962م)[3]، بيد أن الأمير الساماني منصور بن نوح لم يقف عند هذا الحد أمام تمرد البتكين، فبدل العديد من المحاولات لسحق تمرده واسترجاع ما استولى عليه، ولكن محاولاته باءت كلها بالفشل فكف عنه[4]، وبذلك قوى شأنه في إماراته وتوطد فيها سلطانه كما قام بإخضاع بست وضمها إلى إمارته، وبهذا تعتبر سنة (351هـ/962م) هي بداية قيام الدولة الغزنوية، وأخذ البتكين بعد

---

[1] الطوسي، المصدر السابق، ص145.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص253.

[3] النرشخي، المصدر السابق، ص143، الكرديزي، المصدر السابق، ص259، ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص257، أحمد عدوان، موجز في تاريخ، دويلات المشرق الإسلامي، الرياض، دار عالم الكتب 1410هـ/1990م، ص124.

[4] عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص102.

ذلك[1] في مهاجمة بلاد الهند، ودخل معهم في معارك عديدة كتب له فيها النصر، ولكنه لم ينعم بهذه السيادة طويلاً إذ وافاه الأجل أثناء جهاد في الهند سنة (352هـ/963م).

خلفه في حكم غزنة، ابنهُ أبو إسحاق إبراهيم قائد جيوش خراسان[2] غير أنه لم يستطع السيطرة على مقاليد الأمور في غزنة إذ ثار عليه أهلها وطردوه من بلدهم، فاستنجد بالأمير منصور بن نوح، فأمدّه بجيش تمكن من خلاله من فرض السيطرة على غزنة من جديد ولكنه حكمها باسم السامانيين، وبذلك استرد السامانيون نفوذهم في غزنة[3].

غير أن أبا إسحاق ما لبث أن توفي سنة (354هـ/965م) دون أن يترك وريثاً يعقبه في حكم غزنة[4]، فاجتمع القادة على اختيار بلكاتيكين Balkatigin لخلافته وهو أحد مماليك البتكين، وقد كان قائداً للحرس في عهد البتكين، اشتهر بالعفة والطهارة والعدل، والحزم في الإدارة واستمر في الحكم مدّة عشر سنوات[5]، وضرب النقود باسمه في غزنة سنة (359هـ/969م)[6]، وتوفي بلكاتكين أثناء حصار كرديز (364هـ/974م).

تولى أمور غزنة بعد وفاة بلكاتكين مملوك آخر لألبتكين، هو بيري أو بيرتكين ولم يكن مقبولاً من قبل أتباعه، ولم يستطع بيرتكين القيام بأعباء الحكم فثار عليه الجند وخلعوا طاعته، ونظروا فيمن يصلح لحكم غزنة، فاجتمعوا على عزل بيرتكين وتنصيب سبكتكين أمير على غزنة في (27 شعبان 366هـ/20أبريل 976م)[7]، لما عرفوا من عقله ودينه ومروءته وكمال خلال الخير فيه، وقد استطاع بحسن سياسته وبُعْد همّته اكتساب محبة الرعية وأمراء البلاد المجاورة.

---

(1) الطوسي، المصدر السابق، ص147-150.

(2) العتبي، المصدر السابق، ص20، ابن كثير، المصدر السابق، ج11، ص331، محمد ناظم، المرجع السابق، ص45.

(3) العتبي، المصدر السابق، ص20.

(4) المصدر نفسه، ص20، ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص322.

(5) محمد ناظم، المرجع السابق، ص45-46.

(6) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج3، ص85، عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص102.

(7) ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 2009م، ج5، ص175.

أبرز حكام الدولة:

أ- عهد الأمراء الغزنويين:

- سبكتكين Subaktigin (366-387هـ/976-997م)

أبو منصور سبكتكين ولد حوالي سنة 331هـ/942م من أب يدعى (جق) كان رئيساً لإحدى العشائر الصغيرة في رتكستان، وفي أحد الأيام قامت إحدى القبائل المجاورة بغارة على مضارب عشيرته، فأسرت ابنه الثالث الذي لم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من عمره وهو سبكتكين، وقد ظل في الأسر مدة أربع سنوات، بيع بعد ذلك رقيقاً لرجل يدعى نصر الحاجي، ثم مرض سبكتكين فاضطّر سيده لتركه في مدينة نخشب طوال ثلاث سنوات تعلم خلالها فنون الحرب وأساليب القتال الأمر الذي أثار سرور سيده فعينه رئيساً للغلمان[1]، وفي سنة (348هـ/959م) تم نقل سبكتكين إلى مدينة بخارى، وقام البتكين الذي كان يشغل منصب حاجب الحجاب للأمير عبدالملك بن نوح بشرائه[2].

وقد حضي سبكتكين بمكانة خاصة عند البتكين، الأمر الذي جعله يرقيه بسرعة في مراتب غلمان القصر دون أن يمر بالتدريج الذي كان معمولاً به أثناء الخدمة[*]، وبعد وفاة البتكين، 366هـ/976م[3]، أصبح سبكتكين حاجب الحجاب والقائد الموثوق به لأبي إسحاق إبراهيم، فزوجه أخته - ابنة البتكين[**]- اتصف

---

[1] محمد ناظم، المرجع السابق، ص46.

[2] انظر البيهقي، المصدر السابق، ص117-119.

[*] تم ذكر هذا النظام فيما سبق، وقد وصفه نظام الملك الطوسي بأنه لا يعتمد في ارتقاء المناصب على المحاباة والمحسوبية أو الجاه، وهذا يشكل تناقض واضح بين ما يقوله محمد ناظم وبين ما جاء عند الطوسي، في رأي الباحثة كلا الدراستين صحيحة في حال اعتبرنا الطوسي تناولها من ناحية شمولية باعتبارها نظام مستخدم به داخل الدولة السامانية، دون التعمق والتدقيق فيما كانت في تجاوزات أم لا، أما محمد ناظم فإن دراسته تخصصة في دراسة شخص محمود بن سبكتكين ولذلك تعمق في دراسة فترة حكم أبيه بشيء من الدقة والتعمق، كما أنه لا يوجد في نظري قانون نستطيع أن نجزم أنه يسير كما وضع دون أن يتعرض لبعض التجاوزات، حتى لو كانت بسيطة مبنية على الود.

[3] ابن الأثير المصدر السابق، ج8، ص322.

[**] يذكر بعض المؤرخين أن سبكتكين هو من أحفاد يزدجرد شهريار آخر ملوك فارس قبل الإسلام، فقد ورد في كتاب الطبقات اسم محمود بن سبكتكين بن حق بن قرار بن قراملات بن قرا نعمان بن سنجان بن يزدحر، وفي جامع التواريخ ورقة 204أ، أن نسب محمود يرتبط بالسامانيين، ولكن كما يبدو ليس صحيحاً. انظر محمد ناظم، المرجع السابق، ص60، وفي هذا السياق يقول الدكتور: أحمد الساداتي في كتابه تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج1، ص83 (هو قول مرفوض، إن أصلهم يرجع إلى الفرس ذلك أن أغلب الموالي الذين بلغوا رتبة الإمارة قد ادعوا بدورهم لأنفسهم مثل هذا الإدعاء طلباً لعراقة النسب) والباحثة تتفق مع رأي الدكتور الساداتي ولكن هذا لا ينطبق على الغزنويين، ففي نظري أن الغزنويين لم يسعوا إلى طلب عراقة النسب بل أن أعمالهم وبطولاتهم هي التي دعت البعض - الفرس- إلى أن ينسبوا الغزنويين إليهم ويرفضون كونهم دولة تركية قامت على يد الجيش التركي.

سبُكتكين هذا بالطموح وقوة العزيمة، فأفلح في توحيد صفوف الأتراك والأفغان، فقد ظل يظهر ولاءه للسامانيين برغم استقلاله الفعلي عنهم[1]، فوقف إلى جانبهم عندما كاتبه الأمير الساماني نوح بن منصور، فاجتمع وقرر مساعدته في القضاء على المتمردين[*] والمتآمرين عليه وعلى دولته[2].

ولكن عندما زاد ضعف آل سامان وضعفت سيطرتهم على إدارة شؤون الدولة اتجاه الغزنويون للسيطرة على البقية الباقية من ممتلكاتها.

وقد استطاع سبكتكين أن يوسع رقعة الدولة الغزنوية فبسط نفوذه على بست[**] وقصدار[***] بعد أن اضطر حاكمها إلى أداء الجزية لهُ وخُطب باسمه على المنابر[3]، كما ضم لحكمه كل من سيستان[****] وخراسان، ثم استدار بقواته مندفعاً عبر مسالك الهند الوعرة يبغي الجهاد في سبيل الله بغزو بلاد الهناركة[4]، فقد رأى سبكتكين أن توسيع أملاكه شمالاً وشرقاً سيؤدي إلى حدوث صدام بينه وبين السامانيين لذلك توسع جنوباً حيث الامتداد الطبيعي لجبال الهندكوش متوجهاً إلى الهند[*****].

---

[1] ابن الأثير المصدر السابق، ج8، ص324، ميرخواند، روضة الصفا، المصدر السابق، ص75. وانظر حسن إبراهيم حسن، ج3، ص86، عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص103.

[*] ساعد سبكتكين السامانيين في القضاء على المتمردين من قادة الجيش، حيث اتفق كل من أبو الحسن سمحور، وأبو العباس تاش، وفائق على أن تكون نيسابور وقيادة جيش خراسان لأبي العباس تاش، وبلخ لفائق، وهراة لأبي الحسن سمحور، انظر العتبي، المصدر السابق، ص49-95، وابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص50.

[2] محمد ناظم، المرجع السابق، ص51.

[**] بُست: مدينة بين سجستان وغزنين وهراة وهي من البلاد الحارة المزاج، وهي كثيرة الأنهار والبساتين، وهي ذات أهمية كبيرة فهي تقع على طريق التجارة المتجهة إلى الهند والسند. انظر ياقوت الحموي، المصدر، ج1، ص414، ص415، وابن حوقل، المصدر السابق، ص353.

[***] قُصدار: ناحية مشهودة قرب غزنة وهي من بلاد السند، بينها وبين بُست ثمانون فرسخاً، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص34-35.

[3] العتبي، المصدر السابق، ص29، ابن الأثير المصدر السابق، ج8، ص323، ميرخواند، المصدر السابق، ص130 -131.

[****] سيستان أي سجستان: تقع شمال مكران ويؤلف إقليم سجستان وإقليم فوهستان حدود خراسان الجنوبية وهو الإقليم الشرقي العظيم في بلاد فارس. انظر كي لسترنج بلدان الخلافة الشرقية، المرجع السابق، ص20-21.

[4] العتبي، المصدر السابق، ص29، ابن الأثير، ج8، ص323.

[*****] بدأ وصول الإسلام إلى الهند منذ بدء الفتح الإسلامي لبلاد السند أيام الخليفة الراشدي عثمان بن عفان – رضي الله عنه– وتم في عهد الوليد بن عبدالملك [86-96هـ/705-715م] حينما وجّه الحجاج بين يوسف الثقفي – والي العراق– محمداً بن القاسم الثقفي إلى السند ففتح الدّبْيُل عام 93هـ، وسار شمالاً حتى المُلْتَان وحدود البُنجاب، ورفع راية الإسلام فيها، وقد سبق أن وصل الإسلام إلى الهند عن طريق السواحل الجنوبية الغربية لمليبار عن طريق التجار المسلمين ابتداءً من القرن الأول الهجري، فقد كان للعرب صلات تجارية مع بلاد الهند من قبل الإسلام، كما كان للدعاة دور في نشر الإسلام في الهند فبدؤوا في ذلك مبتدئين من السواحل حتى وصلوا إلى هضبة الدّكن (Deccan) وسط الهند، انظر شوقي أبو خليل، أطلس دول العالم الإسلامي، دمشق، دار الفكر، 2010، ص187.

وقد أحرز سبكتكين انتصارات كثيرة مما أتاح له الاستيلاء على جزء كبير من بلاد الهند، فاستولى على بعض المواقع الجبلية فيها حيث مدينة كابل – حاضرة بلاد الأفغان الحالية– وعاد إلى بلاده سالماً غانماً، ولكن جيبال(*) رأى في استيلاء سبكتكين على أطراف بلاده تهديداً لمملكته، فبدأت الحروب الطاحنة بين ملوك الهند والغزنويين، فقد حاول جيبال غزو غزنة (376هـ/986م) كرد فعل لمهاجمة سبكتكين لبلاده، فالتقى الجيشان قرب جبل يسمى غوزك على الطريق بين غزنة ولمغان، وقاتل الهندوس بكل بسالة، إلا أن هبوب عاصفة ثلجية كان سبباً في وقوع اضطراب بين صفوفهم، الأمر الذي جعل جيبال يعرض الصلح وكان محمود الغزنوي – قائداً تحت إمرة أبيه– يرى الاستمرار في المعركة حتى إلحاق الهزيمة بالهندوس، ولكن كان لسبكتكين رأى آخر وهو قبول الصلح، فتم الصلح بين الطرفين على أن يدفع جيبال المال ويسلم البلاد بالإضافة إلى خمسين فيلاً يحملها إليه[1].

غير أن جيبال ملك الهند قبض على من معه من المسلمين وجعلهم رهائن عنده وبذلك نقض الصلح، فقام سبكتكين بإعداد العدة ومحاربتهم حتى استولى سبتكتين على أجزاء كبيرة من بلاد الهند و"ذل الهنود بعد هذه الواقعة ولم يكن لهم بعدها راية"[2]، ويعلق المؤرخ العتبي عن هذه الهزيمة فيقول: "لوَت الهنود أذنابها على رءوسها... وصفت تلك النواحي لذلك الأمير..."[3]، وجرت بينه وبين الهنود حروب عدة لم يلبث أن اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته، وعمرت أرض خزانته[4].

وبذلك نلاحظ أنه منذ توجه البتكين إلى غزنة واستقراره بها، وإنشاء إمارة غزنوية مستقلة عن دولة السامانيين، وازدياد نفوذها وتوسعها على حساب البلاد

(*) جيبال: هو أحد ملوك الهند، وكانت مملكته تمتد في شمال غرب الهند، ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص324، ج9، ص81.

(1) المصدر نفسه، ج8، ص324.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص324.

(3) العتبي، المصدر السابق، ص36.

(4) ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص175.

المجاورة لها على يد الأمير سبكتكين، وحتى خروجه إلى بلاد الهند غازياً مجاهداً، كل هذا ولم يكتب اعتراف رسمي من قبل الخلافة في بغداد.

توفي الأمير سبكتكين بعد أن اغتم وحزن أشد الحزن على وفاة إحدى شقيقاته وبعض أقاربه وقرر الذهاب إلى غزنة، حيث الهواء المنعش، فلفظ أنفاسه الأخيرة وهو في طريقه إليها عند قرية "مادروموي" على حدود بلخ في شعبان سنة 389هـ أغسطس 998م[1]، بعد حكم دام عشرين سنة وضع فيها أسس الإمبراطورية الغزنوية[2]، بفضل ما أحرزه من انتصارات في بلاد الهند.

وقد وصف ابن الأثير الأمير سبكتكين فقال: "كان عادلاً خيّراً كثير الجهاد ذا مرؤة تامة وحسن عهد وفاء[3].

ورثاه الشاعر أبو الفتح البستي، الذي اتخذه سبكتكين كاتباً له بقوله:

قلت إذ مـات ناصـر الـدين والـدو

لـه حيـاه ربـه بالكرامـة

وتـداعت جموعـه بـافتراق

هكـذا هكـذا تكـون القيامـة[4]

هكذا انتهت حياة الأمير سبكتكين، خُلِّد اسمه بلقب الأمير العادل الذي أطلقه عليه المؤرخون، فكان قوي الإرادة لا يستسلم للمحن والشدائد، ولد له عدد من الأولاد اثنان منهم ماتا صغيرين هما الحسن والحسين، وعاش له محمود، إسماعيل، نصر، يوسف، كان حريصاً كل الحرص على تعليمهم[5].

عهد سبكتكين قبل وفاته إلى ابنه إسماعيل بالحكم من بعده، وأمر قادته وحجابه بطاعته على الرغم من أن ابنه محمود هو الأكبر سناً.

---

[1] العتبي، المصدر السابق، ص144-147، بينما يذكر ابن الأثير أن السنة التي توفي فيها الأمير السبكتكين هي سنة 387هـ، على اعتبار أن المؤرخ العتبي أرّخ لتلك الفترة عن قرب وهو معتمد في ذلك على الروايات الشفوية للمعاصرين لها، فمن المرجح أن السنة التي ذكرها العتبي هي الصحيحة، انظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص63.

[2] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص87.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص63.

[4] العتبي، المصدر السابق، ص146، ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص176.

[5] العتبي، المصدر السابق، ص149-154، انظر محمد ناظم، المصدر السابق، ص50-51.

لقد كان إسماعيل ضعيف الرأي والتدبير حتى كادت تنفذ خزائنه فأرسل إليه أخوه محمود أن له أحقيته في الحكم، وإن أبوهما سبكتكين إنما أفرده بالوصية لإعجال المنية إياه، وذلك لتدارك الموقف كي لا يترك مجال لطمع الطامعين وعبث العابثين وتفادي للفتن عندما كان ولي العهد محمود بعيداً عن غزنة(*).

انظم كل من بغراجق عم محمود بهراة أخوه أبو المظفر نصر بن سبكتكين لمحمود، ضد الأمير إسماعيل، كما كاتب بعض قواد الأمير إسماعيل محمود سراً لإعانته على أخيه لما عرفوه من وهن وضعف إسماعيل في إدارة شؤون الدولة[1]، وتواصلت المكاتبات بين الأخوين ولكن لم تجد نفعاً، فكان للسيف كلمة الفصل بينهما، وسعى كل منهما للآخر حتى التقى الجيشان بظاهر غزنة واقتتلوا قتالاً شديداً، وكان النصر لمحمود، واعتصم إسماعيل في قلعة غزنة، فحاصره محمود واستنزله بأمان، فأكرمه وأحسن إليه، وأعلى مكانته وانتهت فترة حكمه التي استمرت سبعة شهور[2].

عهد السلاطين الغزنويين:

سنتناول هنا الفترة التي انتقل فيها أمراء الدولة الغزنوية من عهد الإمارة إلى عهد السلطنة وسنسلط الضوء على دراسة أبرز السلاطين الذين كان لهم دور كبير في تنمية الدولة من جميع نواحي الحياة سواءً كان السياسي والاقتصادي والاجتماعي والحضاري فيها، فكان لهم دور في جعل الدولة الغزنوية في مصاف أفضل وأكبر الدول المستقلة في المشرق الإسلامي.

(*) كان محمود في نيسابور: هي إحدى المدن الأربعة بإقليم خراسان يقال لها دمشق الصغيرة لكثرة فواكهها وبساتينها وحسنها. انظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص331، ابن بطوطة (محمد بن عبدالله بن محمد اللوتي الطنجي)، رحلة ابن بطوطة، شرحه وكتب هوامشه، طلال حرب، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، 2007م، ط4، ص401، انظر ابن الأثير، ج9، ص63.

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص63.

[2] العتبي، المصدر السابق، ص153-158، ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص63، ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص177.

- السلطان محمود الغزنوي (388-421هـ/998-1030م)

أبو القاسم محمود ولد بين ليلة التاسع والعاشر من شهر محرم سنة 361هـ/1 و 2 من شهر نوفمبر 971م، من أم هي ابنة أحد زعماء زابلستان(*)، لذا سمِّي بمحمود الزابولي، وقد يرجع السبب اختيار سبكتكين لابنه إسماعيل بدلاً من محمود على الرغم من كفاءة الأخير العسكرية إلى حضور المرأة ودورها في حياة سبكتكين فإسماعيل أمهُ ابنه ألبتكين فقد يكون سبكتكين قدم ابنها لولاية العهد لإرضاء رغبتها في ذلك[1]، غير أن محمود استطاع بعد أشهر قلائل من وفاة أبيه أن ينتزع الملك من أخيه إسماعيل، وأن ينفرد بالحكم.

استطاع محمود الغزنوي أن يضم إلى ملكه بقية أملاك الدولة السامانية في خراسان سنة (389هـ/998م)[2]، فبعد الأحداث التي تم ذكرها آنفاً - في التمهيد- عن التمرد والعصيان من قبل قادة آل سامان، وطلب الأمير الساماني نوح بن منصور المساعدة من سبكتكين، وتم بالفعل مساعدته والقضاء على العصاة، وقام نوح بن منصور بتولية محمود ولاية نيسابور، وأمره على جيش خراسان.

ولكن بعد ذلك قام الأمير السامان منصور بن نوح بانتزاع نيسابور وإمارة جيش خراسان منه وتوليتها "بكتوزون" الأمر الذي حزّ في نفس محمود، فاتخذ من انحلال الدولة السامانية وتآمر بكتوزون وفائق على منصور بن نوح، وتم القبض عليه وسمل عينيه وتولية أخيه الصغير عبدالملك، فرصة لتحقيق سياسته، فأنزل بهم الهزيمة في مرو (جمادي الأول سنة (389هـ/998م)[3] وتراجع عبدالملك بن نوح إلى بلاد ما وراء النهر فخضعت لهُ خراسان فعين أخاه نصراً على جيوشها، فاتخذ من نيسابور مركزاً له، وخطب للخليفة القادربالله العباسي، وأرسل له رسالة

(*) تسمى زابلستان أو زابُل: وهي عبارة عن مرتفعات رستاق قندهار بامتداد أعالي نهر هيلمند (هند مند)، وتقع جنوبي بلخ وطخارستان وقصبتها غزنة. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص125، لسترنج، المرجع السابق، ص372-373.

(1) السيد سعيد مبروك الصبحي، السياسة الداخلية والخارجية للدولة الغزنوية، رسالة دكتوراه، جامعة المنوفية، كلية الآداب، قسم التاريخ، (د.ت)، ص37.

(2) ابن الأثير، المصدر السابق، ج1، ص71.

(3) المصدر نفسه، ج9، ص72.

بهذه المناسبة نقتطف منها: "... وقد علم مولانا أمير المؤمنين... حال الماضين من السامانية فيما كانوا فيه من نفاذ الأمر وجمال الذكر وانتظام الأحوال واتساق الأعمال بما كانوا يظهرون من طاعة أمير المؤمنين ومبايعتهم... ولما مضى صالح سلفهم وبقى خلف خلفهم خلعوا الطاعة وشقّوا مخالفة لمولانا أمير المؤمنين... عصاه الجماعة وأخلوا منابر خراسان من ذكر اسمه... وعمّ البلاد والعباد فسادهم وبلاءهم ونهك الرعايا ظلمهم... فدعوت منصور بن نوح إلى طاعة مولانا السلطان فلم يصغ إلى ذلك، ... ودعوت عبدالملك أيضاً... فلم يستجب فنهضت إليه بمن معي من أولياء مولانا أمير المؤمنين... وبرز عبدالملك بن نوح وعن يمينه ويساره بكتوزون أحد أعوانه وفائق رأس طغاته وابن سيمجور وغيرهم... وانجلت المعركة عن هزيمتهم... وبعد فلم أجد وسماً في حل وعقد وإبرام ونقض إلى أن يرد من عالي أمره ورسم ما أبني الأمر ببنائه واحتذي إلى خزائه بإرادة الله سبحانه وتعالى..." فأرسل إليه الخليفة القادر بالله يقره على ما بيده وخلع عليه[1]، خلعة السلطنة الألقاب منها يمين الدولة وأمين الأمة[2]، اعترافاً منه أنه حامي الجانب الشرقي للخلافة العباسية في بغداد[*].

وبذلك زالت دولة السامانيين من بلاد خراسان على يد محمود بن سبكتكين الغزنوي ولم يكتف محمود بما استولى عليه من البلاد، فعمل على مد نفوذه وتوسيع أملاك دولته، فحارب خلف أحمد بن صاحب سجستان، واستولى عليها سنة 393هـ غير أنها لم تلبث أن خرجت عليه، فأخضعها واقطعها أخاهُ نصراً[3].

كما حارب محمود الغزنوي الغور في سنة (401هـ/1010م)، وكانوا لا يدينون بالإسلام، وتقع بلادهم الجبلية الوعرة المسالك بين هراة وغزنة، وقد كانوا

---

(1) نقلاً عن: أحمد محمد عدوان، المرجع السابق، ص126، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص71، ورد فيه ذكر الرسالة بدون عرض لنصها.

(2) ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص177.

(*) إن الاعتراف الرسمي الذي أرسلت به الخلافة العباسية في بغداد يأتي من باب تشجيع الغزنويين وتمكينهم في تلك النواحي، خاصةً أن الغزنويين كانوا من أتباع المذهب السني الذي كانت عليه الدولة العباسية ومحاربتهم لمذهب القرامطة (الفاطميين). انظر محمد ناظم، المرجع السابق، ص226.

(3) العتبي، المصدر السابق، ص214، ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص71.

يقطعون الطريق ويخيفون عابري السبيل، فتم إخضاعهم لحكمه ونشر الدين الإسلامي بينهم حيث بعث لهم دعاة يُعلمونهم شعائر وأصول الدين الإسلامي[1].

كذلك نجح السلطان محمود الغزنوي في مد نفوذه إلى بلاد ما وراء النهر وقضى على سلطة آل بويه في الري وهزم السلاجقة[2] الأتراك الغزية، أصحاب أرسلان بن سلجوق، وكانوا يقطنون صحاري بخارى، فقبض على زعيمهم أرسلان في بلاد ما وراء النهر، ثم أرسله إلى بلاد الهند، وقتل كثيراً من أصحابه وفر عدد كبير منهم إلى خراسان سنة (420هـ/1029م)، ومنها إلى أصبهان حيث طاردتهم جيوش محمد الغزنوي وأوقعت بهم الهزيمة، ومازال يحاربهم حتى مات واستمر ابنه مسعد من بعده في محاربتهم[3].

كما حارب السلطان محمود الغزنوي القرخانيين وتوغل في بلاد فارس، فاستولى على منطقة خوارزم سنة (407هـ/1016م) بعد أن الحق الهزيمة بأهلها عقاباً لهم على قتلهم لأميرهم خوارزمشاه أبو العباس مأمون، وهو زوج أخت السلطان محمود، الذي كان يظهر لهُ الطاعة والولاء، فثأر لهُ واستولى على المدينة، وأسند إمارتها إلى حاجبه التونشاش[4].

واصل السلطان محمود على نفس المنهاج والخطط التي رسمها والده -سبكتكين- لغزو بلاد الهند فلم تكن جديدة بالنسبة له أو مجهولة، فقد سبق أن رافق أباه في معظم غزواته لبلاد الهند، ويُذكر أن السلطان محمود حارب الهنود وأنزل بهم الهزائم في عدة وقائع، وقد ذكرت بعض المراجع أن السلطان محمود هو الذي أسر جيبال في (391هـ/1000م)، وليس والده سبكتكين[5].

غير أن المصادر لا تتفق مع هذا القول حيث نجد أن أبي نصر العتبي صاحب كتاب تاريخ اليمني، يذكر أنه عقد الصلح تم بين جيبال ملك الهنود والغزنويين في زمن الأمير سبكتكين، حيث كان محمود تحت إمرته وهو يروي

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص105-106.

[2] أحمد محمد عدون، المرجع السابق، ص127.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص177-180.

[4] المصدر نفسه، ج9، ص125.

[5] أحمد محمد عدون، المرجع السابق، ص135، معلومة نقلها عن Sykes.l.p.188.

الحوار الذي دار بينهما، فقد رفض محمود فكرة الصلح التي طرحها جيبال، كما يذكر كيف تم نقض الصلح من قبل جيبال، وما ترتب عليه من هزيمة الهنود أمام الغزنويين[1]، لم يتم أسر جيبال ملك الهنود إلا في سنة (391هـ/1000م) على يد السلطان محمود الغزنوي، وبعد أن استكمل السلطان محمود فتح بلاد الهند يوم الخميس الثامن من محرم سنة (392هـ/1001م)[2]، ووضعت الحرب أوزارها، قام بإطلاق سراح جيبال من الأسر[*] مقابل مبلغ كبير من المال، إلا أن هذا لم يعد إلى السلطة، ففي عادات الهنود لا تعقد رئاسة لمن وقع أسيراً في أيدي المسلمين[3].

استمرت فتوحات محمود الغزنوي في الهند، حتى غزاها سبعة عشر مرةً على مدى سبعة وعشرين عاماً لعل ذلك يدل على تصميم السلطان على هزيمة الهنود وتوسيع رقعة الدولة بالإضافة إلى الخيرات الوفيرة في بلاد الهند، فيما بين عامي (391هـ/1000م و417هـ/1026م)، فخضع لهُ شمال شبه القارة الهندية من بنارس إلى غزنة ومن الهمالايا إلى الدكن.

تمكن السلطان محمود من فتح بلدة ويهند في عام (392هـ/1001م) وتقدم بعدها إلى السند وفتحها، وفي عام 396هـ توجه نحو الملتان[**] التي كان بها أبي الفتوح داود بن نصر القرمطي، الذي نسب إليه الإلحاد[4]، فقد اشتكى منه بعض

---

[1] العتبي المصدر السابق، ص31-37، وهذه كانت أحداث سنة 366هـ في كتاب الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج8، ص223-224.

[2] العتبي، المصدر السابق، ص207-210، ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص82.

[*] بالنظر إلى التواريخ التي تم ذكرها نجد أن الصلح بين الطرفين تم في عهد الأمير سبكتكين الذي توفي سنة 387هـ والأسر تم في عهد السلطان محمود، والباحثة تتفق مع ما تم ذكره في المصادر باعتبارها الأقرب لأحداث تلك الفترة، ولا تتفق مع الرأي الذي أخذ به د. أحمد محمد العدوي، باعتباره استقى معلوماته من مراجع أجنبية لا نعلم المصادر التي اعتمد فيها على إصدار مثل هذا القول.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص81-82.

[**] الملتان: بلد في الهند تقع على ضفاف نهر أنوس نهر مهران وهي المدينة العظيمة التي فيها أعلى رافد من روافد السند، وهو السندود وكان فيها بيت ضم (بذ) مشهور يحج إليه الهنود من أقصى بلدانهم وهو على صورة إنسان جالس متربع على كرسي، ابن الأثير، ج9، ص90، كي لسترنج، المصدر السابق، ص369، وظلت ولاية الملتان منذ أن غزاها محمد بن القاسم قاعدة أمامية للمسلمين في الهند وفي فترة مبكرة من القرن الرابع الهجري، تمكن القرامطة من توطيد نفوذهم ووصل إلى السلطة عدد من الحكام الذين لم يقدموا فروض الولاء للخليفة في بغداد. انظر محمد ناظم، مرجع سابق، ص133.

[4] العتبي، المصدر السابق، ص282، ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص90، انظر السيد أحمد بن ريني دحلان، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ج1، ص321.

الناس، حيث أخذ يدعوهم إلى مذهبه، فقرر السلطان محمود غزو الملتان إثر تلك الشكوى.

لقد كانت العلاقة التي تربط بين أبوالفتح داود بن نصر والغزنويين علاقة ودية غير أنها لم تستمر طويلاً، فعندما عاد السلطان محمود من حملته على بهتندا عام 395هـ/1005م أبدى أبو الفتح امتعاضاً واستياءً لمرور السلطان عبر الملتان، لدى عزم السلطان محمود على معاقبته وإخضاعه[1]، استأذن السلطان محمود انندبال – أحد ملوك الهند- في العبور من بلاده حتى يتمكن من الدخول إلى المتان غير أن هذا الأخير رفض فقاتله السلطان محمود وانتصر عليه.

ولما سمع أبو الفتوح بهزيمة انندبال لاذ بالفرار إلى جزيرة في نهر السند، وتمكن السلطان محمود من دخولها بعد حصار دام 7 أيام، والتمس أهلها الصفح وحماية فعفا عنهم السلطان مقابل جزية سنوية مقدارها عشرون ألفا دينار من الذهب عقوبة لعصيانهم، ولم يشمل هذا العفو القرامطة، فقد تم قتل المئات منهم[2].

وفي سنة 398هـ سار السلطان محمود إلى قلعة بهيم نفر (حصن نكركُت)[3] والذي يعرف أيضاً باسم بهيمنكر وهو يقع على تل في منطقة الهول بسفوح الهملايا، وكان المشركون يعتزون به، حيث جعلوه خزانة لصنمهم الأعظم، ينقلون إليها أنواع الذخائر، وقد تمكن المسلمون من فتحها وحملوا من الأموال والذخائر ما لا يحصى[4].

وقد وصف العتبي مؤرخ السلطان محمود ذلك فقال: "نقل منها – أي السلطان محمود- ما أقلته رحاله واستحمل سائرها أعيان رجاله"[5]، وفي عام

---

[1] محمد ناظم، المرجع السابق، ص133.

[2] العتبي، المصدر السابق، ص284، ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص90، الكرديزي، المصدر السابق، ص67-68، أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ج1، ص88-89، أحمد محمد عدوان، المرجع السابق، ص135-136.

[3] أحمد عدوان، المرجع نفسه، ص137، أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ج1، ص90، عبدالمنعم النمر، المرجع السابق، ص86-87.

[4] العتبي، المصدر السابق، ص299، ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص99، عبدالمنعم النمر، المرجع السابق، ص119، أحمد محمد عدوان، المرجع السابق، ص136، أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ج1، ص90-91.

[5] العتبي، المصدر السابق، ص301.

(402هـ/1011م) قام السلطان محمود بفتح تهانسير(*) وأمر بتحطيم ما فيها من أصنام، فتدخل بعض أمراء الهنود من أصدقاء السلطان وطلبوا منهُ عدم هدمها وتحطيمها مقابل مال يدفع له، فكان رد السلطان حاسماً واضحاً لا لبس فيه إذ قال "إننا نحن المسلمين نعمل أولاً على نشر الإسلام وهدم معابد الأصنام، ونعتقد أننا سنجد على ذلك أضعافاً مضاعفة من الأجر والثواب عند الله ولا حاجة لنا إلى المال"[1].

أسرع السلطان محمود في الهجوم على المعبد وتكسيره قبل أن يجمع الهند قواتهم ويتصدوا له، منها ناردين من قلاع البنجان، ومعبد تانيسر – في شمال دهي– وقد أتى بضم تانسير الكبير إلى غزنة[2].

سار السلطان محمود بعد ذلك إلى كشمير عام (407هـ/1016م) وفتح الكثير من القرى والمدن والحصون والمعابد ورجع من تلك البلاد بكم كبير من الغنائم العظيمة خاصةً الرقيق، حيث يقول العتبي "عاد السلطان وراءه بتلك الغنائم العظيمة فكاد عدد الأرقاء من العبيد والإماء يزيد على عدد الدهماء"[3]، وقد صارت غزنة لكثرة ما فيها من الأسرى الهنود كأنها مدينة هندية[4].

وأمر ببناء المساجد الجامعة في المناطق التي أصبحت تحت إمرته، وأمر الأساتذة بالتوجه إليها حتى يعلموا الهنود شعائر الدين الإسلامي[5].

استمر السلطان محمود الغزنوي ورجاله في خوض غمار الفتوحات الإسلامية في الهند لرفع راية الإسلام فيها، بالإضافة إلى ما كان لبلاد الهنود من كنوز وثروات طائلة مغرية ومحفزة للقيام بهذه الفتوحات، ولا ننسى أن نشير إلى عامل مهم ساعد العزنويين على القيام بفتوحاتهم، وهو تفرق كلمة الهنادكة، فقد

(*) تهانسير: يذكرها ابن الأثير باسم تاينشر، ولكن الاسم الأول هو الذي ينطقونه للآن، ج9، ص117.

(1) عبدالمنعم النمر، المرجع السابق، ص88، أحمد محمد عدوان، المرجع السابق، ص126.

(2) عباس إقبال اشتياني، المرجع سابق، ص178، لعله يقصد الفيلة التي يذكرها ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص117، وفي حال كان يقصد صنم كما يقول فما الداعي لنقله إلى غزنة بدلاً من تحطيمه في أرضه.

(3) العتبي، المصدر السابق، ص350.

(4) عبدالمنعم النمر، المرجع السابق، ص88.

(5) الكرديزي، المصدر السابق، ص81.

كان يغلب عليهم التفكك الاجتماعي الذي جعلهم يقدمون مصالحهم الخاصة ومآربهم الشخصية بدلاً عن مصلحة الهند[1].

وقد تمكن السلطان محمود في أعظم وآخر غزواته للهند من اقتحام ولاية الكُجرات عام (416-417هـ/1025-1026م)[2].

وهي مغازة جرداء قاحلة مترامية الأطراف واسعة المسالك هي صحراء الثار أكبر صحراوت الهند[3]، واستولى وهو في طريقه إليها على اجمير ونهرواله، وقد سمع محمود أن أعظم معابد الهند يقع في مدينة سومنات في الساحل الجنوبي لشبه جزيرة كاتياوار – وهي الحد الفاصل بين ولاية السند والهند والوسطى[4]– فتوجه إلى سومنات معبد الهناوكة الأكبر، وقد حشد الهنود الجموع الغفيرة لحمايته يقودهم بهيم ديو صاحب الكُجرات ومعه راجا نهروله وأمراء بهاتى[5]، وقد استبسل الهنود في الدفاع عن معبدهم ولكنهم في نهاية الأمر عجزوا أمام المجاهدين المسلمين، فاقتحمها السلطان محمود يوم الجمعة منتصف ذي القعدة، واستولى على كل ذخائر المعبد ومجوهراته بعد أن قام بتحطيمه بنفسه وأحرق بعضه، وأخذ بعضه معه إلى غزنة فجعله عتبة الجامع[6]، كما أرسل بقطع منه إلى مكة وبغداد ليعلن عن فتحه العظيم في العاشر من صفر عام (417هـ/1026)[7].

ثم هدم المعبود الأكبر عند الهنود برغم توسل الكهنة لهُ بألا يمس معبودهم بسوء، ويفتدوه بما شاء من الأموال، ولكنه أبى إلا أن يحطمه لأنه لم يخرج طلباً للمال وإنما خرج لإعلاء كلمة الله، وهدم الأصنام التي تعبد من دون الله، فلو كانت غايته من غزو بلاد الهند جمع المال فحسب، كما يتهمه بذلك بعض المؤرخين مثل بارثولد وعباس إقبال اشتياني... وغيرهم، لكان قبل ما عُرض عليه من أموال

---

[1] أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ج1، ص92.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص60.

[3] أحمد محمود الساداتي المرجع السابق، ص95.

[4] عباس إقبال اشتياني، المرجع السابق، ص179.

[5] أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ج1، ص97.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق،ج9، ص161.

[7] عباس إقبال اشتياني، المرجع السابق، ص179.

طائلة لافتداء معبودهم سومنات وما كان ليرد عليهم بقوله المشهور بأنه يؤثر أن بنعته الناس بأنه محطم الأصنام على أن يقولوا عنه بأنه بائع الأوثان[1]، وحقيقة أنه كان يحب أن يجمع المال يمكن تصديقها، ولكن لا ليدخره بل لينفقه على مستحقيه من الفقراء والمساكين والعلماء، فقد اجتمع في بلاطه من العلماء والشعراء وأهل الفن ما لم يجتمع عنده غيره[2]، ولا نغفل عن الجانب العسكري والتجهيز للغزوات ورواتب الجند فكل هذا بحاجة إلى البذل والعطاء ليتحقق النصر، فقد حققت غزوات السلطان محمود الغزنوي نصراً للإسلام فأصبح للإسلام الكلمة العليا في شمال الهند كلها، فلعل إصراره على هدم أصنامهم الغرض منه استقرار الإسلام فيها، والقضاء على التقاليد والعادات الاجتماعية التي كانت مرتبطةً بالأوضاع الدينية المختلفة في المجتمع الهندي.

لقد وصل السلطان محمود الغزنوي "إلى حيث لم يبلغه في الإسلام رايةً ولم تنل به قط سورة ولا آية فدحض عنها أجناس الشرك... وأقام بدلاً من بيوت الأصنام مساجد للإسلام، وعن مشاهد البهتان معاهد التوحيد والإيمان، فصارت الأطفال تهدد في بطالتها بإقدامه وتفزع بإقبال ألويته وإعلامه"[3].

وقد وصفه المؤرخ ابن الأثير بأنه (عاقلاً ديناً خيراً عنده علم ومعرفة، له كثير من الكتب في الفنون، وقصده العلماء من أقطار البلاد فكان يكرمهم، ويقبل عليهم، ويعظمهم، ويحسن إليهم، وكان عادلاً كثير الإحسان إلى رعيته والرفق بهم، كثير الغزوات، ملازماً للجهاد[4])، فلم تقتصر شهرته على الجانب الحربي بل عُرف برعايته للعلوم والآداب وعظيم بذله لأربابها والمشتغلين بها، فقصدوا بلاطه من مختلف الأقاليم الإسلامية وكان من أشهر العلماء الذين ظهروا في عهد السلطان محمود الغزنوي، البيروني العلامة الرياضي والفيلسوف، الفلكي العالم بلغات بلاد الهند وثقافاتها وحضارتها، الذي ألف كتباً تضم أعظم ما عرف المسلمون عن تاريخ وحياة الهنادكة الاجتماعية والسياسية والفكرية على السواء،

---

[1] أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق،ج1، ص97.

[2] عبدالمنعم النمر، المرجع السابق، ص94.

[3] ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص178.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص150-151.

كما اشتهر في بلاطه أبي نصر العتبي، الوزير صاحب كتاب تاريخ اليمني، والقرابي الموسيقي الفيلسوف والبيهقي صاحب كتاب تاريخ البيهقي الذي يروي فيه تاريخ آل سبكتكين – خاصةً في زمن السلطان مسعود بن محمود- وارتاد بلاطه الشعراء أشهرهم العنصري، الفرخي، والعسجدي والفردوسي[1].

وقد لقب محمود الغزنوي بالعديد من الألقاب، كان أولها لقب السلطان وهو يعد أول من تلقب به في الدولة الغزنوية بعد أن كان يلقب بلقب الأمير[2]، كما لقب بيمين الدولة وأمين الأمة في سنة (381-422هـ)، وهو اللقب الذي منحه إياه الخليفة العباسي القادر بالله[3]، وأسد العالم[4]، ونظام الدين[5]، وكهف الدولة[6]، ولقبه بعض مؤرخي الإفرنجة بإسكندر الإسلام، فإنه فتح الهند كما فتحها الإسكندر إلا أن فتوحات إسكندر ذهبت بذهابه، أما فتوحات محمود الغزنوي فبقيت إلى اليوم[7].

استقرت في عهد السلطان محمود الغزنوي أوضاع الدولة الغزنوية وازدهرت الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتمت السيادة والنفوذ لها بعد القضاء على البقية الباقية من الدولة السامانية.

- السلطان مسعود بن محمود (421-432هـ/1031- م)

توفي السلطان محمود الغزنوي في الثالث والعشرون من ربيع الأول سنة (422هـ/1031م) في مدينة غزنة، بعد أن عانى من مرض السل (الدف)، وكان قد أوصى بالحكم من بعده لأبنه محمد، ولقبه بجلال الدولة، دون ولده الأكبر مسعود، وقد كان السلطان محمود قد عهد لابنه مسعود بولاية العهد أول الأمر

---

(1) الساداتي، المرجع السابق، ج1، ص99.

(2) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبدالهادي أبوريدة، بيروت، دار الكتاب العربي، 1967م، ط4، ص260.

(3) العتبي، المصدر السابق، ص8.

(4) أبوريحان محمد بن أحمد البيروني، ت440هـ/1048م، ما للهند من ما قولة معقولة في العقل أو مردولة، بيروت، عالم الكتب، 2011م، ص312.

(5) ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص116.

(6) محمد ناظم، المرجع السابق، ص226.

(7) لوثروب ستودارد، المرجع السابق، ص228.

سنة (406هـ/1016م)[1]، وولاه هراة وبعث به لمحاربة الغوريين، فأخضع الجزء الشمالي الغربي من تلك البلاد، ولكن بالرغم من حسن بلاءه ما لبث أن غضب عليه أبوه بفعل الوشاة، فعزله من ولاية هراة وولاية العهد[2].

ثم طابت نفسه وعفا عنه وقلده ولاية هراة ثانيةً دون ولاية العهد، كما تولى بلاد الري بعد فتحها في سنة (422هـ/1031م)، وضم إليها كل من همذان وأصبهان، فأزال بذلك حكم بني بويه عنها.

لم يستمر السلطان محمد "جلالة الدولة" طويلاً في الحكم، فقد كان ضعيف النفس محباً للهو واللعب، غير مُهتم بأمور الحكم، بعكس أخيه مسعود الذي اتّصف بصفات عالية كفيلة بأن تسير في طريق المجد الذي سلكهُ أبوه وجده من قبل، وقد ساعده على الوصول إلى الحكم وأنزل أخيه عن العرش اتفاق كلمة الجيش عليه ووقوفهم إلى جانبه، فكان شأنه مع أخيه كشأن أبيه محمود مع أخيه إسماعيل، فعندما بلغ مسعود خبر وفاة أبيه وهو بأصبهان، سار إلى خراسان وكتب لأخيه يطلب إقراره على البلاد التي كان قد فتحها، وهي بعض بلاد طبرستان وبلاد الجبل وأصبهان... وغيرها، ووعده أن يقدمه في الخطبة على نفسه، ولكن محمداً لم يجب طلب أخيه[3]، فتواطأ جمع من كبار قادة الجيش وكبار رجال الدولة سراً مع مسعود الذي كان في الري، فاستدعوه لتولي السلطة، فقد كان أكثرهم يميلون إليه لقوته وشجاعته؛ لأنه اعتاد التقدم على الجيوش وفتح البلاد، فلبى مسعود رغبتهم بقبول دعوتهم وسار إلى نيسابور، واستعد مسعود بجيشه وتوجّه إلى غزنة، واستعد أخوه محمد بجيشه بعد أن أخذ منهم العهود والمواثيق والمناصحة له، وقد انضم إلى مسعود جماعة من خاصة أبيه السلطان محمود وأمراء جيشه، كأبي النجم إيازين أويماق غلام السلطان محمود، وعليا بن أيل أرسلان، عمه يوسف بن سبكتكين وخويشاوند صاحب أبيه، بعد أن أدركوا أن مقاومة مسعود وحربه لن يجديا نفعاً وأنهم مهزومين لا محالة، فقبضا على محمد في 13 شوال

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص187، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج3، ص96-97. أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ج1، ص100-101. إبراهيم عبدالمنعم أبو العلا، المرجع السابق، ص394.

[2] البيهقي، المصدر السابق، ص23.

[3] ابن الأثير، المصدر نفسه، ج9، ص187، ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص378.

(421هـ/1030م)، في حين كان مشغولاً بالخمر والشرب عن تدبير المُلك، فسملوا عينيه، وحبسوه في إحدى القلاع[1]، ثم نودي بمسعود أميراً للجيش، وحاكماً للبلاد، فما كان منه إلا أن انتقم من الذين غدروا بأخيه ومكروا به، فقتل علي بن أيل أرسلان، وأودع عمه يوسف السجن. ووفدت عليه رسل الملوك لتهنئه بوصوله إلى السلطة[2].

امتد نفوذ السلطان مسعود على أصبهان، والري، وهمذان، وطبرستان، وجرجان، وخراسان، وخوارزم، وكرمان، وسندستان، والسند والرخج وغزنة وبلاد الغور والهند، وقد اعترضته العديد من الصعاب في كل من الهند وخراسان، استطاع التغلب على الأولى، أما الثانية فكان لها دورٌ خطيرٌ في إنهاك كاهل الدولة الغزنوية، حيث نازعه السلطة فيها قوتان خطيرتان، هما الغز، والسلاجقة، أما الغز فقد انتصر عليهم وطردهم من خراسان بعد حروب دامت زهاء سنتين (429-431هـ).

أما السلاجقة فقد تفاقم خطرهم وقويت شوكتهم في الوقت الذي قامت فيه الاضطرابات بعد وفاة محمود الغزنوي، فتمكن السلاجقة من الاستيلاء على هراة في سنة (422هـ/1031م)، وقاموا بالعديد من الغارات المنظمة على خراسان وفي سنة (426هـ/1034م) حاربهم السلطان مسعود وهزمهم، ولكنه لم يستطع القضاء عليهم لانشغاله بغزو الهند، فزاد ذلك من قوتهم وطمعهم في أملاك الدولة الغزنوية، فتمكنوا من الاستيلاء على مرو ونيسابور وسرخس سنة (429هـ/1037م)، بل على معظم بلاد خراسان سوى بلخ، ولم ير السلطان مسعود بداً من قتالهم بنفسه، فحاربهم وانتصر عليهم في شهر شعبان سنة (430هـ/1038م)، وطرد السلاجقة والغز من خراسان، ولكن السلاجقة لم يلبثوا أن هزموا السلطان مسعود على باب دندانقان في يوم الخميس الثامن من رمضان

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص188، ابن خلدون، المصدر السابق، ص4، ص379.

[2] البيهقي: المصدر السابق، ص2 وما بعدها، ابن الأثير، المصدر السابق ص188، ابن خلدون المصدر السابق، ج4، ص379، أحمد محمد الساداتي، المرجع السابق، ج1، ص 101، إبراهيم عبدالمنعم أبو العلا، المرجع السابق، ص408.

سنة (431هـ/1039م)[1]، ودبت الفتنة تسري بين جنده، فقرر السلطان مسعود الانسحاب إلى غزنة ومن ثم إلى بلاد الهند[*] ليستجمع قوته ويعد جيشاً يحارب به السلاجقة، وبعد أن عبر نهر السند[**] بقليل ثار عليه مواليه ونهبو خزائنه، وانضموا إلى سائر الجند، وأقاموا أخاه محمداً - مسمول العينين- بدلاً عنه وسلموا عليه بالإمارة، وانتهت الحروب الأهلية والاضطرابات التي قامت بين جند مسعود وأنصار أخيه محمد بمقتل مسعود في سنة (432هـ/1040م)[2].

كان السلطان مسعود شجاعاً كريماً، ذا فضائل كثيرة، محباً للعلم والعلماء كثير الإحسان والتقرب إليهم، وقد تم تصنيف الكثير من العلوم باسمه، وكان كثير الصدقة والإحسان... وعمّر كثيراً من المساجد في ممالكه، كثير الصلات والعطاء وأجاز الشعراء بجوائز عظيمة، فأعطى شاعراً على قصيدته ألف دينار، وأعطى آخر لكل بيت ألف درهم، وكان يكتب خطاً حسناً وكان ملكه عظيماً فسيحاً[3].

طويت بموت مسعود صفحة حاكم مسلم بدل الجهد الكبير لرعاية العلم والعلماء، وكان له دورٌ كبيرٌ في الإنشاء والتعمير، حتى غصّت بلاده بالكثير من المدارس والمساجد والرباطات التي أقامها.

---

[1] البيهقي، المصدر السابق، ص684-688، أحداث سنة 431هـ، ابن الأثير، المصدر السابق، ج2، ص220-226، الحسيني، المصدر السابق، ص12.

[*] لم يصغ السلطان مسعود إلى نصح الناصحين له بالتحصن في غزنة بدلاً من الانسحاب إلى الهند، كما لم يطع المخلصين لدولته حين منعوه من تنفيذ أفكاره في حروب في جرجان ومعاملته مع السلاجقة، كما أنه لم يدع الشرب واللهو حتى في أثناء ثورات خراسان وهجمات السلاجقة، وبذلك كان غافلاً عن إدراك مشكلات الدولة الخارجية وكيفية إدارتها، ويعلق الدكتور أحمد محمد السداتي عن سرعة اتخاذ السلطان مسعود لقرار الانسحاب فيقول: "إن الحوادث قد برهنت على قيام مخاوفه على غير أساس، إذ كان هَمُّ السلاجقة الأكبر في التوسع منصرفاً في الواقع صوب فارس، دون التفات جدي كبير نحو غزنة والشرق عموماً"، المرجع السابق، ج1، ص106. انظر البيهقي: المصدر السابق، ص727، ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص384-385، أبو العلا، المرجع السابق، ص421.

[**] يطلق عليه نهر سيجون وهو نهر كبير يشبه إلى حدٍ كبير نهر دجلة، وهو يشكل إقليماً يضم كل من إقليم مرعانة وإقليم الساش، ويصب في بحر أرال، لسترنج، المرجع السابق، ص477.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص227.

[3] ابن الأثير، المصدر نفسه، ج9، ص226-227، ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص383-385.

واستطاع السلطان مسعود أن يحتفظ مدّة غير قصيرة برقعة ملكه التي امتدت في وقت ما من العراق[*] حتى حدود الهند الشرقية[1].

- **السلطان مودود بن مسعود (432-441هـ/1040-1049م):**

لم يستقر المقام بمحمد على عرش غزنة طويلاً، فقد جاء مودود بن مسعود من خراسان مطالباً بدم أبيه، فالتقى به عند الدينور على طريق كابل وبشاور[2]، فانهزم محمد وجيشه، ودخل مودود بن مسعود غزنة في يوم الخميس الثالث من شعبان سنة (432هـ/1040م)، وقبض على عمه وأبناءه وقتلهم جميعاً ما عدا عبدالرحيم لإنكاره على أخيه عبدالرحمن ما فعله بعمه مسعود، كما اقتص من جميع من خانوا أباه مسعود، وقام مودود ببناء قرية ورباطاً في المكان الذي انتصر فيه على عمه، سماها فتح آباد[3].

استطاع مودود الانتصار على السلاجقة الذين دخلوا مدينة بلخ، وهراة، وذلك بعزيمة الأهالي في هذه الأقاليم الغزنوية، حيث ثاروا في وجه السلاجقة وأجلوهم من بلادهم[4]، ودخلوا في طاعة السلطان مودود الذي استقر له الأمر في غزنة.

لم تستقر أوضاع الحكم للسلطان مودود طويلاً حتى بوغت بتمرد وعصيان أخيه مجدود، حيث أعلن استقلاله بإقليم البنجاب، الذي سبق أن ولاه أبوه مسعود عليه سنة (426هـ/1034م)[5]، فخرج إليه على رأس قواته نحو غزنة، ولكن وافاه الأجل في شهر ذي الحجة من سنة (432هـ/1040م) بعد وصوله إلى لاهور بثلاثة أيام[6].

(*) حاول مسعود الغزنوي الخروج على الخليفة العباسي القادر بالله، وذلك بعد أن ثبت ملكه، سار إلى خراسان عازماً على قصد العراق، لكنه ما لبث أن اضطر إلى متابعة المسير إلى العراق، وعاد من نيسابور إلى غزنة سنة (424هـ/1032م)، عازماً على التوجه إلى الهند لقمع بعض المتمردين والعُصاة. ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص200، حسن عبداللطيف، الخليفة القادر بالله العباسي وسياسته الداخلية والخارجية، القاهرة، نوابغ الفكر، 2008م، ص76.

(1) أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ج1، ص105. إبراهيم عبدالمنعم أبو العلاء، المرجع السابق، ص420.

(2) أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ج1، ص105.

(3) انظر ابن الأثير، المرجع السابق، ج9، ص228، ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص385، الحسيني، المصدر السابق، ص14.

(4) ابن الأثير، المصدر نفسه، نفس الصفحة، ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص385، الحسيني، المصدر السابق، ص14، أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ج1، ص106، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج3، ص99.

(5) ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص228، الحسيني، المصدر السابق، ص5-6.

(6) ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص228، أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ص106، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج3، ص99.

سار السلطان مودود سيرة أبيه وجده في التوسع بأراضي الهند، وقد تحالف في عهده بعض ملوك الهند مثل نواس شاه ابن جيبال ملك ويهند، وديبال هريانة، وحاصروا لاهور، لكن جند السلطان مودود ردتهم آخر الأمر عنها وأعادت السيطرة وثبتت نفوذ المسلمين وهيبتهم في شمال القارة الهندية[1].

وعمل السلطان مودود على استرجاع البلاد التي استولى عليها السلاجقة في عهد السلطان مسعود، الذين أصبح خطرهم على مرّ الأيام يهدد الدولة الغزنوية، فحاربهم في سنة (435هـ/1043م) ولكن لم يكن النصر حليفة، فقد انتصر

ألب أرسلان بن داود السلجوقي على جند السلطان مودود، وبرغم هزيمة السلطان مودود أمام السلاجقة، إلا أن جماعةً من جنده تمكنت من القضاء على جماعة من الغز بنواحي بست[2].

وفي سنة (441هـ/1049م) سار السلطان مودود على رأس جيشه من غزنة لمحاربة السلاجقة، ولكن انتابه مرض، فاضطر للعودة إلى حاضرة ملكه، وفي العشرين من رجب من نفس السنة توفي السلطان مودود وهو يبلغ من العمر تسعة وعشرون سنة، بعد حكم دام تسع سنوات وعشرة أشهر[3].

حال الموت بين السلطان مودود والقضاء على قوة السلاجقة، وقد عُرف بالشجاعة والإقدام، عمل على توطيد ملكه وإعادة مملكته إلى ما كانت عليه في عهد جده يمين الدولة السلطان محمود الغزنوي[4].

توالى الملوك الغزنويون على عرش غزنة والهند إلا أن تناحرهم فيما بينهم أضعفهم، وجعل البلاد التي فتحوها تتمرد عليهم، فطمع فيهم من حولهم، فاستطاع السلاجقة في عهدهم اقتطاع أجزاء كثيرة من أرض دولتهم، فبعد وفاة مودود تولى الحكم ابنه مسعود الثاني، ولم يبق في الحكم سوى خمسة أيام، ثم تقلد السلطة عمه عبدالرشيد في سنة (441هـ/1049م)، وتم قتله في سنة (444هـ/1052م) على

---

(1) ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص241، ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص386-387، السيد أحمد بن ريني دحلان، المرجع السابق، ج1، ص336-337.

(2) ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص241.

(3) المصدر نفسه، ج9، ص258-259، ابن خلدون، المصدر نفسه، ج4، ص387.

(4) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج3، ص100، أبو العلا، المرجع السابق، ص423.

يد أحد غلمانه الذين كانوا في خدمته وهو طغرل الذي استبد بالأمر في غزنة[1]، تولى بعده فروخ زادة بن مسعود الذي تمكن من استرجاع خراسان من يد السلاجقة.

- السلطان إبراهيم بن مسعود (451-492هـ/1058-1101م):

بعد وفاة فروخ زادة في عام (451هـ/1059م)[2]، تولى الحكم من بعده إبراهيم بن مسعود، الذي قام بتوقيع اتفاقٍ بينه وبين داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب خراسان، وتنص الاتفاقية على أن يكون كل واحدٍ منهم أميراً على ما بيده ويترك منازعة الآخر في ملكه[3]، وقد أفلح السلطان إبراهيم في تنظيم شؤون الدولة كما ألزم قبائل الترك والأفغان طاعته وأقر الأمور في الهندستان[4].

كما استطاع السلطان إبراهيم مواصلة حركة الفتوحات في بلاد الهند، ففي عام (472هـ/1079م) أرسل حملةً عسكرية استولت على حصون وقلاع وغنمت الكثير من الغنائم.

كان السلطان إبراهيم على قدرٍ من التدين، فقد كان يصوم تطوعاً كل سنة ثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان[5]، ويكتب القرآن الكريم بيده كل عام ويرسل بنسخة إلى الكعبة.

تولى ولاية الهند في عهده ابنه سيف الدولة محمود من (469-480هـ/1076-1077م)، وقد اشتغل محمود غالباً بالجهاد في الهند، ومن خاصته الشاعر الكبير مسعود بن سعيد بن سليمان، الذي كان أحد الأمراء المحاربين، وكان يجالد بسيفه في ركاب سيف الدولة محمود[6].

---

(1) ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص270.

(2) المصدر نفسه، ج10، ص3.

(3) المصدر نفسه، ج10، ص3، أحمد عدوان، المرجع السابق، ص137، أبوالعلا، المرجع السابق، ص428.

(4) ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص78.

(5) المصدر نفسه.

(6) أبو العلا، المرجع السابق، ص426.

قام السلطان إبراهيم بتزويج ابنه من ابنة السلطات السلجوقي ملكشاه -أخت السلطان سنجر- ففتح بصنيعه هذا المجال لتدخل السلاجقة في شؤون الدولة، حتى قضوا على استقلالها(*).

استمر السلطان إبراهيم الملقب "ظهير الدولة" على سدة الحكم ثلاثين عاماً[1]، تولى أمور الحكم من بعده ابنه الأمير علاء الدولة مسعود (492-509هـ/1098-1115م)، ظل نفوذ الغزنويين قائم على بلاد الهند حتى وفاته، تولى بعده ولده أرسلان شاه الذي أناب عنه في بلاد الهند محمد باهليم، ولم يستمر أرسلان شاه في الحكم لفترة طويلة، حيث أعلن أخاه بهرام شاه العصيان ضده وتغلب عليه.

- السلطان بهرام شاه بن مسعود (511-548هـ/1117-1159م):

ارتقى الأمير بهرام عرش غزنة في ظل السلاجقة، فعمل على أن يستفيد من تحولهم صوب فارس بالنهوض بدولته من جديد فأمضى السلطان بهرام شاه القسم الأكبر من أيامه من الشطر الأول لحكمه الذي طال لمدة سبعة وثلاثين عاماً، في إدارة أمور الهند من غزو وجهاد وذلك بسبب استقرار الأوضاع بينه وبين سنجر السلجوقي، وأمنه من جانب خراسان وعمل على النهوض بدولته من جديد فجهد في إقرار الأمور في الهندستان، فقضى على فتن البنجاب والملتان ورد عصبة الأمراء الهنادكة عن لاهور وكانت الآمال قد بعثت في أنفس الغزنويين من جديد لطرد الغزاة من بلادهم[2].

أما الشطر الثاني لحكمه فتخلله نزاع بينه وبين ملوك الغور الذين ينزلون فيما بين غزنة وهراة، وقد بلغ هذا النزاع ذروته بين الفريقين حين سيق إلى القتل بأمر من السلطان بهرام زعيم غوري يدعى الأمير سيف الدين الغوري (543هـ/1148م)، حيث جهز هجوماً على غزنة وأفلح في دخولها فملكها

(*) سرعان ما ظهر السلطان السلجوقي بجنده في غزنة إثر وفاة علاء الدين مسعود 509هـ، فأنزل عن عرشها الأمير أرسلان، تلبيةً لدعوة أخته أرملة السلطان الغزنوي، وكانت على شقاق مع هذا الأمير الجديد الذي اضطر من بعد ذلك إلى النزوح إلى الهند، حيث وفاه الأجل هناك عام 511هـ-1117م، ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص235-237.

(1) الحسيني، المصدر السابق، ص16.

(2) أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ج1، ص108.

وفارقها بهرام شاه إلى الهند، لكنه عاد ودخلها في العام التالي (544هـ/1149م) بعد أن قتله وعندما علم علاء الدين الغوري بما حدث لأخيه سيف الدين قصد غزنة، وكان بهرام شاه قد توفى في عام (548هـ/1153م)[1].

لقد كان بهرام شاه أحمد أفضل وأشهر السلاطين الغزنويين لأنه كان ينافس السلطان سنجر السلجوقي معاصره، في احتضان وتشجيع الشعراء وأهل الفضل، فكانت غزنة ولاهور، تضارعان (مرو شاهجهان) في عهده في هذا المجال[2].

خلفه في الحكم ابنه خسروشاه الذي ترك غزنة هارباً إلى لاهور على إثر اقتحام قبائل التركمان لعاصمته بعد أن ألحقوا الهزيمة بالسلطان سنجر السلجوقي، وظل هناك حتى توفي في عام (555هـ/1155م)[3]، وقد انتهز الغور فرصة الفوضى التي عمّت البلاد إثر هجوم قبائل التركمان[4]، فانقضّوا على غزنة بقيادة علاء الدين الغوري "محرق العالم"[5]، فأعملوا فيها الخراب والدمار، نبشوا قبور السلاطين الغزنويين ما خلا قبر السلطان محمود وابنه مسعود والسلطان إبراهيم، فأشعل فيها النار، وحطّم كثيراً من الأبنية والعمائر والكتب[6].

تولى الحكم بعد وفاة خسروشاه ابنه خسرو ملك، الذي طلب الصلح في سنة (582هـ/1186م) شهاب الدين محمد بن سام الغوي، ولكن قبل أن ينجح في هذا المسعى قبض عليه أشياع شهاب الدين وتم قتله هو وابنه بهرام شاه الثاني آخر سلاطين الدولة الغزنوية[7]، وبموتهما انتهت سيرة دولة عمّرت قرنين من الزمن وغطت بأحداثها أرض المشرق الإسلامي، واستطاعت بفضل فتوحاتها أن توطّد أقدام المسلمين في بلاد الهند.

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج11، ص128.

[2] المصدر نفسه، ج11، ص128.

[3] أبو العلا، المرجع السابق، ص429.

[4] المرجع نفسه، ص429.

[5] محمد ناظم، المرجع السابق، ص29.

[6] أبو العلا، المرجع السابق، ص429.

[7] عباس إقبال اشتياني، المرجع السابق، ص207، أحمد محمد السداتي، المرجع السابق، ج1، ص110.

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية في المجتمع الغزنوي

المبحث الأول : عناصر السكان

1. العنصر العربي.
2. العنصر الفارسي.
3. العنصر الهندي.
4. العنصر التركي.
5. أهل الذمة.

المبحث الثاني : الطبقات الاجتماعية

1. الطبقة الحاكمة.
2. الطبقة الوسطى.
3. الطبقة العامة.
4. العلماء والرقيق.

المبحث الثالث : العادات والتقاليد

1. الطعام والشراب.
2. الملابس.
3. الألعاب

المبحث الرابع : الاحتفالات الدينية والاجتماعية.

1. احتفالات دينية إسلامية.
2. حفلات اجتماعية.
3. الاحتفالات الفارسية.
4. أعياد الهنود.

عناصر السكان:

تآلف المجتمع الغزنوي من عدة أجناس بشرية كان لها دور فعال في بناء الهيكل الاجتماعي للدولة الغزنوية، حيث ساهم كل جنس بما يميزه. فضم مجتمع الدولة الغزنوية الجنس العربي والفارسي والتركي والهندي، وغيرهم.

ويمكن القول أنه مجتمع جمع عناصر بشرية مختلفة الأجناس والألوان والديانات، وقد امتزجت الحياة الاجتماعية في المجتمع الغزنوي بالحياة السياسية والاقتصادية، وأصبح من الصعب الفصل بينهما، فنتج عن هذا الاندماج والتفاعل فيما بينهما مجتمعاً مميزاً في أواخر القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) يمثل المبادئ العُليا التي نادى بها الدين الإسلامي من حيث المساواة بين البشر فلا وجود لتميز بين سكان ذلك المجتمع وسنتحدث ببعض التفصيل عن العناصر السكانية التي احتواها المجتمع الغزنوي:

العنصر العربي:

في القرن (الأول الهجري/السابع الميلادي) فتح العرب إقليم بلاد فارس وخرسان وما وراء النهر، والسند في عصر الفتوحات الإسلامية، استقروا بها واختلطوا بالفرس والترك، وأصبحت هذه البلاد ولآيات إسلامية تجمعها وحدة الإسلام ووحدة الانتماء إلى الدولة الإسلامية بعد أن كانت تنطوي تحت الإمبراطورية الفارسية[1] وفي القرن الرابع والخامس الهجريين تناقص الجنس العربي في تلك البلاد، وذلك بسبب عدم استمرار الهجرات العربية في العصر العباسي، وامتزاج العرب الفاتحين مع أهل الأقاليم المفتوحة عن طريق التزاوج والاستقرار فيها، وتعلم لغتهم، والتأثر بثقافتهم وعاداتهم الاجتماعية، مما أذاب الجنس العربي بمرور الزمن باستثناء العرب البدو الرحل الذين ظلوا محافظين على عاداتهم وتقاليدهم، لم يتزوجوا من غير جنسهم[2].

---

[1] عصام الدين عبدالرؤوف.المرجع السابق ص 272.

[2] محمد عبد العظيم أبوالنصر، المرجع السابق، ص 114.

ومن الأماكن التي عُرفت بوجود العرب فيها، إقليم السند وخاصةً الملتان والمنصورة وطوران وفي إقليم خوزستان وفي خرسان، وقد كان عرب خرسان وما وراء النهر يميل بعضهم إلى الحياة البدوية، لذا نشأ أبناؤهم نشأةً خشنة ذات نزعة حربية، ولعل ما دفعهم إلى ذلك دفاعهم عن أموالهم ومواشيهم من غزو الغازين وطمع الطامعين، وكان لهم بذلك دور في حماية الدولة الغزنوية على الأقل في أماكن انتشارهم[1].

أما عرب السند فكانوا أكثر ميلاً لحياة الاستقرار لمزاولتهم التجارة وأعمالهم، فكثر عددهم وعلاَ شأنهم، واتسعت ممتلكاتهم[2]، وكان للعرب دور في الحياة السياسية في الدولة الغزنوية منهم من التحق بالخدمة العسكرية في الدولة الغزنوية فساهموا في فتوحات بلاد الهند والتوسع الداخلي، فكان "أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي" يقود كتيبة عربية ويصفه المؤرخ العتبي بزعيم العرب[3] وكان ينطوي تحت إمرته في بعض المعارك إضافةً إلى العرب، أكراد وهنود وقد شارك هؤلاء العرب السلطان محمود الغزنوي في معظم أعماله العسكرية، وجاء في كتاب تاريخ البيهقي إشارةً للعنصر العربي فيذكر أنه كان للعرب في الدولة الغزنوية دور كبير، حيث استعانوا بهم في حروبهم ضد السلاحقة والقراخانيين؛ وكان منهم أهل للرأي والمشورة ومنهم من كان من دماء السلطان مسعود وقائد للفرقة العربية في معركة دندانقان القائد "أبا الحسن عبد الجليل"، ويذكر البيهقي بهذا الخصوص عرض أبي الحسن علي السلطان مسعود الغزنوي يوضح له مدى أهمية العنصر العربي في جيش السلطان ويطالب لهم بحقوقهم "نحن...العرب لدينا إبل وخيول كثيرة والسلطان في حاجة إلى المزيد منها للجيش الذي يعده، وكل ما لدينا هو نعمه ومن دولته، فيجب إعداد سجل وأن يفرض على كل منا شيء منها[4].

---

[1] محمد عبد العظيم أبوالنصر، المرجع السابق، ص 114.

[2] المرجع نفسه، ص 115.

[3] العتبي، المصدر السابق، ص 242-242 .

[4] البيهقي، المصدر السابق ص 654-689.

وقد كان حاكم "المنصورة" وحاكم "الملتان"عربيين من قريش أسرة تنتمي إلى شخص يُعرف بـــ "هباربن الأسود" كما كان لقبيلة ابن يهيج العربية دوراً في القضاء على آخر أمراء آل سامان إسماعيل المنتصر سنة (395هـــ/ 1004م)، فقد كان السلطان محمود أوصاهم بطلبه فقبضوا عليه وتم قتله[1].

ولا ننسى أن نذكر دور العرب في انتشار اللغة العربية بين تلك المجتمعات لأن ذلك ضرورة فرضتها عليهم طبيعة الدين الإسلامي ومن جهة أخرى يمكن القول بأن العرب تعلموا مبادئ لغة أهل البلاد لضرورة التعايش[2].

وهكذا نرى أن العنصر العربي قد تفاعل مع المجتمع الغزنوي فأثر فيه وتأثر به، وقد ظهر هذا التأثير في مجالات الحياة المختلفة فلم يقتصر على الحياة الاجتماعية فقط.

العنصر الفارسي:

هُم الشعب الرئيسي في المشرق[3]، وهم يمثلون الأغلبية الساحقة في المجتمع الغزنوي، وقد كان لهذا العنصر دوره الحضاري الرائد في الناحية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بفضل جهودهم، وذلك ناتج عن حياة الاستقرار التي يعيشونها مما ساعد على ازدياد النشاط الزراعي والصناعي والتجاري للبلاد، فاهتم سكان المدن بتقديم الخدمات المدنية من إنشاء الأسواق والفنادق والمطاعم والحمامات لخدمة النزلاء وطلاب العلم والتجار والصناع فعمرت بهم المدن وازدهت وأصبحت المدن الفارسية في المشرق مراكز حضارية كبيرة مثل بخارى وسمرقند وأصفهان[4].

وللفرس دور كبير في مجال العلم والتعليم والتأليف والتدوين كوسيلة لتكسب، وكان لرجال العلم من الفرس مساهمات رئيسة في ازدهار الفكر

---

(1) ابن الأثير-المصدر السابق، ص 77.

(2) محمد عبد العظيم أبو النصر السابق ص 115.

(3) عصام لدين عبد الرؤوف -المرجع السابق ص273.

(4) المرجع نفسه ص 273، أمير عبد العزيز، الوجيز في تاريخ الإسلام والمسلمين،بيروت دار ابن حزم،2003م ص145.

الإسلامي، منهم ابن سينا والفارابي، وجابر بن حيان[1]. كما برعوا في العلوم والأدب والطب، ولهم دوراً فعال في المناصب الإدارية فمنهم الفقهاء والخطباء والقضاة والأئمة، والعلماء والأطباء والأدباء والمحتسبين لهذا أطلق عليهم أهل القلم[2].

العنصر الهندي:

بدأ ظهور العنصر الهندي في المجتمع الغزنوي منذ قيام الدولة الغزنوية التي مدت نفوذها على البلاد إثر قيامها بالفتوحات الإسلامية، ونشر دين الإسلام فيها، وكان المجتمع الهندي قبل انتشار الإسلام يمر بمرحلة انحطاط خطير في النواحي الاجتماعية، والأخلاقية. وقد عرف عن المجتمع الهندي أنهُ مجتمعاً طبقياً[3]، فكان يقع الكثير من الظلم على الطبقة الكادحة، وكان الطبيعي أن يتعلق هؤلاء بالدين الإسلامي لما فيه من مساواة تامة، وعدالة اجتماعية، يحظى دائماً بتأييد المغلوبين على أمرهم، ويُعد ذلك من أهم الأسباب التي ساعدت في انتشار الإسلام في المجتمع الهندي.

وفي بداية الحكم الغزنوي لبلاد الهند لم يهتم حكام الدولة الغزنوية بذلك الإقليم، ولكن ما أن زادت قوة السلاحقة وانتصاراتهم على الغزنويين واستيلائهم على مدينة غزنة عاصمة الدولة الغزنوية، لذا كان من الطبيعي أن تكون وجهتهم إلى بلاد الهند، فزاد اهتمامهم بها خاصةً وأن إقليم البنجاب والمدن الهندية المجاورة لها تميزت بالغنى ووفرة الثروات، فأصبح القسم الهندي محط اهتمام الحكام الغزنويين.

استقر الهنود في الملتان والمنصورة وحوض نهر مهران(السند) وكانوا أصحاب زراعة، وكان من أهم منتجاتهم الزراعية الأرز والحنطة، واستقر بعضهم في المدن فعاشوا حياة أهلها فزاولوا مهنة التجارة وتقديم الخدمات المدنية،

---

(1) عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص273.

(2) البيهقي المصدر السابق ص 269.

(3) طه نداء، فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، بيروت، دار النهضة العربية، 1975م، ص 195

كما توجد قبائل رعوية مثل قبيلة (السومرهط، والبدهة) التي اعتمدت في حياتها على رعي الإبل وانتشرت هذه القبائل في حوض السند الغربي إلى حدود مكران في منطقة الرعي[1].

كذلك انتشر الهنود في باقي أقاليم الدولة الغزنوية-خارج بلاد الهند-على هيئة رقيق عقب الفتوحات الغزنوية لبلاد الهند.

كان للهنود مشاركة في الحياة السياسية للدولة الغزنوية، خاصةً بعد انحسار النفوذ الغزنوي في الهند لأكثر من قرن من الزمان، حيث يمكن القول أن المجتمع الغزنوي أصبح مجتمعاً هندياً خالصاً من بداية القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)، ومن العوامل التي قربت بين الهنود والمسلمين، أن الهنود وصلوا إلى أرفع المراتب في الدول فتولوا مناصب الوزارة والكتابة والقيادة، كما اعتمدت عليهم الدولة الغزنوية في السلم الوظيفي حتى أصبحت الحكومة تركية الرئاسة في الظاهر هندية في الواقع[2]. فقد كان للهنود دور في تولي منصب نائب السلطان في الهند ونائب السلطان هذا كانت لهُ القيادة العسكرية فقط أما أمور الدين والسياسة يقوم بها قاضي شيرازمثل تلك بن جاوسن[3]. الذي كان مقرباً للسلطان مسعود وكان مترجم بين الوزير الميمندي وبين الهنود، وكان يُحسن الكتابة بالفارسية والهندية، وعلى الأغلب قام الغزنويون بفتح باب المشاركة أمام الهنود المسلمين في تولي مركز الحكومة المحلية، حيث أبقوا على الأمراء الدين أعلنوا إسلامهم ودخلوا في طاعتهم، وأتاحوا بذلك فرصة اندماج الهنود مع بقية العناصر الأخرى في المجتمع الغزنوي. كما استخدم الغزنويون الهنود في الجيش، وفرضوا العطاء وعاملوهم كما عاملوا الأتراك[4]، فقد شارك قادة هنود الغزنويين في حروب خارج بلاد الهند، منهم القائد الهندي سوندر[5] على رأس قوة كبيرة من

---

[1] محمد عبد العظيم أبو النصر، المرجع السابق ص 118.

[2] الساداتي، المرجع السابق، ج1، ص 234.

[3] البيهقي المصدر السابق ص 430-431.

[4] حسن أحمد محمود، الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، القاهرة الهيئة العامة المصرية العامة للكتاب 1972، ص251.

[5] البيهقي المصدر السابق ص431

الفرسان الذين أرسلوا لمحاربة بعض الأمراء المتمردين على الدولة الغزنوية؛ إذا يمكن القول أن للهنود دور فعال في الدولة على الأقل في النصف الثاني من حكمها.

العنصر التركي:

جاء الأتراك من شرق آسيا واستقروا في وسطها في بلاد ما وراء النهر، وقد قام الفرس بجلبهم إلى المشرق على شكل جند وكثر عددهم فبرزوا وأثبتوا كفاءتهم في الحروب وفي الجندية، وتدرجوا حتى وصلوا إلى رتبة القادة في الجيش الساماني[1]، وبمرور الزمن تمكنوا من السيطرة على مقاليد الحكم في دولة آل سامان وأسسوا أولاً دولة تركية إسلامية[*].

يمثل العنصر التركي في الدولة الغزنوية أكثرية نسبية إذا ما قيس بالوجود العربي في أنحاء الإمبراطورية الغزنوية[2] ويرجع انتشار الأتراك لعاملين، أولهما- الهجرات التركية البدوية المستمرة إلى إيران طيلة عهد السلطان محمود الغزنوي، وعهد ابنه السلطان مسعود، فكانوا يقومون برعي المواشي وينتقلون بحثاً عن الماء والكلأ، ويقومون في بعض الأحيان بشن غارات على مراعي الدولة المجاورة لمراعيهم بقصد الكسب والحصول على الأموال عن طريق السلب والنهب، وقد شكل الأتراك البدو مصدر قلق وإزعاج للدولة الغزنوية في خراسان نتيجة لتمادي السلطان مسعود في قمعهم[3]، فنتج عن ذلك أنهم نظموا صفوفهم لمحاربة الدولة الغزنوية مشكلين بذلك النواة لقيام دولة تركية جديدة في إقليم خراسان، وهي الدولة السلجوقية.

---

(1) عصام الدين عبدالرؤوف المرجع السابق ص274

(*) في أواخر القرن التاسع الميلادي أسست أسرة قراخان (قارخان تعني الملك الأسود، بالتحالف مع القبائل التركية الأخرى الدولة القرخانية في غرب سينكيانخ وآسيا الوسطى وفي أواسط القرن العاشر الميلادي تحولت الدولة القرخانية إلى الإسلام)، كلود كاهن، المرجع السابق ص348، وترى الباحثة أن تحول دولة قائمة مسبقاً إلى دين معين، لا يمكننا اعطؤها صفة أنها تأسست على ذلك الدين بل يمكن اعتبارها تحولت من وضع ديني لآخر بينما نجد أن الدولة الغزنوية تأسست مند البداية على دين الإسلام، ولهذا يمكن اعتبارها أول دولة إسلامية تركية.كلود كاهن، المرجع السابق ص348

(2) محمد عبد العظيم أبو النصر- المرجع السابق، ص116.

(3) المرجع نفسه ص117.

أما العامل الثاني تمثل في جلب الأتراك على شكل رقيق، وكان الأتراك أفضل حالاً من الأتراك المهاجرين، لأنهم حضوا بعناية كافية لدى السلاطين والأمراء فكانت تناط لهم خدمة القصور وقد ارتقى بعضهم إلى درجة الحجابة، وقيادة الجيش، والوزارة وولاية بعض الأقاليم، مثل "حسنك"[1] وزير السلطان محمود و "التونتاش" كان عبداً للسلطان محمود ثم عينه نقيب لفرسانه ارتقى إلى وضيفة حاجب الحجاب ثم في مرتبة السالار "القائد" ثم أميراً لخوارزم[2]، وكذلك "ارياق" الذي عمل والياً على الهند في عهد السلطان مسعود، ثم خلفه "أحمد بن ينالتكين"[3] ، ومن أبرز هؤلاء الأتراك الذين تحولوا من وضع العبيد أو الرقيق "طغرل" غلام السلطان عبد الرشيد الذي انقلب على السلطان وسلب منه السلطة سنة (443 هـ / 1051م)[4].

خلاصة القول إن العنصر التركي كان له دورٌ فعال في قيام الدولة الغزنوية وفي سقوطها، ولعل ذلك يرجع إلى كثرة أعدادهم ومهاراتهم القتالية.

أهل الذمة:

تمتع أهل الذمة من اليهود والنصارى بكثير من سياسة التسامح الديني والعدل، فقد مارسوا شعائرهم بحرية تامة وفي حالة من الأمن والاطمئنان بشرط أداء الجزية ولم يُفرض عليهم الإسلام[5]، وقد كان عدد اليهود يفوق عدد النصارى[6]، فكان من الطبيعي أن يزداد عدد اليهود في المدن التي تقع على طريق التجارة مثل مدينة أصفهان، وهمذان والري، وبلخ، وجوزجان وفي كل من غزنة وكابل بأعداد كبيرة.

---

[1] البيهقي- المصدر السابق ص63.

[2] المصدر نفسه ص678

[3] المصدر نفسه ص430-449

[4] عصام الدين عبد الرؤوف-المرجع السابق ص277، محمد عبد العظيم أبو النصر المرجع السابق ص117.

[5] عصام الدين عبد الرؤوف -المرجع السابق ص275

[6] أحمد أمين، المرجع السابق، ص82، محمد عبد العظيم أبو النصر، المرجع السابق ص119

لم يكن للذميين دور أساسي في الدولة الغزنوية فاقتصر دورهم على المشاركة في النشاط التجاري، بالإضافة إلى أنهم شاركوا المسلمين في وظائف الدولة وفي ممارسة مهنة الطب في المشرق الإسلامي حيث استعان حكام الدولة الغزنوية بالأطباء الدميين، فكان للسلطان مسعود طبيب يهودي اسمه "يعقوب دانيال" الذي كان ذا شهرة في مجال الطب، كما كان لبهرام شاه طبيب مسيحي اسمه "أبو سعد موصلي"[1].

كما كان يُقيم في المجتمع الغزنوي المجوس[*] والوثنيون الذين عُوملوا معاملة أهل الذمة يُؤدون الجزية في مقابل التمتع بحقوق المواطنة، فعاشوا إلى جانب المسلمين في رعاية تامة، وحفظت لهم الدولة الغزنوية حقوقهم، وينتشر المجوس في هراة، وبست وأنحاء خراسان في بلخ ونيسابور ومرو وأصفهان وهمذان والري وكرمان وغيرها وتصل نسبة بيوت نار المجوس في بعض نواحي البلاد إلى ما يزيد على خمسمائة ألف بيت[2].

أما الوثنيون، فينتشر الكثير منهم في مدن إقليم السند مثل "طوران والمنصورة والملتان"، وتمت معاملتهم معاملة أهل الذمة وقد حدث أن تمرد الوثنيون في عهد السلطان (عبد الرشيد)، حيث خلعوا طاعته وتجمعوا حول (سومرة) ليكون ملكهم واستقل الآخر بنواحي (تهري) والأجزاء الجنوبية لحوض السند[3].

---

[1] البيهقي، المصدر السابق ص85.

[*] المجوس : اعترفت بهم الدولة العباسية مند القرن الرابع الهجري بأنهم أهل دمة، المسعودي-المصدر السابق ج 2، 243.

[2] محمد عبد العضيم أبو النصر المرجع السابق ص 119.

[3] المرجع السابق ص 120.

الطبقات الاجتماعية:

بسبب تنوع التركيبة السكانية للمجتمع الغزنوي، ظهرت فيه العديد من الطبقات الاجتماعية اختلفت في طريقة حياتها، ضمت كل طبقة العديد من الفئات، ويمكن تقسيم هذه الطبقات إلى ثلاث طبقات هي:

1- **الطبقة الحاكمة**:

الطبقة العليا الأرستقراطية (الأسرة الحاكمة) وهم السلاطين والأمراء والحكام والولاة، وأبناؤهم وأفراد أسرهم ومن يلوذ بهم من الوزراء المدبرين لأمورهم والقادة القائمين بشؤون الأمن والجيش، والفقيه المبصر بأمر الدين بالإضافة إلى الكتاب وغيرهم، بهم تشكلت حاشية السلطان والتي كونت بدورها الطبقة العليا في المجتمع[1].

كان أفراد هذه الطبقة يمتلكون ثروات كبيرة متمثلة في الضياع الواسعة والقصور التي امتلأت بالذهب والفضة والجواهر والأثاث الفاخر، كما كان أصحابها يمتلكون عدداً أكبر من الجواري والغلمان، وتُقام في هذه القصور حفلات متعددة في مناسبات مختلفة فتمد الموائد ويُنثر الذهب والفضة، وعرس السلطان مسعود الغزنوي من "مهد" بنت باكاليجار أمير جرجان خير دليل على ترف تلك الطبقة وثراءها، فيذكر البيهقي أنه لم يرد على نيسابور أفضل من هذا الاحتفال على مدى السنوات السابقة، ومن مظاهر البذخ في هذه الليلة، أُضيء فيها 395 من الشموع والمشاعل، كما وصف البيهقي جهاز العروس بقوله: "كان للعروس سرير كأنه البستان... فأرضيته من نسيج الفضة المزخرف، وقد اجتمعت عليها ثلاث أشجار من الذهب، أوراقها من الفيروز والزمرد، وثمارها من أنواع الياقوت...ويحيط بهذه الأشجار الثلاث عشرون من آنية النرجس والورود والرياحين كلها من الذهب والفضة والجواهر"[2].

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق ص275، محمد عبد العظيم أبو النصر، المرجع السابق ص120.
[2] البيهقي المصدر السابق ص 418-421.

أما بالنسبة لتربية أفراد هذه الطبقة لأبنائها فلم يرد الكثير عنها في المصادر، وكل ما سيذكر بهذا الشأن سيكون من كتاب التاريخ اليميني وكتاب تاريخ البيهقي نظراً لاتخاذهم شخصية محددة من سلاطين الدولة الغزنوية للحديث عنها وسردهم للأحداث التي مروا بها، ونستنتج من خلال ما تم الاطلاع عليه أن الأمراء في هذه الطبقة يخضعون لنظام تربوي خاص بهدف إعدادهم للحياة السياسية فيما بعد، فعادةً ما ينشأ الأمير في منزل والده وتحت رعايته، كما جرت العادة على تربية الأمراء في صغرهم في أحدى الضواحي أو المدن القريبة من غزنة، فالسلطان محمود قام بإرسال ابنيه مسعود ومحمد وأخيه الصغير الأمير يوسف، إلى بلاد "داور" وأسند مهمة الإشراف على خدمتهم ورعايتهم إلى "ريحان الخادم" وأبنائه، فتعلموا هناك القرآن الكريم إلى جانب التفسير وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما درسوا الإنشاء واستمعوا إلى الحكايات والسير والأخبار، ويتم تعليمهم تنظيم الوقت بحيث يتحصلون على فرصة للتنزه ومشاهدة ألعاب الصولجان والتدرب على الصيد إلى جانب تلقي العلم[1]، وهذا ما حدث في السابق مع السلطان محمود في بداية حياته حيث تلقي علومه عن طريق معلم خاص وهو والد القاضي أبي علي صينية[2]، فتكونت لديه خلفية لمختلف المعارف الدينية[3]، كحفظ القرآن الكريم ونيل قسط من علوم الفقه والحديث[4] كما اكتسب مهارة في الفنون القتالية فهو مبارز بالسيف على درجة كبيرة من الكفاءة، وبارع في الرماية ومقاتل بالرمح منقطع النظير[5].

وقد كانت فئة الأعيان والأمراء والرؤساء تختار لأبناءها مؤدباً خاصاً، ومن أشهر المؤدبين في "نيسابور" أبوبكر محمد ابن العباس الخوارزمي، أبو العباس محمد بن أحمد المأموني... وغيرهم[6].

---

(1) البيهقي، المصدر نفسه، ص 115-116.

(2) محمد ناظم المرجع السابق، ص57.

(3) العتبي، المصدر السابق، ص10.

(4) عائدة قاسموفا شهذار، نهضة الإسلام والظروف المواكبة لها (دراسة فكرية وتاريخية)، مجلة ابن رشد، هولندا، يوليو 2011م العدد الثالث.

(5) محمد ناظم، المرجع السابق، ص 58.

(6) محمد عبد العظيم أبو النصر، المرجع السابق ص122.

2- **الطبقة الوسطى**:

تجمع لدى الدولة الغزنوية بعد فتح الري وخزارزم وسجستان وبخارى والهند الكثير من العلماء من قُضاة وفقهاء وكلاميين وأدباء وشعراء... وغيرهم وحظيت هذه الفئة بالاهتمام والتكريم والتبجيل والتشجيع من السلاطين والوزراء والأمراء مما جعلهم يعيشون حياة رغده، فهم مثلوا أعلى طبقة اجتماعية تلي الطبقة الحاكمة[1]، ومن هؤلاء العلماء والأدباء البيروني والفردوسي والعنصري والفرخي، ومن القضاة أبا صادق التباني[2].

تعد هذه الفئة أكثر الفئات شعوراً بالتمسك والوفاء بعقد الطاعة لولي الأمر، وقد سُجل لها المشاركة في النهضة الحضارية التي شهدها العالم الإسلامي في القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي)، ومن أهم ما يميز هذه الفئة كثرة السفر والترحال لمقابلة العلماء والتزود بمعارفهم والدخول في مناظرات علمية، كما جرت عادةً الفقهاء والزهاد والمتصوفة على قضاء معظم أوقاتهم في المساجد، فقد اشتهرت بذلك، مساجد في هراة وبلح وسجستان ومرو ونيسابور بازدحام الفقهاء والزهاد وأرباب القرآن.

ضمت هذه الطبقة فئة أخرى وهي فئة التجار والصناع والمزارعين، وهؤلاء لا يجدون المال إلا في ظل الطبقة العليا[3]، حيث ارتبط بعض التجار بالقصور السلطانية والأمراء ورجال الدولة مما جعلهم ينمون ثرواتهم بشكل كبير فعاشوا حياة الترف مثلهم، ومن هؤلاء التُجار من كان موظف بالدواوين، بحيث يسعون إلى تنمية مواردهم بالمتاجرة بما يحصلون عليه من مكافآت تشجيعية من السلطان[4]، وكان بعض التجار يتعاملون بالبضائع الثمينة، والبعض الآخر بالسلع اليومية.

---

(1) عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص275.

(2) البيهقي، المصدر السابق، ص226.

(3) عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص275.

(4) محمد عبد العظيم أبو النصر، المرجع السابق، ص122.

زاد نفوذ التجار إلى أن أصبح البعض منهم في مصاف رجال الدولة، وكان يحق للتجار المطالبة بحقوقهم حتى ولو كان من السلطان دون أن يتعرضوا لسوء، كما فعل أحد التجار حين طلب من السلطان محمود الغزنوي دفع ثمن ملابس اشتراها ابنه مسعود، فأمر السلطان ابنه بالدفع أو المثول للقضاء[1]، وهذا يدل على مكانة القضاء في الدولة الغزنوية وحرص حكامها على إقرار الحق حتى لو كان على أنفسهم وأبناءهم.

أما فئة الحرفيين والصناع والفلاحين فقد شملهم الرخاء الذي صاحب الدولة الغزنوية في فن العمارة والبناء مما جعلها مستقر للصناع والفنانين والفعلة مما جعل لهم دوراً بارزاً في البناء الحضاري للدولة، ففي غزنة عُرف أرباب الحِرف في أماكن منفصلة، عرف كل مكان بأصحاب حرفته، فقد عرفت فيها قرية للحدادين، وسوق للصيارفة[2]، وغيرها، وقد يكون هذا النظام متبع في بقية المدن الأخرى.

أما بالنسبة للمزارعين ومربي الحيوانات، فقد كانوا يساهمون في توفير احتياجات البلاد من الأغذية المتنوعة ويمكن أن نستنتج من حديث البيهقي عن السيل الذي اجتاح غزنة نجد أنهم أكثر الفئات تضرراً وخسارة[3]، كما لم يكن لفئة المزارعين نشاط سياسي أو اجتماعي بارز، فلا يساهمون في الحملات الحربية، وقد كانت تقع عليهم أعباء الظلم الذي يفرضه عليهم الدهاقين وولاة الأقاليم في دفع الضرائب الباهظة التي تضر بهم في بعض الأحيان.

3- **الطبقة العامة**:

هم السواد الأعظم من صغار الفلاحين وكتاب الدواوين والعمال والجند والشرطة وصغار التجار وهؤلاء يُؤدون الضرائب الباهظة ويقومون بالأعمال الشاقة، فعلى الرغم من أن دعوة الإسلام إلى المساواة صريحة واضحة إلا أن هده

---

[1] عبد الهادي محمد محبوبة، المرجع السابق، ص299.

[2] البيهقي، المصدر السابق، ص286-287.

[3] المصدر نفسه، ص286-287.

المساواة لم تكن تتحقق دائما عند التطبيق العلمي وقد يكون مرجع هذا إلى النقص الكامن في الطبيعة البشرية الذي جعل من الصعب على الحكام أن يُراعوا هده التسوية الكاملة بينهم وبين المحكومين[1]، فقد كانت الحكومة تُثْقل كاهل الرعايا بعبء صيانة الأبنية الضخمة التي شادتها بالأموال التي جلبتها من بلاد الهند، مثل البستان الكبير الذي أنشأه السلطان محمود ببلخ وكلف سكان المدينة مؤنة صيانته، مما جعلهم يغتنون من جراء هذه التكاليف الباهظة التي فرضت عليهم، فتظلموا للسلطان فأعفاهم من ذلك بعد مرور أربعة أشهر، وهو يتأهب للرحيل إلى غزنة، حيث أصدر أمراً كتابياً بإعفاء أهل بلخ من مؤنة البستان وجعلها على اليهود على ألا تزيد عن خمسمائة درهم[2].

كما كانت الحملات العسكرية مصدر بلاء وخراب لهذه الطبقة، فقد حدث أن أُمر بجمع الأموال اللازمة لإحدى الحملات العسكرية في عهد السلطان محمود وتم ذلك في غضون يومين، مما دفع بعض المستشرقين إلى القول بأن "لعهد محمود الغزنوي جوانب أكثر إجحافاً وأضحى أدت لهلاك الآلاف من رعاياه نتيجة لكثرة الضرائب"[3] ولعله يقصد بذلك القحط الواقع بنيسابور في سنة (401هـ/ 1010م)[4]، الذي أضر بالناس أضراراً بليغة، فما كان من السلطان محمود إلا أن أمر عماله بصب الأموال على الفقراء والمساكين وساعد ذلك على إنقاذ الرعية من الهلاك[5].

كذلك ما حدث مع أهل (لمغان) عندما تعرضت بلادهم لغزوات الهنود المتكررة، مما أدى إلى تدمير بلادهم حتى أنهم لم يستطيعوا دفع الضرائب للسلطان محمود، فقام وفداً من أعيان المدينة بالذهاب إليه ليطلبوا منه إعفاءهم من

---

(1) طـه ندا ، المرجع السابق، ص195-196.
(2) أبو العلا، المرجع السابق، ص402.
(3) باتولد، تركمستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة: صلاح الدين هاشم ، الكويت، 1981 ص325-328.
(4) العتبي، المصدر السابق، ص325-328.
(5) المصدر نفسه، ص329.

الضرائب في ذلك العام، فقام الوزير الميمندي بإلغاء الضرائب عنهم في تلك السنة والسنة التي تليها[1].

خلاصة القول أن العلاقة بين الحكومة والطبقة العامة سادها شيء من الاتفاق والانسجام في بعض الأحيان، فلا نستطيع أن نُلقي التهم الجازمة كما فعل بعض الباحثين مثل طه ندا وبارتولد دون التعمق في دراسة الرابط المشترك بينهما، فمن خلال الدراسة في المصادر لاحظنا أن العلاقة بينهم علاقة تبادل منفعة، فعندما كان السلطان يتأهب لخوض غزوة من غزواته يفرض الضرائب القاسية على الرعية لتمويل الحملة العسكرية، ولكن عندما يشتكي إليه الرعية عدم قدرتهم على دفع الضرائب أو إذا حلت بهم كارثة طبيعية كسيل أو قحط كان يسارع بإغداق الأموال عليهم ويتم إعفاؤهم من الضرائب.

4- الغلمان والرقيق:

إن الدارس في الطبقات الاجتماعية في المجتمع الغزنوي، لا يمكنه التغاضي عن ذكر الغلمان والرقيق، بالرغم من أنهم لم يشكلوا طبقة اجتماعية، بل هم فئة تعتبر من أكثرا الفئات اندماجاً في الطبقة الحاكمة ولا يمكن فصلها عنها، وقد كان للغلمان الأتراك دور بارز في الحياة الاجتماعية للدولة الغزنوية ويرجع ذلك لعدة أسباب أهمها انتماء الغزنويين لهم، وذكرنا فيما سبق أن البتكين كان غلاماً للسامانيين، وتدرج في المناصب حتى أصبح قائداً للجيش ثم لجأ إلى غزنة واستولى عليها وكون بها نواة الدولة الغزنوية، وقام البتكين بشراء ثلاثين غلاماً[2]، وهذا ما يؤكد بروز عنصر الغلمان في الدولة وهو أن هؤلاء الغلمان الذين كان من بينهم سبكتكين الذي شعر نحوه البتكين بود خاص إلى أنه رقاه بسرعة في مراتب غلمان القصر[3]، بينما خضع البقية لنظام صعب من التدريب والأعمال الشاقة حتى رفعوا من رتبة الغلمان تدريجياً وفقاً لخدماتهم وكفاءتهم

---

(1) نظام الدين السمرقندي: جهاز مقالة، ترجمة د. يحي الخشاب، د. عبد الوهاب عزام، القاهرة 1945 م، ص27-27.

(2) البيهقي، المصدر السابق، ص216-218.

(3) محمد ناظم، المرجع السابق، ص

فتولى بعضهم قيادة الجيش والوزارة، ومنصب الوالي في بعض البلاد[1] ولم يكن من اليسير على السلاطين أن يجدوا غلاماً يخلص لهم ويستطيعون الوثوق به ويعتمدون عليه، وإذا حالفهم الحظ في الحصول على غلام بهذه المواصفات فإن عليهم الاحتفاظ به، وقد قال الحكماء "إن غلاماً صالحاً مخلصاً خيرٌ من مائة ولد، لأن الولد يريد أن يموت أبوه ليخلفه، في حين الغلام يتمنى لسيده طول الحياة"[2].

ومن الغلمان من كان في سلك الأشراف وهو الديوان الخاص بأمن الدولة، كما تم استخدامهم في حراسة القصور[3]، وقد كان الغلام يُعطي كهدية أو هبه بين أفراد الطبقة الحاكمة ومثال على ذلك الغلام طغرل الذي أرسلت به السيدة خاتون أرسلان من التركستان هدية للسلطان محمود والذي وهبه بدوره إلى أخيه الأمير يوسف[4].

أما بالنسبة للرقيق فقد انتشرت أسواق بيعهم في بلاد ما وراء النهر وخراسان، وتميز بعضهم بقدر كبير من الجمال والذكاء، تم استخدام الرقيق في العمل بالجندية، أو خدمة البيوت، أو مساعدة مالكه في التجارة أو الصناعة أو مرافقته وللمملوك (الرقيق) الحق في العمل خارج نطاق سيده ليجمع المال الكافي لتحرير نفسه من الرق، ومن أهم أنواع الرقيق(الخصيان) الذين كانت تجري لهم عملية تنفي عنهم صفاتهم وقدراتهم الجنسية، وهذه العملية ترفع من قيمة الرقيق فيُباع بثمن مرتفع لأنهم يعملون في القصور ويختلطون بالنساء[5]، وقد حدث بعض حالات الغش في تجارة الرقيق الخصي، كأن يُباع على أنه خص وهو غير ذلك، وهذا ما حدث في قصر السلطان محمود حيث شعرت إحدى النساء بأن الخصي الذي يخدمها غير ذلك لإظهاره محاولة شهوانية نحوها ولما علم السلطان بذلك نال من المملوك وبائعه[6].

---

(1) عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص277.

(2) عبد الهادي محمد رضا حبوبة، المرجع السابق، ص120.

(3) البيهقي، المصدر السابق، ص120.

(4) المصدر نفسه، ص276-277.

(5) عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص276، محمد عبد العظيم أبو النصر، المرجع السابق ص130.

(6) المرجع نفسه، ص274.

أما الجواري فكان لهم أهمية كبيرة في التسري، وإذا أنجبت الجارية لسيدها تصبح أم ولد وترتفع مكانتها وتصبح وسط بين المرأة الحرة والجارية، والجواري اللاتي يُتقن الغناء ويتعلمن الألحان تزداد مكانتهن ويبعن بأثمان مرتفعة، فقد يستخدمها صاحبها في إحياء حفلات الزواج والطرب والختان، ومن أشهر مطربات غزنة "ستي زرين"[1]. وقد كان بغزنة حي للملاهي يسمى شادي أباد يتعاقد فيه رئيس هذا الحي مع طالبي عقد الحفلات، ويتم الاستماع وإقامة الحفلات مقابل أجر من المال[2].

ذكرنا فيما سبق أن الرقيق والغلمان كان لهم دور مهم في قيام الدولة الغزنوية، فهل لهم دور في ضعف وانهيار الدولة؟

يتضح لنا من خلال دراسة بعض المصادر والمراجع التي بين يدينا أن هناك حركة تمرد وعصيان قادها بعض الغلمان داخل الدولة ففي عهد السلطان محمود قام (قلبقان) وبعض الغلمان بمحاولة لنهب رحل السلطان، وقد خرج ألتونتاش لردهم عن ذلك، فما كان من قلبقان إلا أن قدم الاعتذار والتوبة عن هذا الصنيع[3].

كذلك قام هارون ابن ألتونتاش بعد توليه منصب أبيه (حكم خوارزم) بالتحالف مع الترك السلاجقة ثم أعلن في شوال 423هـ/ 1013م، بعد أن أعد لنفسه المضلة والراية السوداء كدليل على استقلاليته بالأمر، لكنه لم يُحرز نجاحاً فقد أخمد مسعود فتنته بيسر وأدب السلاجقة أيضاً[4].

كما كان بعض الغلمان يتقاعسون عن واجباتهم في عهد السلطان مسعود، ويروي لنا المؤرخ البيبهقي ما قاله الحاجب بكتغدي عندما سألوه عن تدبير أمر الغلمان أو توجيه فوج منهم إلى مكان ما إبان حرب السلطان مسعود مع السلاجقة في مرو "علم ذلك عند أرتكين فإن السلطان قد خوله هذا الأمر... وأنا لا أرى شيئاً، وقد عجزت عن العمل فماذا تريدون مني"، كما يذكر – الحاجب بكتغدي أنه

---

(1) البيهقي، المصدر السابق، ص420

(2) المصدر نفسه، ص6، وانظر عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص278.

(3) البيهقي، المصدر السابق، ص746.

(4) المصدر نفسه، ص747.

رأى غلمان السلطان مسعود يخذلونه في المعركة وينضمون إلى الفارين[1]، نلاحظ مما سبق وجود اضطراب وفوضى وعدم القدرة لفرض السيطرة على الغلمان، وقد كان سبب انتهاء الدور السياسي للسلطان مسعود مجموعة من الغلمان التي كانت ترافقه في رحلة فراره من غزنة إلى الهند إثر الخسارة التي مُنِي بها على يد السلاجقة حيث قاموا بنهب خزائنه وقبضوا عليه، وأقاموا أخاه محمداً وسلموا عليه بالأمارة في الثالث عشر من ربيع الآخر من سنة 432هـ 1040م[2].

بهذه الأحداث التي تم عرضها يمكننا القول بأن للغلمان دوراً أساسياً في قيام الدولة الغزنوية وفي سقوطها.

---

[1] البيهقي، المصدر نفسه، ص684-685.

[2] المصدر نفسه، ص726-727، ابن الأثير المصدر السابق ج9، ص226.

العادات والتقاليد:

يتميز كل مجتمع من المجتمعات بعادات وتقاليد تكون خاصة به، والمجتمع الغزنوي من بين هذه المجتمعات تميز بوجود عناصر مختلفة من البشر فمنهم الفارسي والتركي والعربي والهندي بالإضافة إلى تعدد الطبقات واختلاف المستوى المعيشي بينهم، وسنحاول في هذا المبحث التعرف على نمط هذه العادات والتقاليد ودراستها ومحاولة معرفة مدى تأثير هذا الكيان الاجتماعي في طبيعة العادات لبعض الجنسيات كالهنود الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام.

1- الطعام والشراب:

نستطيع التعرف على أنواع الطعام والشراب من خلال تتبعنا للمناسبات الاجتماعية في المجتمع الغزنوي، حيث عُرف الغزنويون بالإقبال على أكل الدجاج المشوي على الأسياخ والخص والبيض المسلوق والمحمرات[1] في المهرجانات والأعياد.

وتميزت بعض النساء في العصر الغزنوي بقدرتهن على تحضير ألذ الأطعمة والحلويات ورائق الأشربة مثل جدة عبدالغفار التي كانت مبدعة في ذلك، وقد كان السلطان مسعود يحب المأكولات التي تطهوها عندما كان أميراً- في فترة إقامته ببلاد داور في بست لتلقى العلم – وقد اعتاد الأمير مسعود آنذاك أن يطلب منها كلما هم بالركوب أن تجهز له أنواع المأكولات دون علم احد من عمال المطبخ، وتقوم هي بدورها بمفاجئتهم بإرسال الطعام إلى الصحراء، فيقيمون المآدب، ومن تلك المآدب الكبرى التي يدعى إليها الأمير حسن بن الأمير فريغون أمير جوزجان وبعض الشباب الآخرين من أقرانهم ويذكر لنا البيهقي أن من عادتهم أن يمنح المضيف الضيف هدية بعد الفراغ من الطعام، وهي مالاً باسم

---

[1] البيهقي، المصدر السابق، ص541.

"مزددندان" أي مكافأة تعب الأسنان على ما تجشمت من المشقة أثناء الأكل[1]، كذلك حدث عندما جاء رسول الخليفة العباسي "السليماني"[2].

كذلك يمكننا التعرف على أنواع أُخرى من الأطعمة من خلال الطعام المقدم للسلطان مسعود أثناء رحلة صيد على ضفاف نهر جيحون 422هـ/1031م حيث سارت إليه موائد الأكابر متتالية كعادة الناس في غزنه، ومن الأطعمة التي كانت عليها لحوم الصيد والأسماك والرقاق[3].

ومن المأكولات التي عرف بها المجتمع الغزيوني الرقاق والقطايف[4] والهريسة والقديد[*].

ومن عادت الغزيويين تجهيز أفخر الموائد الرمضانية على الإفطار، ومن عاداتهم تناول الطعام على طريقة الاستلات[5]أي بأصابعهم. كما توجد للغزنويين عادة أخرى يقومون بها بعد الطعام يذكرها البيهقي في قصة مجيء رسول الخليفة القادر بالله العباسي إلى مدينة نيسابور، فبعد أن تم استقباله من قبل أهالي نيساور استقبالاً حافلاً، أمر الموكل بالضيافة بمد السماط وكان فيه ما تشتهيه الانفس مما لذ وطاب، وبعد الفراغ من الطعام جيء بما لا يحصى من النزل - بمعنى الرزق أو كل ما يقدم للضيف - مع عشرين ألف درهم من الفضة برسم هدية الحمام[6]، ولعل هذه الهدية تشبه إلى حد ما هدية تعب الأسنان من حيث أنها تعطي بعد الأكل وهي عبارة عن مقدار من المال أيضاً غير أنه قد يكون هناك اختلاف بين المسميات على حسب اختلاف الأقاليم.

ضم المجتمع الغزنوي العديد من الأجناس والشعوب المختلفة في صفاتها ولغتها وعاداتها وتقاليدها فالدارس في تاريخ هذه الدولة لا يمكنه أن يهمل حياة المجتمع الهندي الذي تم ضمه إلى أملاك الدولة كنتيجة للفتوحات الإسلامية في

---

[1] البيهقي، المصدر نفسه، ص17.

[2] المصدر نفسه، ص320.

[3] المصدر نفسه، ص261.

[4] المصدر نفسه، ص308.

[*] القديد: لحم يتم تجفيفه في فصل الصيف حتى إذا ماحل الشتاء وأحاط بهم الثلج أكلوا ما تم حفظه.

[5] استات القطعة مسحها بيده فالسلاته ما يؤخذ بالأصبع من جوانب القطعة لتنظف، البيهقي، المصدر نفسه ص 541.

[6] المصدر نفسه، ص43-44.

الهند ولا يمكن أن يتجاوزه أو يتغاض عن ما كتبه أبو ريحان البيروني في كتابة تحقيق ما للهند وما ذكر فيه من عادات وتقاليد تميز بها المجتمع الهندي، وبدورنا كباحثين في تاريخ هذه الدولة علينا تسليط الضوء لمعرفة بعض عادات الهنود خاصة أن الهند تعد حاضنة للدولة الغزنوية بعد أن فقدت معظم أملاكها على يد السلاجقة والغور.

تأثر المجتمع الهندي بطبيعة الحال بكثير من المظاهر الحضارية الإسلامية وبخاصة في المأكل والمشرب فبعد أن كان المجتمع الهندي يبيح أكل الميتة حيث يشير البيروني إلى ذلك فيرى أن هناك أنواعاً مباحاً فيها لحم الميتة وأخرى يحظر أكلها فيقول "الإماتة (الميتة) في الأصل محظورة عليهم كما هو على النصارى والمانوية، ولكن يقومون إلى اللحم وينبذون فيه وراء ظهورهم كل أمر ونهى فيصير ما ذكرناه فخصوصاً بالبراهمة لاختصاصهم بالدين .... فأبيحت الإماتة بالتخنيق وإمساك النفس في بعض الحيوان دون بعض وحرمت الميتة من المباحات إذا ماتت حتف أنفها"[1].

ومن المباح من الميتة الضأن والمعز والظباء والأرانب والجواميس والسمك والطير المائي والبري منها كالعصافير والفواخت والدراريج والحمام والطواويس... وغيرها. أما المحرم من الميته البقر والخيل والبغال والحمير والبعير والفيلة والبحيج – الدجاج – الأهلية والغربان والببغاء وبيض جمعيها[2].

كما حرم الهنود شرب الخمر "الالشودر فإن شاربها مباح له وبيعها محظور عليه"[3] ويقول المسعودي: "والهند تمنع من شرب الشراب ويعنفون شاربه لا على طريق التدين ولكن تنزها على أن يوردوا على عقولهم من يغشيها ويزيلها عما وضعت له فيهم وإذا استحق عندهم من ملك من ملوكهم شرب استحق الخلع عن ملكه، إذا كان لا يتأتى له التدبير مع الاختلاط"[4].

---

[1] البيروني، المصدر السابق، ص426.
[2] المصدر نفسه، ص426.
[3] المصدر نفسه، ص426.
[4] المسعودي، المصدر السابق ج، ص62.

ولعل ذلك يحدث نوعاً من المفارقة الغريبة حيث يقوم المجتمع بتحريم شرب الخمر، وبينما نحن ندرس في تاريخ الغزنويين في المصادر – تاريخ اليمني للعتبى وتاريخ البيهقي – نجد صفحاتها تعج بمجالس الشرب التي تعد للسلاطين دون اتخاذ موقف حازم من القضاة بخصوص منعها، فيما عدا بعض المواقف الفردية التي سنأتي على ذكرها في وقتها.

يتناول الهنود طعامهم في أوان يتقنون صناعتها وربما صنع بعضها من المعادن الثمينة كالذهب والفضة أو من الأخشاب الغالية كخشب الخلنج الذي صنعوا منه أكواب مقدسة ليصب فيها شراب (السوما)[1]، أما الأغنياء فكانت آنيتهم تصنع من الذهب الخالص[2].

كما اشتهرت أطباق تصنع من ورق الموز عند الطبقة العامة بالإضافة إلى الأواني الخزفية أو المعدنية[3].

ومن عادات الهنود أنهم لا يجتمعون على طعام "ويأكلون فرادى على مندل السرقين ولا يعودون إلى ما فضل من الطعام ويرمون بأواني المأكول إذا كانت خزفية .... ويجمرون الأسنان بمضغ الفوفل بعد تناول ورق التنبول والنورة".

خُلاصة القول كان للعادات والتقاليد في المأكل والمشرب اختلاف ملحوظ وواضح بين إقليم الهند وبين أقاليم الدولة الغزنوية، ويبقى التشابه بين الأقاليم الأخرى وارد بغض النظر عن اختلاف المسميات فيما بينهم.

2- **الملابس**:

اختلف نوع الملابس والأزياء في المجتمع الغزنوي لاختلاف الظروف المناخية بين الأقاليم، فارتدى أهل السند الأزر والميازر لشدة الحر وتشمل هذا اللباس معظم المناطق المجاورة لها، ويميل التجار هناك إلى لبس القمصان والأردية التي تميزهم عن غيرهم، وكان لباس أهل الملتان والمنصورة عبارة عن

---

[1] جوستان لوبون: حضارة الهند، ترجمة: عادل زعيتير، القاهرة، دار العالم العربي، 2009م، ص275.

[2] عصام الدين عبدالرؤف، تاريخ الإسلام في جنوب غرب أسيا في العصر التركي، مصر دار الفكر العربي 1975م، ص132.

[3] جستاف لوبون، المرجع السابق، ص670.

جلابيب والهراطق[1]، وأهل سجستان يضعون على رءوسهم عمائم أشبه بالتيجان، ويلبس أهل بست وطبرستان زي يشبه ملابس أهل العراق، ولأهل خراسان عادات في اللبس صيفاً وشتاءً ويلبسون المبارز لدخول الحمامات[2] وتأثرت الحياة الاجتماعية بتعاليم الإسلام، فتمثل ذلك في انتشار الحجاب بين النساء[3].

هذا ما كان عن ملابس العامة بينما يتباهى الملوك والأمراء وكبار التجار بألوان الملابس من الطيالس والعمائم والخفاف والقمصان والجباب والمبطنات، وزيهم كزي أهل العراق، وكان الندماء عندما يحضرون مجلس السلطان يرتدون الملابس الزاهية المصقولة[4].

كان السلطان الغزنوي يرتدي قباء من الديباج المطرز بالذهب الذي يغطي معظم قماش القباء، ويعلو رأسه تاج ضخم في المناسبات الرسمية، أما في حياته اليومية فهو يرتدي بصفة دائمة القلنسوة ذات الركنين، وقد ذكر البيهقي أن الخليفة القائم بأمر الله قد بعث ضمن الهدايا التي أرسلها للسلطان عمامة قد لفها بنفسه ليضعها على رأسه بعد التاج[5].

أما الوزير فيرتدي خلعة مخصصة له بعد أن يتم تعينه في هذا المنصب، وتتكون من قباء سقلاطوني بغدادي ناصع البياض عليه نقوش دقيقة فضية دقيقة الطراز وسلسلة فخمة ومقطعة تزن ألف مثقال مرصعة بالفيروز، وقد كان للوزير الميمندى عشرون أو ثلاثون قباء بهذا الشكل واللون يستعملها لمدة سنة، فيعتقد الناس أنه لا يملك منها سوى واحدة لا يغيرها[6].

---

[1] الاصطخرى، المصدر السابق، ص177.

[2] الثعالبي (أبي منصور عبدالملك)، يتيمه الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق: د. مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية،1353هـ/1934م، ذكر الثعالبي بعض أنواع الملابس عند حديثه عن (من هم شرط الكتاب من أهل جرجان وطبرستان) انظر، ج4، ص32، 52، 63. انظر محمد عبدالعظيم أبو نصر، المرجع السابق، ص136.

[3] عصام الدين عبدالرؤف، بلاد الهند في العصر الإسلامي ، القاهرة ، دار الفكر العربي 2005م ص33، عبد العظيم أبو النصر، المرجع السابق، ص229، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص273.

[4] محمد عبد العظيم أبو النصر، المرجع السابق،ص136.

[5] البيهقي، المصدر السابق، ص393.

[6] المرجع نفسه، ص166.

وللحاجب زي خاص تميز باللون الأسود فقد أورد البيهقي العديد من الإشارات على ذلك منها، عندما استقر رأي السلطان مسعود على تنصيب منكتيراك منصب الحاجب، أمر بأن يلبس السواد ويخلعوا عليه خلعه فاخرة فكانت ملابس الحاجب هي القباء الأسود والقلنسوة ذات الركنين ومنطقة من ذهب[1].

أما خلعة الولاة فكانت عمامة ذات ركنين ولواء وحلة مطرزة برسم السلطان وكمر من ذهب وثلاثين ثوباً مخيطة، وقد أهدى مثل هذا الخلعة للوالي "أحمد نوش تكين" عند تعينه والياً على كرمان[2].

ملابس الشحنة[*] هي عبارة عن قباء من الديباج الرومي ومنطقة ذهبية تقدر بخمسمائة مثقال[3].

أما خلعة القادة العسكريين فكانت تحتوي على منطقة ذهبية حيث أهدى السلطان مسعود لعامله أحمد بن نيالتكين خلعة قيمة من بينها حزام ذهبي بألف مثقال وقبعة ذات ركنين عند تعينه قائد لجيوش الهند[4]، كذلك فعل السلطان مسعود عندما عين تلك الهندي في منصب سيهسالار[**] الهنود حيث خلع عليه خلعه ذهبية وألبسه في رقبته طوقاً مذهباً مرصعاً بالجواهر ومنحه الخيل[5].

أما عن ملابس الغزنويين في المناسبات الاجتماعية كالزواج والمأثم فكانت لكل مناسبة ملابس تناسبها، فالأمير مرد انشاه بن مسعود كان يرتدي في حفل زواجه قباء من الحرير الأسود الموشى باللؤلؤ، وقلنسوة ذات أربعة أركان محلاة بالذهب ومرصعة بالجواهر ويتمنطق بحزام مكلل بالجواهر، كما كانت العروس عند الغزنويين ترتدي الملابس الفاخرة وتزين بالذهب والجواهر[6].

---

[1] البيهقي ، المصدر نفسه، ص164-165.

[2] المصدر السابق ص457، انظر عصام الدين عبدالرؤف، المرجع السابق، ص236.

[*] الشحنة وظيفة تشبه إلى حد كبير وظيفة رئيس الشرطة حالياً فتمثل مهمته في حفظ الأمن في الأقاليم الذي يعهد إليه بأن يكون شحنة فيه، بدر عبدالرحمن، رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية، القاهرة، مكتبة الانجلو، 1987م، ص108.

[3] عصام الدين عبدالرؤف، المرجع السابق ص237.

[4] المرجع نفسه ص295.

[**] سيهسالار: القائد الأعلى أو المقدم، البيهقي، المصدر السابق ص802.

[5] المصدر نفسه ص431.

[6] المصدر نفسه ص272 – 420.

وفي مناسبة العزاء من عادة الغزنويين ارتداء اللون الأبيض فعندما توفى السلطان محمود الغزنوي، ارتدى ابنه مسعود قباء وعمامة بيضاء، وحضر الأعيان ورجال الدولة مرتدين البياض، وكذلك فعل السلطان والموالي والخدم عند وصول خبر وفاة الخليفة القادر بالله العباسي [1].

أما بالنسبة للأعيان والفقهاء والقضاة يلبسون المبطنة والطيلسان الأسود والدراعة السوداء والقلانس المستديرة الضخمة والتي تطورت بمرور الزمن إلى عمائم سوداء مصقولة، أما علماء مدينة مرو ظلوا يحملون الطيالس على إحدى الكتفين[2].

خلاصة القول كان للغزنويين اهتمام كبير بالملابس والمظهر من حيث شكله وقيمته ومناسبته التي يرتدي فيها مما أظهر سلاطين الغزنويين ورجال الدولة والأعيان والعلماء وغيرهم يظهرون بمظهر حسن بملابسهم الفاخرة.

3- **الألعاب**:

حرص أهل المجتمع الغزنوي على استغلال أوقات فراغهم في جوانب اجتماعية مهمة مثل الخروج للصيد والمبارزة، وحمل الأحجار الثقيلة ليعودوا أنفسهم على النشاط والثبات لمواجهة الصعاب بخفة ويسر، وقد برع السلطان مسعود في مثل هذه الرياضات خاصة الصيد الذي مارسه والده السلطان محمود بشغف أيضاً[3]. فمارس السلطان مسعود في أيام حياته أنواع الرياضات المختلفة كالمصارعة وحمل الأحجار الثقيلة والمبارزة وقد كانت المصارعة مع الأسود أثناء الصيد من أشد وأصعب الرياضات التي مارسها في أيام الثلج والبرد، حتى أنه كان يترجل ويسير على الأرض، ويتحمل من المتاعب ما لا يتحمله إلا الحجر الصلد، ويقول ينبغي التعود على مثل ذلك حتى لا يعجز المرء إذ ما قابلته مهام صعاب أو ساعات شداد، فكان يبارز الأسود وحده ولا يأذن للعبيد أو الخدم ان

---

[1] البيهقي، المصدر السابق، ص318.

[2] عبدالعظيم أبو نصر، المرجع السابق، ص136.

[3] البيهقي، المصدر السابق، ص544.

يساعدوه بشيء إلا إذا دعت الحاجة لذلك – وقت الضرورة–، يروى لنا البيهقي ما وصفه عبد الغفار لطريقة صيده للأسود ومصارعته لها بيديه، وهو على ظهر الفيل، كما يروى قصة قتله لثمانية أسود دفعه واحدة[1]، مما أذهل الشعراء فنظموا أبياتاً لمدح قوة وشجاعة السلطان مسعود منها القصيدة التي نظمها أبا سهل الزوزني قال فيها:

السيف والرمح والنشاب والوتر ... غيث عنها وحاكي رأيك القدر
ما إن نهضت لأمر عز مطلبه ... إلا انثنيت وفي أظفارك الظفر
من كان يصطاد في ركض ثمانية ... من الضراغم هانت عند البشر
إذا طلعت فلا شمس ولا قمر ... وإذا سبحت فلا بحر ولا مطر[2]

فتستمر رحلة الصيد في بعض الأحيان إلى سبعة أيام حيث يعين السلطان من ينوب عنه ويسند لهُ تصريف شئون البلاد من ثقات رجال الدولة حتى عودته[3]، ويستخدم في رحلة الصيد الفهود والكلاب والطيور الجارحة كوسيلة للصيد كذلك استخدموا لضرب الأسود السيوف والطبرزين[4]، كما كانوا يحملون معهم السرادق وجميع آلات الطبخ وأدوات الطرب والشرب، ومن أشهر أماكن الصيد التي ارتادوها، ترمد وعلى ضفاف نهر هيرمند ومصطاد ره (شكارزه) وجوسق دشت لنكان قرب بست[*] ومرو الرود، وخارمرع[5]..... وغيرها.

وفي بعض الأحيان تصبح رحلة الصيد نزهة، خاصة في فصل الربيع حيث يركبون السفن ويحملون معهم الندماء والمطربون كما حدث في سنة

---

(1) البيهقي، المصدر السابق، ص25.

(2) المصدر نفسه، ص133.

(3) محمد عبدالعظيم أبو النصر، المرجع السابق، ص138.

(4) البيهقي، المصدر السابق، ص 544– 547– 172.

(*) يذكر البيهقي أن السلطان محمود أمضى يوماً في الصيد في هذا المكان من بست حيث صاد حمار وحش فقيدوه بالجبال وأمر السلطان بأن يوسم باسمه، فوسموه وأطلقوا لان أصحاب سير الملوك كانوا قد ذكروا له أن بهرم كوركان قد فعل هذا، المصدر نفسه، ص544.

(5) المصدر نفسه، ص537 – 301 – 543 – 547 – 568.

428هـ 1036- 1037م في رحلة صيد السلطان مسعود علي ضفاف نهر هيرمند[1].

ومن الألعاب التي مارسها الغزنويون لعبة الشطرنج والنرد وهي لعبة الحكماء وأرباب الفهم وذوي الخواطر السريعة وينبغي فيها الجهد لكي يتقنها اللاعب، وقد اقتبس الغزنويون هذه الألعاب من التراث الهندي[2].

كما كان أمراء الغزنويون يجلسون ليشاهدوا ألعاب الصولجان[3].

ومن ألوان اللهو والتسلية مجالس تعقد للشرب بصفة شبة يوميه خاصة في حياة السلطان مسعود وقد تحدث عنها البيهقي، وبين إلى أي حد بلغ اهتمام السلاطين – الذين تولوا الحكم بعد محمود – بهذه المجالس، ويبدو أنهم لا يرون في إظهار اهتمامهم بذلك أدنى حرج[4] بخلاف السلطان محمود الغزنوي الذي كان يشرب الخمر ويتخذها للترويح والتسلية إلا أنه لم يجعل منها عادة تسلبه عقله أو تخبله فكان يتحين أوقات شربه ويقصره على حلقة مختارة من الندماء ويحرص على إلا تؤدي به نشوة الخمر إلى الخروج عن الاتزان والرزانة خشية من عقاب المحتسب[5]. بينما حدث غير ذلك في زمن من حلقة من سلاطين حيث صار تنظيم مجالس الشرب عادة بعد الطعام في النهار أو الليل، وباتت عادة مصاحبة للاحتفال بتوليه أمير جديد وللأعياد الدينية والاجتماعية ويحضر مجلس الشرب الندماء من وزراء وكتاب وشعراء ومغنيين ومغنيات ويقوم عادة غلمان من الترك على خدمتهم لكونهم على درجة من الجمال.

وكان سلاطين الدولة الغزنوية يتخيرون الندماء الأكفاء في مجالسهم ذلك لأن مجالسة هذه الفئة للملوك وحكام الأطراف وقادة الجيش قد تطمع البعض فيهم، ولهذا كان السلطان يعين من يراه مناسب ليكون نديماً لابنه فكان أبو نصر الطبيب

---

[1] البيهقي، المصدر نفسه، ص547.

[2] البيروني، المصدر السابق، ص278 – 287، والمرجع السابق، ص287.

[3] البيهقي، المصدر السابق، ص116.

[4] محمد عبدالعظيم أبو النصر، المرجع السابق، ص137.

[5] محمد ناظم، المرجع السابق، ص215.

من ندماء الأمير محمد بن محمود الغزنوي[1]، وكذلك فعل السلطان مسعود حين عين الفقيه نوح، ومحمد بن منصور مشكان ندماء لنجله الأمير مودود[2].

من أهم ما يشترط في النديم أن يكون سمحاً طلق المحيا مخلصاً محدثاً نقي المذهب حافظاً للسر، نظيف الملبس عارفاً للأسمار والقصص والنوادر هزلها وجدها حسن الرواية يعرف لكل مقام مقاله، يجيد لعب الشطرنج والنرد وغيره من الألعاب وصنوف الرياضة، وجيد لو أنه يجيد الغناء، ويضرب على الآلات الموسيقية وعليه أن يكون موافقا للملوك دائما، يردد "بخ وأحسنت وأصبت يامولاي" ولا يجوز أن يقول له أعمل هذا أو لا تعمل ذلك أو لماذا عملت هذا أو كان ينبغي أن تفعل ذاك فإن الملك لا يطيقه إن قال هذا ويبغضه ويقصيه[3].

وكان الشاعر يكشف عن قناع الحياء عندما تأخذه النشوة[4] وقد اشتهر في مجالس الشرب بعض المطربين والمطربات في عهد السلطان مسعود منهم عبدالرحمن القوال وسيتي زرين المطربة التي كانت مقربة من السلطان مسعود فبلغت منصب الحجابة في الحرم وكان السلطان يعهد إليها بتبليغ ما يريد من الرسائل لأهل الراي في كل باب[5].

كما اشتهر من الندماء في عهد السلطان مسعود، الفقيه أبو بكر الحصيري الذي حظي باهتمام السلطان به حيث أمر بأن يخلع عليه خلعة فاخرة مما ينعم به على الندماء قائلاً له "لقد احتملت من أجلنا في عهد أبينا كثيراً من المتاعب والهوان فوجب الآن أداء حقك علينا لقاء ما أديت لنا من خدمات وهذه الخلعة هي باكورة الإنعامات التي سنشملك ويمثل الحاشية والندماء دور الحرس إذا حدث وتعرض السلطان أو الأمير لمكروه كانوا له درعاً وتلقوا هم الأذى بدلاً عنه"[6]، وكان يوجد في بلاط السلطان عشرين نديماً، عشرة منهم وقوف وعشرة جلوس،

---

[1] البيهقي، المصدر السابق، ص72.

[2] المصدر نفسه، ص543.

[3] الطوسي، المصدر السابق ص110، عبد الهدى محبوبة المرجع السابق، ص423.

[4] محمد عبدالعظيم أبو النصر، المرجع السابق، ص138.

[5] البيهقي، المصدر السابق، ص70- ص420.

[6] المرجع نفسه، ص422.

وهو تقليد مأخوذ عن السامانين، ويقدم الشراب عادة غلمان من الترك، ويفضل السلطان أن يكونوا على درجة من الجمال، مما يؤدي إلى أن يفتن أحد الندماء بجمال أحد الغلمان إلا أن ذلك يظهر بشيء من الحشمة تقدير لهيبة المجلس، كما حدث في مجلس السلطان محمود وما بدر من أخيه الأمير يوسف من اهتمام وإعجاب بغلام السلطان طغرل، حيث حذره السلطان من العودة لفعل ذلك ثانية وقال له "الحق أني لو لم أرع حرمة روح أبي لعنفتك اليوم تعنيفاً شديداً"[1]، وهذا خلاف ما يحدث في مجالس الشعراء والأدباء والأعيان بها مستقبلاً[2]، لعل ذلك يعد فرق واضح بين عهد السلطان مسعود وعهد أبيه السلطان محمود بحيث نلاحظ أن مجلس الشرب أصبح يضم في عهد مسعود الفقهاء، بل تمادي بعضهم في احتساء الشرب حتى جاوز السكر، ولعل علماء الدين لم يقبلوا بذلك الواقع، وفي ذات الوقت لم يعمدوا إلى إثارة مثل هذه القضايا، مادامت الدولة مشغولة فتح أجزاء كبيرة من الهند ونشر الإسلام فهي بذلك لا تزال في أوج قوتها وعنفوانها، فلم يكن للجانب الديني أي دور في الوقف ضد هذه التصرفات التي نهى عنها دين الإسلام، غير أن هناك محاولة تذكرها بعض المصادر لمنع الشرب يجدر بنا ذكرها وهي في عهد السلطان مسعود في الخامس والعشرون من محرم سنة 429هـ/1037-1038م حيث نزل على شاطئ نهر قرب ديناركونه، وقد أُصيب بعلة فلبث هناك خمسة عشر يوماً لم يستقبل إبانها أحداً وتاب عن الشرب وأمر بسكب ما في خزائن الشراب في نهر جيلم، وبتحطيم آلات الملاهي والطرب، فلم يستطيعوا أن يجاهروا بالشراب لأنه قد عين العسكر والمحتسبين لمراعاة منعه وشدد فيه[3].

إلا أنهُ سرعان ما عاود الشرب وسمح به في العاشر من ذي الحجة – عيد الأضحى – حيث انشد الشعراء الشعر وأخذ المطربون في الطرب والغناء ودارت كؤوس الشراب فأصبحوا سكارى[4].

---

(1) البيهقي، المصدر السابق، ص277.

(2) المصدر نفسه، ص49.

(3) المصدر نفسه، ص579.

(4) المصدر نفسه، ص606-607.

وزاد إسراف السلطان في شرب الخمر خاصة في الفترة التي بدأ فيها خطر السلاجقة يلوح في الأفق، فتوالت الهزائم على الغزنويين وبات خطر السلاجقة يهدد استقرار البلاد، مما أثار مظاهر الاستنكار على السلطان من قبل العلماء ورجال الدولة وظهر ذلك واضحاً في مقالات العلماء والوزراء وقصائد الشعراء[1].

[1] البيهقي، المصدر السابق، ص621-650.

الاحتفالات الدينية والاجتماعية:

اهتم الغزنويون بالاحتفال بالأعياد الدينية، مثل عيد الفطر وعيد الأضحى، والأعياد الفارسية مثل عيد النيروز وعيد المهرجان وكان لهم كذلك احتفالات خاصة بمراسم استقبال رسل الخليفة العباسي وأخرى لختم القرآن والزواج والختان..... وغيرها.

الاحتفال بحلول شهر رمضان " عيد كلوخ انذار":

يتم الاحتفال بعيد كلوخ إنذار في ختام شهر شعبان وفيه يطلقون لأنفسهم العنان للهو والشراب الذي سيحرمون منه في شهر رمضان المبارك، وقد احتفل به السلطان مسعود في الجوسق المسعودي سنة (427هـ/1035م)[1]، ومن ثم يستقبلون شهر رمضان بالتهليل والتكبير فيقيمون مظاهر الزينة والأنوار الخاصة بأحياء ليالي رمضان، ويعد السلطان لهذا الشهر الفضيل العديد من التجهيزات فيلغى بعض ارتباطاته الخارجية، ويستعد لاستقبال المهنئين من شتى طبقات الشعب، كما كان يتناول طعام الإفطار في أول أيام الشهر مع الأمراء والأعيان في قصره ويحضر هذه المأدبة كبار القادة والفرسان والنقباء.... وغيرهم من كبار رجال الدولة[2]، أما بقية الشهر غالباً ما كان السلطان يتناول إفطاره في قصر الحريم وحده[3].

كما ينظر السلطان في هذا الشهر في أمر السجناء حيث يصدر أمراً بكتابة قوائم بأسماء المسجونين في سجون غزنه ونواحيها من القلاع لتعرض عليه ويرى رأيه فيهم، كما أمر السلطان بتوزيع ألف ألف درهم "مليون" على الفقراء والمحتاجين بغزنة وضواحيها، أما على مستوى الدولة فكان يرسل إلى كافة الأقاليم الكتب والرسائل ليقوموا بالاعتناء بالمساجد وإقامة مجالس الذكر وتلاوة القرآن الكريم[4].

---

(1) البيهقي، المصدر السابق، ص538.

(2) المصدر نفسه، ص298.

(3) المصدر نفسه، ص299-566.

(4) المصدر نفسه، ص299.

الاحتفال بعيد الفطر:

تقام الزينات والأنوار في جميع أقاليم الدولة الغزنوية ابتهاجاً برؤية هلال شهر شوال، ويخرج الناس لصلاة العيد، ثم يتبادلون التهاني فرحين بإتمامهم صيام شهر رمضان الكريم، ويقوم الناس بتبادل الزيارات والتهاني ويتناولون بعض الأطعمة التي تعد خصيصاً لمثل هذه المناسبة من حلوى وأكلات شعبية[1].

أما بالنسبة للسلطان ورجال الدولة، فكان يجهز للاحتفال بعيد الفطر تجهيزات كبيرة جداً، فيأمر السلطان بتنظيم عرض عسكري ويأمر بمد الموائد السلطانية من جميع أنواع الأطعمة، وكان السلطان يتناول الطعام في يوم العيد مع قادة الجند وكبار رجال الدولة والوزير وكبار الحجاب والعارض وصاحب ديوان الرسائل وغيرهم[2]، وقد شهد الجميع أنهم لم يروا للمُلك عيداً مثل أول عيد فطر بعد تولى السلطان مسعود الحكم، فتم تزيين قصر السلطان والحديقة وأُمر بمد سماط في المبنى الجديد الذي أنشئ في الحديقة العدنانية[*].

بالإضافة إلى موائد أخرى أُعدت في البستان للقادة ومقدمي الفرسان[3] كما كان يحضر حفلات عيد الفطر الشعراء والمطربون وأجزل السلطان لهم العطاء بهذه المناسبة فأمر للشعراء الغرباء بعشرين ألف درهم وأعطى للزيني العلوي خمسين ألف درهم وللعنصري ألف دينار وأدرج كل ما انشدوا من أشعار بالدواوين سنة (423هـ/1031م)[4].

الاحتفال بعيد الأضحى:

عيد الأضحى من الأعياد الدينية الإسلامية التي احتفل بها الغزنويون، ولهُ منزلة خاصة عندهم، ويبدأ الاحتفال بهذا العيد في ليلة التاسع من ذي الحجة – وقوف بعرفات – ويليه يوم العيد حيث يؤم أحد العلماء الناس لصلاة العيد ويخرج

---

(1) البيهقي، المصدر السابق، ص301- 302.

(2) المصدر نفسه، ص302.

(*) الحديقة العدنانية: تنسد إلى عامر عدنان بن محمد الضي الذي كان رئيساً لمدينة هراة في أواخر عهد السامانيين، البيهقي، المصدر السابق، ص47.

(3) المصدر نفسه، ص47-48.

(4) المصدر نفسه، ص302.

السلطان لأداء صلاة العيد ثم تنحر الأُضحيات وتقام العديد من مظاهر الزينة ابتهاجاً بحلول العيد، ويجرى في بعض الأحيان استعراض عسكري كما حدث في عهد السلطان مسعود سنة (428هـ/1036م) حيث حضر هذا العيد رسل بعض الخانات المجاورين لهم مثل أرسلان خان، وبفراخان، ولشكرخان[1]، وكذلك حدث في سنة (430هـ/1038-1039م). فقد أمر السلطان مسعود أن يجهز للاحتفال بعيد الأضحى تجهيزاً عظيماً يفوق حد الوصف، وذلك لما حققه من انتصار على السلاجقة فخرج إلى الميادين كثير من الفرسان والرَجالة بكامل أسلحتهم، وتم استعراض الجيش في صحراء خراهان وكان للاستعراض هيبة كبيرة جعلت كل من يراه يقر بقوة الجيش ودحض كل ما قيل عن ضعفه وقلت حيلته في الوقوف أمام قوة السلاجقة وصد هجماتهم وعدوانهم، ولعل هذه الثقة التي منحها العامة للجيش كانت سبباً لتشجيع السلطان على خوض معارك ضارية ضد السلاجقة[2].

ومن عاداتهم في عيد الأضحى أعداد الموائد الكبيرة كما في سنة (429هـ/1035م) حيث أمر السلطان مسعود بذلك وجلس إليها الموالي والكبراء والحشم وانشد الشعراء أشعارهم وعلى أثرهم يأخذ المطربون في الطرب والغناء ويأمر السلطان لهم بالصلات وهو يقول أشبعونا طرباً ولهواً[3].

حفلات اجتماعية:

حفلات الزواج:

من العادات المتعارف عليها عند الزواج "الخطبة" وتتم بين السلاطين عن طريق وفد يرسله السلطان إلى أحد الملوك ويختار لمن يرأس الوفد عادة أحد الفقهاء مع توكيل بعقد الزواج، ثم يعقد للسلطان أو أحد الأمراء على هذه الطريقة ويؤتي بالعروس، وعند قدومها يأمر السلطان بإظهار الزينة في البلاد فترين

---

[1] البيهقي، المصدر نفسه، ص575.

[2] المصدر نفسه، ص648.

[3] المصدر نفسه، ص607.

الأسواق وأبواب المدينة وأماكن تجمع العامة وذلك احتفالاً بمقدم العروس[1]، والمثال على ذلك عرس السلطان مسعود من ابنه طغان خان حيث يذكر البيهقي تفاصيل هذه الخطبة[2].

أما الخطبة عند العامة فتتم بواسطة وسيط يكون رجل من أقارب الزوجة أو إحدى النساء، كما تعد الأماكن العامة مثل الحمامات من أماكن التعارف ومن خلال هذه الملتقيات تشاهد النساء البنات وتختار منهم من يلائم أولادهن الشباب للزواج[3] تم يتم الزواج حسب قبول الطرفين واتفاقهما.

ومن مراسم الزواج الصداق ويعرف أيضاً ب"المهر" وهو عنصر أساسي في عقد القران ويُدفع عادة بالنقد ويشترط كذلك بعض الكماليات الأخرى المتمثلة في الحلي والملابس[4].

وللغزنويين عادة في تزويج أبنائهم في سن مبكرة فقد أورد البيهقي في تاريخه أن السلطان محمود خطب ابنتي أخيه يوسف بن سبكتكين لولديه محمود ومسعود وكانت إحداهما قد بلغت سن الرشد والأخرى لم تبلغها بعد، وفي ليلة زواج الأمير محمد توفيت عروسه، فقام السلطان محمود باختيار أختها الصغرى التي خطبها لمسعود لتكون زوجة له ولم تكن الفتاة في ذلك الوقت تبلغ الرابعة عشر من عمرها[5]، كذلك عُقد قران الأمير مراد نشاه بن مسعود من ابنه القائد بكتغذي سنة (430هـ/1036م) وهو حدث لم يتجاوز الثالثة عشر من عمره، وتم زفافه بعد أقل من عامين في أوائل سنة (430هـ/1038م)[6].

ومما يلاحظ على السلاطين الإسراف في المهور و تجهيز العروس وزينتها من قبل السلاطين، فقد دفع احد الغزنويين صداقاً في إحدى بنات أمراء السلاجقة قُدر بأربعمائة ألف دينار ولم ترض أُمها[7] بذلك هذا عدا هدايا العروس وزينتها

---

[1] العتبي، المصدر السابق، ص387-388.

[2] انظر البيهقي، المصدر السابق، ص571.

[3] عصام الدين عبدالرؤف، المرجع السابق ص 287.

[4] محمد عبدالعظيم أبو النصر، المرجع السابق ص134.

[5] البيهقي، المصدر السابق، ص272.

[6] المصدر نفسه، ص570.

[7] ابن الجوزي، ابى الفرج عبدالرحمن، المنتظم تاريخ الملوك والأمم ط حيدر أباد،1358 هـ 1939م ج7، ص211.

التي تعادل قيمة الصداق أحياناً، كما تميز عرس السلطان مسعود من ابنة كالبحار والي طبرستان وجرجان، الذي فاق حد الوصف حيث زفت العروس على سرير كأنه البستان أرضيته كانت من نسيج الفضة المزخرف وقد اجتمعت عليها ثلاث أشجار من الذهب، أوراقها من الفيروز والزمرد وثمارها من أنواع الياقوت، ويحيط بهذه الأشجار الثلاث عشرون من آنية النرجس وأصناف الورود والرياحين، كلها من الذهب والفضة، وأصناف الجواهر ومن حولها الآنية الفضية وطبق من الذهب مملوء بالعنبر والكافور، كما قام أهل العريس – السلطان مسعود – كذلك بتجهيزات كبيرة لاستقبال العروس فأعدوا المهود لزوجات عظماء نيسابور وزوجات كل من الرئيس والقضاة والفقهاء الأكابر والعمال لاستقبال مهد بنت كاليجار ونثرت النقود عليها وآكرمن وفادتها، وقد أضيئت الشموع والمشاعل حتى بدت المدينة في أبهى حلتها وكأنها في طالعة النهار[1].

كذلك كان الاحتفال بزواج الأمير مراد نشاه من ابنه الحاجب بكتغدي بمراسم وفخامة زواج والده السلطان مسعود، ففي عقد القران لم يبق أحد سيد أو خادم، وضيع أو شريف، قائد أو حاجب، زمار أو طبال، إلا ونال حلة من السالار بكتغدي، كما يذكر البيهقي بعض ما كان من جهاز العروس فيقول: "كان بها أربعة تيجان ذهبية مرصعة بالجواهر، وعشرون طبقاً من الذهب فيها فواكه من مختلف أنواع الجواهر وعشرون صندوقاً للمغازل من ذهب مرصع بالجواهر ومكنسة من الذهب نظمت أليافها باللؤلؤ"[2].

أما العامة فكانوا يزفون المرأة إلي بيت الرجل بحيث يقام احتفال بسيط ووليمة ينفق عليها الزوج حسب إمكانياته وفي بعض بلاد خراسان كان الأب يكدح في سبيل إعداد الجهاز لابنته من نفقته الخاصة[3].

انتشرت في المجتمع الغزنوي ظاهرة تعدد الزوجات فيجمع الرجل في بيته زوجتين وربما أكثر، كما كان يكثر في المجتمع الغزنوي طلاق الحرائر ولعل

---

[1] البيهقي، المصدر السابق، ص418-421.

[2] المصدر نفسه، ص570.

[3] محمد عبدالعظيم أبو النصر، المرجع السابق، ص134.

ذلك يرجع إلى عدة أسباب منها التحرر من القيود الزوجية، وكثرة الجواري الآتي يُجدن العديد من ألوان الفنون من اللهو والغناء، وإلى طريقة الخطبة التقليدية التي يعتمد فيها الرجل على وسيط من النساء ليستشار في جمال المخطوبة فلا يرى الرجل من يريد الاقتران بها من الحرائر بينما الجواري، بلا حجاب ويعرضن بدور النخاسة فيحل للرجل رؤيتها دون وسيط.

أما المجتمع الهندي الذي يعد مجتمع داخل مجتمع لهُ عاداته وتقاليده الخاصة به في الزواج مع وجود بعض التشابه فمثلاً يكون الزواج في الهند في عمر صغير بحيث "يعقده الإيوان لأبنائهم"[1] ويتم تزويج الفتيات في سن الثانية عشر من أعمارهن، ولا كيان للمرأة الهندية بلا زواج فلا تكاد تولد حتى يختار والدها من يكون ولي أمرها[2].

والزواج عند الهنود من أهم المناسبات الاجتماعية فهو عيد للأسرة ولا حدود للأنفاق على حفلات الزواج، فيخرب فقراؤهم بيوتهم بأيديهم فيثقلون كواهلهم بالديون من أجل دعوة جيرانهم إلى الولائم التقليدية، وهذا بخلاف ما يحدث في المجتمعات الغزنوية الأخرى، وللرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة إلى أربع وما فوق الأربع محرم عليه إلا أن تموت إحداهن تحت يده منهنّ، أما المرأة إذا مات زوجها فليس لها أن تتزوج، وهي بين أمرين، إما أن تبقى أرملة طول حياتها، وإما أن تحرق نفسها[3]، وهذه من العادات السيئة التي تغيرت مع انتشار الإسلام بين الهنود.

حفل الختان:

يعد الختان من المناسبات الاجتماعية المهمة عند المسلمين وللغزنويين اهتمام كبير للاحتفال بهذه المناسبة، فقد أورد لنا البيهقي في أحداث سنة (427هـ/1035م) أن السلطان مسعود احتفل بختان الأمراء الأنجال يوم الاثنين التاسع من شعبان من نفس السنة، وكان يوماً مشهوداً وامتد الحفل والشرب بهذه

---

(1) البيروني، المصدر السابق، ص278.

(2) جوستاف لوبون، المرجع السابق، ص646.

(3) البيروني، المصدر السابق، ص428.

المناسبة سبعة أيام بلياليها وكان السلطان مسروراً يتنزه في القصر ورياضه ويشرب طرباً لهذه المناسبة[1].

الاحتفالات الفارسية:

نظراً لاختلاط العناصر السكانية في المجتمع الغزنوي كان لكل منها تأثير بشكل أو بأخر في حياة المجتمع الغزنوي، فاحتفل الغونويون ببعض الاحتفالات التي تتماشى مع الدين الإسلامي بحيث لا تمس المبادئ والعقيدة الإسلامية.

عيد النيروز:

هو عيد الربيع وفي هذا اليوم يتساوى الليل والنهار ويحتفل الناس بهذا اليوم لأنه بداية فصل جديد يعتدل فيه المناخ، ويرشون الأماكن بالماء اعتقاداً منهم أن ذلك يلطف حرارة الجو، وفي هذا اليوم يتبادل الناس الهدايا والزيارات ويخرج الناس إلى المنتزهات والحدائق العامة[2].

عيد المهرجان:

عيد المهرجان يأتي بعد عيد النيروز بمائة وأربعة وتسعين يوم، في أول أيام الشتاء، يحتفل الناس في هذا اليوم ويتبادلون الهدايا، كما يغير عامة الناس والفرش والآلات والملابس، وفي هذا العيد يقدم الناس الهدايا للسلطان، ويخلع السلطان فيه ملابس الشتاء على كبار الموظفين في الدولة[3].

وفي هذا اليوم يجلس السلطان في قصره وتقدم الهدايا والنثار من الأمراء والأنجال والموالي والحشم، كما يجئ بالهدايا التي أُعدت له من جميع أرجاء مملكته، وينشد الشعراء الشعر وينعم عليهم السلطان بالصلات[4].

---

[1] البيهقي، المصدر السابق، ص538.

[2] عصام الدين عبدالرؤف، المرجع السابق، ص283.

[3] المرجع نفسه، ص283.

[4] البيهقي، المصدر السابق، ص574.

كما يقوم السلطان بتبديل ثيابه وينتقل إلى البيت الشتوي الذي يصفه لنا البيهقي فيقول: "لم ير أحد بيتين كهذين البيتين روعة وبهاء أولهما الواقع ناحية اليمين، شتوي وثانيهما الواقع ناحية الشمال، صيفي....، وقد زينوا هذين القصرين بأبهى الزينات كما وضعوا فيها تنوراً يصعد إليه الفراشون بالسلالم ليلقوا فيه الحطب... ثم يشعلون النار فيه"[1] ، ثم يأتي الغلمان بالمائدة وفي أيديهم الأسياخ وقد عُلق بها الدجاج والخص والبيض المسلوق وكل ما يلزم الملوك في عيد المهرجان من المحمرات ويجتمع إليها أعيان الدولة والندماء ويبادر الجميع إلى اللهو والطرب والشرب، كما يعزف على القيثارة وآلات الطرب الأخرى ويأخذ المطربون في الغناء[2].

عيد السدق أو "سده":

يحتفل به في اليوم العاشر من شهر بهمن الموافق ليلة الحادي عشر من شهور الفرس (يناير فبراير) تشعل فيه النيران بكثرة حتى كان يرى لهيبها على بعد عدة فراسخ ويبادر الملوك والأمراء والناس على اختلاف طبقاتهم بتهيئة جميع وسائل الوقود لإشعال النيران، يصف البيهقي هذا العيد فيقول: "كان عيد قد اقتراب فساقوا إلى الصحراء جمال السلطان- السلطان مسعود- وكل جمال الجيش وأخذوا في جمع حطب الطرفاء ليوم سده ثم ألقوها في الصحراء فتراكمت وأصبحت كالقلعة... وأتوا بكثير من المعدات والطيور وما يلزم ليلة هذه العيد من الحاجيات ولما حل العيد جلس السلطان في الليلة الأولى في مخيم أعدله على شاطئ النهر، وجاء الندماء والمطربون"[3] وتم إشعال النار، التي بصورها لنا البيهقي أن لهيبها المتوهج يرى على بعد عشرة فراسخ، في رأي الباحثة أن هذا التصور مبالغٌ فيه في حال يقدر الفرسخ بحوالي خمسة كيلومترات، فتكون العشر فراسخ خمسون كيلومتر.

---

[1] البيهقي، المصدر نفسه، ص541.

[2] المصدر نفسه، ص541.

[3] المصدر نفسه، ص470 -471.

أعياد الهنود:

كثيرة هي الاحتفالات والأعياد الدينية عند الهنود وأكثر الأعياد عندهم تكون للنساء والولدان، ومن أشهر أعيادهم عيد يسمى أكدوس، وهو عيد لأهل كشمير[1]، ولهم عيد في الملتان يسمى "سانب يوزاتر" يعبدون فيه الشمس ويسجدون لها ومعرفته أن يؤخذ "أهركن كندكاتك"[2].

وهناك عيد خاص بالنساء يسمى "كورتر" باسم "كور" بنت جبل همنت وهي زوجة مهاديو، فيتزين النساء ويسجدن لصنمها ويسرجن عنده – يُقدن الشموع – ويقربن الطيب ولا يأكلن شيئاً ثم يتصدقن في غده ويأكلن[3].

كما يوجد أعياد أخرى خاصة بالنساء مثل عيد(روب بنجه) و(أهارى) وعيد (هربالي) و(كانهت) و(دروب هر) و(أودار) الذي يسمى أيضاً (دهوله) [4].

إن الدارس المتتبع للأعياد الدينية عند الهنود يجدها كلها عبارة عن اغتسال وتقدم فيها النساء الصدقات والأطعمة والطيب للبراهمة والأصنام التابعة له، وكلها مرتبطة بمعتقدات دينية خرافية أغلبها تستهدف عقول النساء والأطفال لتستخف بهم فتستهوى عقولهم فيخدعون لسذاجتهم.

وبعد الفتح الغزنوي لبلاد الهند انتشرت كثير من العادات الإسلامية في المجتمع الهندي حيث أصبح الهنود المعتنقون للإسلام يحتفلون بالأعياد الإسلامية والفارسية التي يحتفل بها الغزنويون، وقد تقلصت عندهم تلك الأعياد والقرابين، حيث قضى عليها الإسلام عندما حطم الأصنام والمعابد التي أُقيمت من أجلها ولعل ذلك كان هدف محطم الأصنام "محمود الغزنوي" من الإصرار على تحطيم الأصنام خاصة عندما رأى إصرارهم في افتداء أصنامهم بالأموال الطائلة، فقرر عندها محاربة معتقداتهم ليتمكن دين الإسلام من الاستقرار في بلاد الهند.

---

(1) البيروني، المصدر السابق، ص446.
(2) المصدر نفسه، ص446.
(3) المصدر نفسه، ص446.
(4) المصدر نفسه، ص447.

الفصل الثالث

الحياة الثقافية في الدولة الغزنوية

المبحث الأول: دور الدولة الغزنوية في نشر الثقافة الإسلامية في المشرق

1- النهضة الحضارية في المشرق الإسلامي عشية قيام الدولة الغزنوية.

2- غزنة مركز إشعاع حضاري.

3- اللغة في العهد الغزنوي.

المبحث الثاني: النهضة الأدبية والعلمية في العصر الغزنوي

أولاً: العلوم الأدبية:

1- الشعر والأدب.

2- التاريخ.

3- العلوم "البيروني نموذجاً".

ثانياً: العلوم الدينية:

1- علم التفسير.

2- علم الحديث.

3- علم التصوف.

المبحث الثالث: المؤسسات التعليمية في العصر الغزنوي

1- المساجد.

2- المدارس والمكتبات.

3- الدور الثقافي للمرأة في المجتمع الغزنوي.

النهضة الثقافية والأدبية في المشرق الإسلامي عشية قيام الدولة الغزنوية:

عندما ظهر الإسلام وتوسع وتوطد في الأرض من الهند إلى الأندلس بدأت تنضج على أرض الحضارة الإسلامية، وساهم في انتشار وازدهار هذه الحضارة ممثلو الأمم الأخرى كتفاً بكتف مع العرب وقدموا قسطهم الوفير لإثراء حضارة الإسلام.

بلغت الحضارة الإسلامية ذروتها في القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي)، حيث تعددت مراكز العلم والحضارة عندما نشأت الدول المستقلة في أنحاء البلاد الإسلامية، فبعد أن كان مقرها في بغداد حاضرة الخلافة العباسية تدرج انتقالها شرقاً إلى خراسان، وفيما وراء النهر، وغرباً إلى الشام ومصر، والمغرب، فالأندلس[1].

وكان من أهم خصائص ومزايا هذا العهد ظهور العباقرة والعلماء في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فكان هذا العهد عصر الأعلام في الشعر والنثر والفلسفة والطب، وعلم النجوم والرياضيات، وغيرها من أنواع العلم والأدب[2].

إن من أهم الأسباب التي ساهمت في التقدم الحضاري للعالم الإسلامي ازدياد مراكز العلم والثقافة وتكاثر عدد النُصراء والحُماة للعلم والأدب، ففي رأي مؤلف كتاب تاريخ الأدب العربي "جرجي زيدان" إن العلم لا يورق ولا يثمر إلا في ظل ملك أو أمير يتعهدوا ويأخذ بأيدي أصحابه... في هذا العصر أكثر الأدب تمراً وأصح إنتاجاً لأن العاملين تعهده تكاثروا، فبعد أن كان نصيره الخليفة أو وزيره أو بعض عماله في بلد واحد، أصبح نصراؤه في هذا العصر عدة ملوك أو أمراء ووزراء في أشهر مدن العالم الإسلامي، وقد تعاونت على استثماره قرائح العرب والفرس والترك وغيرهم ممن تعرب أو انخرط في الإسلام من أمم المشرق[3].

---

[1] عائدة قاسموفا شهرار، المرجع السابق، ص41.
[2] المرجع نفسه، ص42.
[3] المرجع نفسه، ص42.

شهدت فترة حكم السامانيين نهضة أدبية مميزة، نستطيع وصفها بالثنائية أو الازدواجية الأدبية فقصد بذلك ازدهار الأدب العربي بالإضافة للأدب الفارسي، مما دعى بعض الدارسين الإيرانيين المعاصرين أن يحاولوا نسبة ما حدث من تطور في الأدب العربي إلى أدباء الفرس الذين أتقنوا العربية، فقد كان لعلماء العرب دورهم في هذا التطور، خاصة أن الكثيرين منهم انتسبوا إلى مدن فارسية وهم ليسوا فرس، ولكن نظراً لاستيطان هؤلاء العلماء في مدن فارسية، فانتسبوا إلى مدنهم التي ولدوا بها.

ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال أبو الفرج الأصفهاني (284-356هـ/897-966م) صاحب كتاب الأغاني الشهير فهو عربي الأصل وبديع الزمان الهمداني (ت398هـ/1007م) صاحب المقامات، كما يقول عن نفسه مضري المحتد، وغيرهم من العرب الذين تصور البعض بحكم انتسابهم إلى مدن فارسية أنهم من أصل فارسي[1]، أن ما تهدف إليه الباحثة من خلال هذا العرض توضيح مدى التفاعل بين العنصرين العربي والفارسي ومدى الاندماج والانسجام بينهما، برغم أن الدولة السامانية ذات أصول فارسية، واللغة الفارسية هي اللغة الرسمية المستخدمة في البلاط الساماني، فهي لم تهمش الأدب العربي بل حدث نوعاً من التواصل فيما بينهما للنهوض بحضارة الإسلام في بلاد المشرق، هنا علينا طرح تساءل ماذا عن العنصر التركي وما مدى اندماجه في بوتقة الحضارة الإسلامية في المشرق؟

اختلف رأي العلماء في موقف الترك من الحضارة الإسلامية ما بين السلبي والإيجابي، فمن الآراء السلبية وما قاله غوستاف لوبون الذي يذكر أن عظمة الأتراك لا تتجلى في غير الحرب وأنهم وإن كانوا قد استطاعوا أن ينشئوا دول كبرى، فإنهم عجزا عن خلق حضارة أو ابتكارها[2]، ويقول كارل بروكلمان "إن الأتراك قد ألحقوا بحضارة إيران والعراق أكبر الأذى وجاء من بعدهم أنسباؤهم

---

[1] أبوالعلا، المرجع السابق، ص252.

[2] غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعتير، القاهرة، مكتبة الأسرة، 2000م، ص700.

المغول أو التتار فقضوا على البقية الباقية من تلك الحضارة[1]، بينما يقف بارتولد من الأتراك موقفاً إيجابياً فيقول "أن تقدم الشعوب أو تأخرها لا يمكن أن ينسب لجنس بعينه أو لمعتقدات دينية، أو لظروف بيئة طبيعية معينة أو تكون هذه العوامل سبباً في حضارة شعب وتأخره"[2]، فهو يعتبر أن الاتصال بين الشعوب والأجناس وتبادل العلاقات من أكبر عوامل الرقي الحضاري وأن العزلة من أكبر عوامل التأخر.

يبدو أن العلماء الذين نسبوا إلى الجنس التركي بالوقوف في وجه الحضارة أو القضاء عليها قد ظلموا هذا الجنس، ويبدو أيضاً أنهم تأثروا بالفضائع التي ارتبكها المغول في غزواتهم التي شنوها على العالم الإسلامي[3]، فعندما غزا المغول العالم الإسلامي كانوا يمارسون اتصالهم بالعالم الخارجي لأول مرةٍ، وأنهم لم يفهموا في أول الأمر معنى للحضارة – لأنهم بدو رحل- بدليل أنهم بعد ذلك عندما اتسعت دائرة اتصالهم بالعالم الخارجي، وازدادت صلاتهم بغيرهم من الأقوام الأخرى كالفرس والعرب عرفوا معنى الحضارة، وأسهموا بنصيب في ازدهارها، وقد أثرت الحياة الإسلامية بمعتقداتهم وآدابها العربية والفارسية تأثيراً كبيراً[4]، ويظهر التأثير في أول دولة تركية إسلامية "الدولة الغزنوية" التي نحن بصدد دراستها من النواحي الحضارية والثقافية، حيث حكمت هذه الدولة جزء من بلاد فارس وقامت بتوطيد دعائم الإسلام في بلاد الهند بعد قيامها بسلسلة من الفتوحات الجهادية لنشر الإسلام، مما أحدث نوعاً من التجانس الحضاري بين أجناس مختلفة منها العرب والفرس والترك والهنود.

---

[1] كارل بروكلمان: الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها، ترجمة: نبيه أمين ومنير البعلبكي، بيروت، دار العلم، 1949م، ص253.

[2] بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة: حمزة طاهر، القاهرة، 1966م، ص7.

[3] طه ندا: المرجع السابق، ص147.

[4] المرجع نفسه، ص147.

غزنة مركز إشعاع حضاري:

انتشرت الثقافة الإسلامية انتشاراً واسعاً، بفضل تشجيع الخلفاء والسلاطين والأمراء ورجال العلم، وقد كان للدول المستقلة عن الخلافة العباسية دور مميز في تقدم الحركة الفكرية وزخر بلاط أمرائها بالعلماء والشعراء والأدباء[1].

فتميزت العديد من المدن في المشرق بقوة الحركة العلمية والأدبية مثل البصرة، والكوفة، وبغداد في العراق وأصبهان والري في بلاد فاس وبخارى وسمرقند في بلاد ما وراء النهر، ومن ثم غزنة حاضرة الدولة الغزنوية[2]، فلما أقام الغزنويون دولتهم وجدوا أمامهم في فارس وما جاورها، مراكز ثقافية نشطة يؤمها العلماء في العهد البويهي والعهد الساماني، غير أن هذه المراكز ما لبثت أن تصدعت وانهارت نتيجة للتطورات السياسية في المنطقة وزوال القائمين عليها ثم آلت إليهم[3]، ولم يأل الغزنويون جهداً في نصرة العلوم والأدب وكان مجالس سلاطينهم آهلة بالشعراء والأدباء فصحب ذلك الاهتمام والتشجيع تنافس شديد بين العلماء والأدباء في المشرق فزخرت تجارة التأليف واطرد تيارها حتى نمت العلوم وتم نضجها[4].

انحصر نشاط الأمير سبكتكين – مؤسس الدولة- في الجانب العسكري، إلا أنه اهتم بالأدب فقرب إليه بعضهم، مثل أبي الفتح السبتي[5]، وزاد الاهتمام بالأدب والعلوم في عهد السلطان محمود الغزنوي حتى صارت غزنة في أواخر القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) مركز إشعاع كبير في جنوب غرب آسيا، وقد علا شأنها على المراكز المعاصرة لها وذلك بفضل تشجيع سلاطين الدولة الغزنوية، ومما زاد في مكانة غزنة، إن معظم هذه المراكز آلت إلى الدولة الغزنوية، واستطاع السلطان محمود أن يضم إليه رجال العلم والأدب الذين كانوا

---

[1] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج3، ص517.

[2] جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص205.

[3] إدوارد.ج. براون: تاريخ الأدب في إيران، ترجمة إبراهيم الشواربي، القاهرة، 1954م، ج2، ص117.

[4] عائدة قاسموفا شهدار، المرجع السابق، ص47.

[5] العتبي، المصدر السابق، ص25، ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص176.

يحيطون بأمراء البلاد المجاورة[1]، حيث أرسل إلى مأمون بن مأمون(*) – أمير خوارزم- يطلب منه أن يبعث له بأبي علي بن سينا وأبي الريحان البدروني وأبي سهل المسيحي وأبي نصر بن عراق وأبي الخير بن الخمار لينتفع بعلمهم وفنهم[2]، ولما كان هذا الأمير يخشى بأس السلطان محمود الغزنوي فقد أمر رجال العلم في بلاده بالتوجه إلى غزنة فوفد عليه البيروني وغيره، بينما رفض البعض منهم تلبيةً الدعوة، فمات أبا سهل المسيحي تحت رمال الصحراء على إثر هبوب عاصفة أثناء رحلة فراره، وفر ابن سينا إلى طبرستان وجد رجال السلطان محمود في البحث عنه ولكن أمير طبرستان لم يمكنهم من ابن سينا بعد أن أفاد منه فوائد جمة في مجالات الطب وغيره من فروع العلم[3].

كما استعدى السلطان محمود كل من له سعة في العلم منهم على سبيل المثال أبو صالح النباتي والإمام أبو صادق، ولما توفي الرجلان، أرسل إلى نيسابور يسأل عمن يليهما في فقه أبي حنيفة[4].

كان اهتمام السلطان محمود بالعلم والعلماء والأدب والأدباء، وسعيه الذؤوب لضمهم إلى البلاط الغزنوي دور كبير في ازدهار الحضارة الإسلامية في الأرض التي تم ضمها إلى الغزنويين حيث اتسعت رقعة الدولة الغزنوية فكونت إمبراطورية كبيرة في المشرق ضمت زابلستان وسجستان وخراسان وبلاد ما وراء النهر وفارس وطبرستان وجرجان وبلاد بحر قزوين وكرمان، وضمت هذه الإمبراطورية مدناً مزدهرة اقتصادياً وثقافياً مثل غزنة وكابل وبخارى وسمرقند وأصفهان وهمذان والري ونيسابور وغير ذلك من المدن[5].

---

[1] براون: المصدر السابق، ج2، ص115.

(*) آل مأمون، حكموا بلاد خوارزم، وهم ولاة تابعين للسامانيين، حكموا بشكل شبه مستقل في الفترة بين سقوط الدولة السامانية وقيام الدولة الغزنوية، آخر أمراء آل مأمون أبو العباس المأمون الذي تزوج بشقيقة السلطان محمود الغزنوي في عام (407هـ/1064م)، وتوفي إثر ثورة الجند عليه مما أدى إلى تدخل الغزنويين في خوارزم والاستيلاء عليها. انظر البيهقي، تاريخ البيهقي، المصدر السابق، ص742.

[2] عباس إقبال، المرجع السابق، ص183، محمد ناظم، المرجع السابق، ص219.

[3] حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج3، ص225، 336، براون، المرجع السابق، ج2، ص111، 112، عصام عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص318.

[4] البيهقي، المصدر السابق، ص255.

[5] عصام الدين عبدالرؤوف، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، المرجع السابق، ص118.

برزت العديد من المراكز الحضارية، وتعد غزنة في العصر الغزنوي من أهم مراكز الحضارة في جنوب غرب آسيا وقد علا شأنها بين المراكز التي سبقتها وذلك بفضل تشجيع السلاطين الغزنويين الذين لم يألوا جهداً في سبيل رفع شأن العلوم والفنون في دولتهم[1].

كان لانتصارات السلطان محمود الغزنوي العسكرية ووفرة الغنائم والأموال التي تدفقت على غزنة عاملاً مساعد في رواج الفن والأدب، فقد بلغت الغنائم في بعض الحملات من الكثرة "ما لا تقله ظهور الأجمال ولا تسعه أوعية الأحمال ولا تنسخه أيدي الكتاب وكان المبلغ المنقول من الورق سبعين ألف ألف درهم شامية ومن الذهبيات والفضيات مائة ألف وأربعمائة من الدراهم وزناً"[2].

كان السلطان محمود الغزنوي أكثر السلاطين الغزنويين اهتماماً بالأدب والأدباء بعد أن ظهرت الدولة الغزنوية قوية على مسرح الأحداث، حيث جعل بلاطه منارةً تشد إليها الرحال، فوفد إليه الشعراء والأدباء والعلماء فشجعهم وأغدق عليهم الأموال والعطايا حتى وصف بأنه لم يكن نصيراً كبيراً للأدب والفنون فحسب، بل كان من كبار الجاذبين لرجال الأدب والفن[3]، ومن الحريصين على نقل الكتب والمصنفات إلى حاضرة ملكه غزنة[4]، فقد أخذ السلطان محمود من مكتبات مدينة بخارى وأصبهان ومدينة الري ما يساوي مائة حمل إلى خزائنه[5] مما جعل مدينة غزنة جامعة احتوت على حشد كبير من الكتب القيمة، في مختلف فروع الأدب[6].

---

[1] براون، المرجع السابق، ج2، ص115.

[2] العتبي، المصدر السابق، ص225-226.

[3] السباعي محمد السباعي، النثر الفارسي من النشأة حتى نهاية العصر القاجاري، القاهرة، دار الثقافة، 1987م، ص15-16.

[4] الحسيني، المصدر السابق، ص6، محمد ناظم، المرجع السابق، ص220.

[5] أحمد محمد عدوان، المرجع السابق، ص145، براون، المرجع السابق، ص111.

[6] محمد ناظم، المرجع السابق، ص220.

اللغة في العهد الغزنوي:

قبل البدء في الحديث عن الشعر والشعراء والأدب والأدباء والعلوم والعلماء، علينا التعريج لمعرفة اللغة المستخدمة في ذلك العصر.

حينما اتسعت الرقعة الإسلامية بدأت شعوب هذه المناطق تدخل في الإسلام ومعها ثقافاتها[1]، فاتصل وجود اللغة العربية بالوجود العربي، ولكن كيف كان موقف حكام الدول المستقلة عن حكم الخلافة العباسية في بغداد من اللغة العربية، خاصةً وأن معظمهم لم يكن من العرب.

كانت اللغة العربية هي لغة الأدب شعراً ونثراً بعد أن أصبحت اللغة الرسمية والشعبية في بلاد فارس، حتى قيل عنها "العربية لغة العلم والحضارة"[2]، وليس لدينا أدلة على تشجيع أو إحياء لغة الفرس من جانب أي من ولاة أو أمراء الولايات الفارسية بصورة رسمية، والغريب أن لا تحاول هذه الدول الفارسية الإسلامية تشجيع أحياء هذا التراث، فلم ينظر الطاهريون (205-260هـ/821-872م) وهم مؤسسو أول دولة فارسية إسلامية، نظرة حسنة إلى الأدب الفارسي ورأوا العناية به مخالفةً للدين الإسلامي، ويروى أن أحدهم أهدى كتاباً إلى عبدالله بن طاهر أمير خراسان (213-230هـ/828-844م)، فسأله ما هذا؟ فقال قصة (وامق وعذراء) التي ألفها بعض الحكماء للملك كسرى أنوشروان، فقال الأمير: نحن قوم نقرأ القرآن ولسنا بحاجة إلى غير القرآن والحديث فما لنا وهذه الكتب التي ألفها المجوس ثم أمر بإتلافها حتى لا يتهم بميوله للفارسية أو تعصبه لها[3].

فوصل الأمر بأمراء الطاهريين أن نظم بعضهم الشعر بالعربية[4]، ولذلك لا أستطيع الجزم بوجود استخدام للغة الفارسية منافساً للغة العربية قبل حكم الصفاريين[5]، فالفرس ينظرون إلى يعقوب بن الليث الصفار مؤسس الدولة الصفارية (253-295هـ/867-908م) بطلاً شعبياً ومنقذاً فنسبوا إليه أول بيت

---

[1] مصطفى الشكعة، معالم الحضارة الإسلامية، بيروت، دار العلم للملايين، 1987م، ط5، ص127.

[2] أبو العلا، المرجع السابق، ص253.

[3] عبدالكريم غربية، العرب والأتراك، دمشق، جامعة دمشق، 1961م، ص44، أبو العلا، المرجع السابق، ص253.

[4] أبو العلا، المرجع السابق، ص254.

[5] المرجع نفسه، ص254.

من الشعر الفارسي الحديث[1]، فحدث بعض التطورات اللغوية في فترة حكم الصفاريين، حيث تحققت الازدواجية اللغوية، وبدأت اللغة الفارسية تأخذ دورها بشكل رسمي وأدبي معاً بجانب اللغة العربية، وتطورت اللغة الفارسية في عهد السامانيين وأصبحت في معظم فترات حكمهم لغة رسمية[2]، فشهد عهدهم ولادة الأدب الفارسي الجديد، فبقت اللغة العربية لغة العلم والفكر والدين، أما الفارسية فقد اختصت بالأدب الصرف.

كانت الدولة الغزنوية التركية (351-582هـ/962-1186م) أول دولة شجعت الأدب الفارسي وساعدت على إحياء التراث الفارسي[3]، فلم تعد لغة التعبير الإسلامي هي عربية الأمس إنما أصبحت الفارسية الجديدة[4]، وهي استمرار للفارسية القديمة والوسيطة اللغة البهلوية التي تطعمت بالكثير من المفردات والعبارات العربية، وأخذت عن العربية أبجديتها بالذات بعدما أضافت إليها ثلاثة حروف خاصة[5].

يعد العصر الغزنوي من أهم عصور ازدهار اللغة الفارسية فبرغم أنهم أتراك إلا أنهم مثقفون بثقافة فارسية، فقد سهم الغزنويون في أحياء ثقافة الفرس في عهد السلطان محمود الغزنوي[6]، ولعل ذلك يظهر مدى تأثرهم بالدولة السامانية التي نشئوا في كنفها، كما ساعد الغزنويون في نشر اللغة والثقافة الفارسية إلى بلاد الهند، وذلك من خلال استقرارهم بها بعد زوال سلطانهم في بلاد فارس، وكان بلاطهم يقصده الشعراء والأدباء، فيحتضنهم كما كان يفعل بلاطهم في غزنة، بذلك ساعد الغزنوي على انتشار اللغة الفارسية في بلاد الهند.

كما تشير الدراسات المقارنة للغتين العربية والفارسية أنه حتى بعد انحسار المد الحضاري للغة العربية عن بلاد الفرس، فإن الآداب الفارسية ظلت تستمد

---

(1) عبدالكريم عربية، المرجع السابق، ص44.
(2) المرجع نفسه، ص45، أبو العلا، المرجع السابق، ص255، كلود كاهن، المرجع السابق، ص389.
(3) عبدالكريم غريبة، المرجع السابق، ص45.
(4) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص269.
(5) كلود كاهن، المرجع السابق، ص389.
(6) حمدي عبدالمنعم حسين، المرجع السابق، ص325.

وجودها وكيانها من الآداب العربية، وبهذا تحققت الازدواجية اللغوية، وتمتعت الدولة الإسلامية في المشرق ثقافياً وعلمياً بوجود اللسانين العربي والفارسي، وقد انتقلت هذه الصورة إلى الشعر وفنونه[1].

وتميزت الدولة الغزنوية خلال فترة حكمها باهتمامها بكلا اللغتين، ويظهر ذلك واضحاً جلياً من خلال الأشخاص الذين تولوا منصب الوزارة في الدولة الغزنوية، فمثلاً عندما تولى الوزارة أبو العباس فضل بن أحمد الإسفراييني (366-401هـ/976-1010م)، صارت اللغة الفارسية في ديوان محمود الغزنوي بأمره اللغة الرسمية فكتبت الأحكام والدفاتر والمراسلات بأمر من الوزير بالفارسية، وبعد أن عُزل الإسفرابيني في سنة (401هـ/1010م) استوز السلطان محمود أبا القاسم أحمد بن حسين الميمندي الذي جمع الفضل والأدب في الكفاءة والحنكة، وأمر بأن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية في البلاط الغزنوي[2]، فغلب على أيامه الشعر العربي على الشعر الفارسي[*].

من خلال حركة المد والجزر التي حدثت بين اللغتين العربية والفارسية إبان حكم الدولة الغزنوية، نبغ عدد من الرجال الذين كتبوا باللغتين العربية والفارسية أمثال ابن مسكويه ت(421هـ/1030م)، وأبو الريحان البيروني ت(362-440هـ/973-1048م) وبديع الزمان الهمذاني، وأبو الفتح البستي[3]، والبيهقي[4].

وقد اهتم بعض سلاطين الغزنويين بترجمة الكتب مثل كتاب "كليلة ودمنة" -كتاب من الثقافة الهندية- الذي نُقل إلى الفارسية في عهد الأكاسرة، ونُقل إلى العربية في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور، ثم تُرجم من جديد إلى الفارسية في

---

[1] أبو العلا، المرجع السابق، ص256.

[2] العتبي، المصدر السابق، ص15، عباس إقبال اشتياني، المرجع السابق، ص185-186، أحمد أمين، المرجع السابق، ج1، ص293.

[*] الميمندي: ينسب إليه أنه السبب في حرمان الفردوس من الحصول على مكافأته من السلطان محمود على نظمه للشهنامة، هذا ما سيتم التعرض له في المبحث الثاني، والعشر والشعراء، إقبال اشتياني، المرجع السابق، ص186.

[3] عبدالكريم غربية، المرجع السابق، ص45.

[4] .... موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية (التاريخ الإسلامي)، المجلد الثاني: التطور التاريخي للدولة الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت، ص24.

عهد الأمير الساماني نصر بن أحمد بن إسماعيل، وبقى الكتاب باللغة الفارسية حتى أمر السلطان إبراهيم الغزنوي (451-492هـ/1059-1098م)، أبا المعالي نصر الله بن محمد بن عبدالحميد- الكاتب الغزنوي- فخرده بألفاظه الزاهرة وعباراته الباهرة، ووصفه باستعارات جميلة، ومزجه بأشعار الفرس وتعددت بعد ذلك نسخ الكتاب بالعربية والفارسية نثراً وشعراً[1].

اتصل الهنود بالثقافة العربية الخالصة وتأثروا بها وأثروا فيها، منذ إتمام فتح السند على يد محمد بن القاسم الثقفي في عهد الوليد بن عبدالملك (86-96هـ/705-714م)، حدث امتزاج بين الشعبين العربي والهندي، بل وصار من الهنود أدباء وشعراء ولغويون، مثل الشاعر أبو عطاء السندي[2]، ثم قام بحمل الغزنويين الأتراك المؤثرات الإسلامية إلى شمال الهند كلها، وتدفق العنصر التركي إلى البلاد منطلقاً من إمارة البنجاب، واتصلت الهند بآسيا الوسطى اتصالاً وثيقاً، وتأثر الهنود بالأتراك وتعصبهم للسنة وتبنيهم للثقافة الفارسية الجديد في عصر إحيائها، وما عرفوا به من تنظيمات سياسية وعسكرية وتشجيع للحركات الصوفية[3]، ولعل ذلك من الأسباب التي مكنت الإسلام من نفوس الهند الذين تميل قلوبهم إلى مثل هذه النزاعات الصوفية[4].

طالت فترة الحكم الغزنوي في الهند فحدث احتكاك واسع المدى بصميم الحياة الهندية والفكر الهندي، وكان من أهم عوامل الاندماج بين الشعوب الهندية والإسلامية ظهور جماعة المولدين[5].

بعد انتشار الإسلام في بلاد الهند انتشرت لغة جديدة في القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر) الميلاد في عهد السلطان محمود الغزنوي[1]، والتي تكونت

---

[1] عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص315.

[2] مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص129.

[3] حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص253.

[4] المرجع نفسه، ص269.

[5] المرجع نفسه، ص271.

[1] حمدي عبدالمنعم حسين، المرجع السابق، ص325.

من امتزاج اللغة الفارسية والعربية والهندية ولغات محلية[1]، وهي اللغة الأردية فكتب بها المسلمون عن تقاليد الهند كما نظم الهنود أشعارهم بها[2].

خلاصة القول: لم تفرض الدولة الغزنوية على رعاياها لغة بذاتها للتعامل بها، فقد تقبلت جميع الأجناس على اختلاف لغاتهم وثقافاتهم، وبدون تمييز لغة على أخرى، فتقبل السلاطين أراء الوزراء في تحديد اللغة الرسمية للبلاد دون تدخل منهم، كما ظهر بفعل الاختلاط والاندماج بين الأجناس واللغات المختلفة اللغة الأردية التي تعد خلاصة اللغات الفارسية والعربية والهندية والتركية.

---

(1) عصام عبدالرؤوف، تاريخ الفكر الإسلامي، المرجع السابق، ص52، موسوعة الثقافة التاريخية، المرجع السابق، ص51.

(2) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص275.

النهضة الأدبية والعلمية في العصر الغزنوي

أولاً: العلوم الأدبية:

الشعر والأدب:

كان للدولة الغزنوية التركية في شرق العالم الإسلامي دور ناجح ميزها عن الدول التركية التي قامت في كل من مصر وبر الشام[1]، فبرز في رعايتهم العديد من الشعراء والأدباء، الذين شاركوا في ازدهار الحضارة الإسلامية في المشرق، والتي تميزت باندماج الأدبين العربي والفارسي.

اهتم سلاطين الدولة الغزنوية رغم انشغالهم بالفتوحات في بلاد الهند بتشجيع الأدباء والشعراء خاصةً في عهد السلطان محمود الغزنوي، حيث يصفه شكيب أرسلان – وهو يسجل اعتراف المستشرقين- بأنه "لم يكن فاتحاً غازياً عالي المكانة من الجهة العسكرية فقط بل كان أديباً كيساً جامعاً بين دولتي السيف والقلم"[2]، فضم إلى بلاطه علماء وفقهاء وأدباء في تخصصات مختلفة، فصارت غزنة التي كانت عبارة عن قلعة حربية، مركزاً للعلم والعرفان ومشرقاً لأشعة العلم والأدب وامتلأت المدارس والجوامع والمكاتب بالطلاب وشدت إليها رحال الحكماء والعلماء والشعراء[3]، حتى قيل أن بلاط السلطان محمود كان فيه نحو أربعمائة شاعر[4]، فكان على رأسهم الشاعر العنصري الفارسي بايعه الشعراء بالزعامة، والفرخى السستاني والعسجدي المروزي، والفردوسي صاحب الشاهنامة... وغيرهم.

وسنذكر نماذج من أشهر الأدباء والشعراء الذين برزوا في العهد الغزنوي.

1- أبوالفتح علي بن محمد البُستي:

عندما كانت الدولة الغزنوية لا تزال في بداية تكونها في عهد الأمير سبكتكين الذي كان يقود الحملات الحربية ويدير شئون الدولة بنفسه، فاتخذ من أبي

---

[1] عبدالكريم غريبة، المرجع السابق، ص44.

[2] لوتروب ستودارد، المرجع السابق، ج4، ص289.

[3] المرجع نفسه، ص284.

[4] عباس إقبال انشتاني، المرجع السابق، ص181، أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ج1، ص99.

الفتح البُستي كاتباً له وموضع سره ومستشاره في أمره[1]، حيث لم تتضح بعد معالم منصب الوزير إلا في عهد السلطان محمود الغزنوي، وبعد وفاة اسبكتكين التحق أبو الفتح بخدمة السلطان محمود، الذي اشتهر أبو الفتح البستي بجودة شعره ونثره[2]، فهو صاحب الطريقة الأنيقة التجنيس الأنيس البديع التأسيس فمن نثر البديع قوله: "من أصلح فاسده أرغم حاسده، ومن أطاع غضبه أضاع أدبه عادات السادات سادات العادات، ومن سعاة جدّك وقوفك عند حدّك ... الفهم شعاع العقل، المنية تضحك من الأمنية..."[3]، فبدأ نثره واضح جميل في السجع والازدواج على طريقة عصره، وهو في نثره يكثر الأمثال، وفي نظمه يُكثر من الحكم[4].

ومن بديع نظمه قوله:

إنْ هــز أقلامــه يومــاً ليعلمهــا

أنســاك كــل كمــي هــزّ عاملــه

وإنْ أمـــرَّ علـــى رق أناملـــه

أقــرّ بــالرقّ كتــاب الأنــام لــه[5]

ويظهر أن له ثقافة واسعة في علم النجوم استخدمها كثير في شعره[6].

ويدل شعره ونثره على رقة دوقه، وسعة ثقافته في مختلف فروع العلم، حيث استفاد منها في مزاولته الكتابة للسلاطين والأمراء، واحتكاكه بالأحداث السياسية، والمشاكل الاجتماعية، وأكثر ما يتجلى ذلك في أمثاله وحكمه[7].

توفي الشاعر أبو الفتوح البستي في بخارى منفياً[8]، في سنة (400هـ/1009م)[9]، أثر غضب السلطان محمود الغزنوي عليه[10].

---

[1] العتبي، المصدر السابق، ص25، ميرخواند، المصدر السابق، ص131، أحمد أمين، المرجع السابق، ج1، ص294.

[2] اليافعي، عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م، ج2، ص341.

[3] المصدر نفسه، ص341.

[4] أحمد أمين، المرجع السابق، ج1، ص294.

[5] اليافعي، المصدر السابق، ج2، ص341.

[6] المصدر نفسه.

[7] أحمد أمين، المرجع السابق، ج1، ص295.

[8] محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص215، بروان، المرجع السابق، ج2، ص114.

[9] اليافعي، المصدر السابق، ج2، ص341.

[10] أحمد أمين، المرجع السابق، ج1، ص295.

الفردوسي الطوسي:

أبو القاسم الحسن بن علي الفردوسي ولد في الفترة ما بين (320-323هـ/932-934م)[1]، الشعري: فقد جرت عادة الفرس من قديم أن يخلعوا على شعرائهم ألقاباً خاصة[2]، اقترن اسم الفردوسي بالشاهنامة التي شرع الدقيقي في نظمها، ولكنه اغتيل بعد شروعه في هذا العمل بوقت قصير على يد أحد عبيده ليلاً، على ذلك فإن الدقيقي سبق الفردوسي في نظم الشهامنة حيث نظم ألف بيت وزاد عليها الفردوسي ستين ألفاً[*]، ولما قُرئت هذه القصص على الناس، أولع بها الحكماء والمفكرون[3].

قضى الفردوسي نحو ثلاثين عاماً في نظم الشاهنامة، فأتمها في سنة (389هـ/998م)، ثم أهدى النسخة الأولى منها إلى كبير من كبراء الفرس بأصفهان اسمه أحمد الخالنجاني، فأجازه عليها بجائزة يسيره، فصار يبحث عن من يجيزه بجائزة تحقق أمانيه، وسرعان ما وجد ذلك الملك الجليل في شخص السلطان محمود الغزنوي[4]، فتوجه إلى غزنة على أيام الوزير أبي العباس الفصل بن أحمد الأسفراييني[**]، الذي كان يعنّى باللغة الفارسية، شديد العناية حيث جعل منها لغة رسمية للدولة الغزنوية، غير أن محمود قد خيب رجاء الشاعر فيه فَضَنَّ، من أثر الوشاة، بما كان يأمله عنده[5]، فالسلطان محمود لم يكافء الفردوسي كما

---

(1) موريس ولومبار، المرجع السابق، 27.

(2) حسن عبداللطيف، المرجع السابق، ص136.

(*) اختلفت الآراء في أسباب إكمال الفردوسي، فهناك من يرى أنه أراد إكمالها وذلك لرغبة في نفسه نظراً لما كان من تشجيع آل سامان في عهد الأمير الساماني نوح الثاني للشهر الملحمي الفارسي، ولما انهارت الدولة السامانية اتجه إلى السلطان محمود الغزنوي، ورأي آخر يقول أنه قام ينظم الشهنامة لأن السلطان محمود طلب إليه ذلك، والباحثة ترجح الرأي الأول لأنه الاتهمات التي وجهت للسلطان محمود فيما بعد على عدم مكافئة الشاعر مكافئة مجزية يدل على أن الشاعر نظمها لرغبة في نفسه، ولم تكن موافقة لهوى السلطان محمود الغزنوي، موريس لومبار، المرجع السابق، ص77، حسن عبداللطيف، المرجع السابق، ص136، عبدالمنعم نمر، المرجع السابق، ص95.

(3) عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص243.

(4) حسن عبداللطيف، المرجع السابق، ص136.

(**) لم يتم الشاعر الفردوسي نظمه للشاهنامة وقدمها للسلطان محمود إلا في عهد أبو القاسم أحمد بن حسن الميمندي الذي اهتم باللغة العربية وأدبها فكانت هي اللغة الرسمية للدولة، في عهد وزارته، وهناك من يرى أن سبب حرمان الفردوسي من تحصيل مكافأته هو الميمندي، عباس إقبال اشتياني، المرجع السابق، ص186.

(5) أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ج1، ص99.

وعد أن يعطيه على كل بيتين قطعة من الذهب، فقد بدل الفضة بالذهب فخاب ظن الفردوسي، وثارت ثائرته، وقسم المال بين بعض الناس ازدراءً، وفر خفية بعد أن هجا السلطان محمود، فكتب في ديباجة الشاهنامة مائة بيت وحملها إلى طبرستان وقدمها إلى ملكها شهريار وقرأها عليه، وقال سأحول الشاهنامة من اسم محمود إلى اسمك، فإن هذا الكتاب فيه أخبار أجدادك ومآثرهم فمنحهُ الملك شهريار مائة ألف درهم، وحذف منه المائة بيت هجاء الخاصة بالسلطان محمود الغزنوي[1].

والشاهنامة تجمع معظم أخبار وتاريخ وأساطير الفرس من أقدم العصور إلى أن زالت دولتهم على يد المسلمين في القرن (الأول الهجري/السابع الميلادي)، وهي مرتبة ترتيباً تاريخياً وتذكر الأسرة الحاكمة وأخبار كل ملك من ملوكها، اطلع السلطان محمود الغزنوي على الشاهنامة، وأدرك أنه ثمرة مجهود عقل جبار؛ لكنه مع ذلك لم يتقبله بقبول حسن، فوجهت للسلطان محمود العديد من الانتقادات منها أنه تركي لا يحسن درك لطائف اللغة الفارسية، فلم يكن بذلك قادراً أن يفهم شيئاً من شعر الفردوسي، وأنه من شدة تعصبه للمذهب السني عادى كل من يدعو إلى حرية الفكر[2]، ولكن مما لا شك فيه أن هذا السلطان مسلم أنفق من الجهد في إعلاء كلمة الإسلام في الهند ما أنفق، وساهم في إثراء الأدب الفارسي، وبحيث أنه كان منذ الصغر قد نشأ في أحضان الدولة السامانية الفارسية، وهو من القادة المقربين لأمراء سامان فكيف لا يكون ملماً بالأدب الفارسي، خاصةً وأنه كما ذكرنا سابقاً أن للسامانيين اهتماماً بأحياء اللغة والأدب الفارسي، فكان الشعر ينظم بالفارسية وأصبحت اللغة العربية غريبة على الناس، وكيف لا يمكن للسلطان محمود فهم ذلك المكتوب في الشاهنامة، ومن أشهر شعراء بلاطه وندمائه الشاعر العنصري الفارسي الأصل الذي سجل نظم مقامات تتعلق بغزوات السلطان

---

(1) عصام الدين عبدالرؤوف، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، مرجع السابق، ص322، لوثروب ستيوارد، المرجع السابق، ص289.

(2) عباس إقبال اشتياني، المرجع السابق، ص183، يعلق مترجم كتاب "تاريخ إيران بعد الإسلام" د. محمد علاء الدين منصور، أنشأ المؤلف، مخفياً علة كرهه لمحمود وهي أنه تركي لا غير، حيث يبرر تجمع هذا الكم الهائل من الشعراء والكتّاب والعلماء وهو وهو حبًّا للظهور، وأن ماشيناه في ذلك لأنه حاكم كأي حاكم عاصره فيكفيه فضلاً على الإيرانيين أن لغتهم الفارسية صارت لغة أدب قوي وعلم مستقر وبلغت كمال ارتقائها على يديه، كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص270.

وحروبه وفتوحه باللغة الفارسية وقصائد في مدح كل من محمود وابنه مسعود ولهُ منظومات أخرى مثل وامق وعذراء، وعين الحياة وغيرها ولقبه السلطان بأمير الشعراء، أو ملك الشعراء[1]، وكان العنصري ملماً إلماماً تام باللغة والأدب العربيين والعلوم العقلية، وقد صار أسوةً أكثر شعراء القصيد الفرس، فما الذي يمنع السلطان محمود في حال كان لا يدرك الفارسية من الاستعانة بالعنصري، خاصةً وأنه كان يُشغل منهم مسؤولين عن التمييز بين غث الشعر وثمينه – هذه كانت من الوظائف الموكلة للشاعر العنصري[2]– لكن يمكن من خلال الدراسة في هذا الموضوع أن نذكر بعض الأسباب التي دعت السلطان محمود إلى عدم تقبل الشاهنامه بقبول حسن كما كان يرجو الشاعر الفردوسي السبب الأول: وهو أن للفردوسي في بلاط محمود حساد ووشاة سعوا للإطاحة به عند السلطان، ومن المتهمين بالوشاية الوزير أبا القاسم أحمد بن حسن الميمندي بتحريض من الشاعر العنصري الذي شعر بالغيرة من عبقريته فاستعمل تأثيره ليوغر صدر السلطان عليه[3]، وعليّ الانتباه إلى أن العنصري والعسجدي والفرخي من الفرس[4]، ومن الشعراء الذين ساهموا في إثراء الأدب الفارسي، فبهذا نستبعد السبب الذي يقول بأن محمود رفض الشاهنامه لكونها من الأدب الفارسي أو لأن مؤلفها من أصل فارسي.

السبب الثاني: يعلل بروكلمان رفض السلطان محمود للشاهنامه بقوله: "إن هذا السلطان لم يكن قادراً أن يفهم شيئاً من شعر الفردوسي مع أن الفردوسي مجد السلطان محمود في مواطن كثيرة، إلا أنه لم يمنحه جائزة تحقيق أمنيته، فأجابه الفردوسي على ذلك بهجاء لاذع"[5]، وترى الباحثة أن تعليل بروكمان جاء من جانب استشراقي، فهو لم ينظر إلى الجذور العميقة التي جعلت من السلطان

---

[1] عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص319، إقبال عباس، المرجع السابق، ص182.

[2] عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص319.

[3] محمود ناظم، المرجع السابق، ص219، عباس إقبال اشتياني، المرجع السابق، ص186، لوثروب ستيوارد، المرجع السابق، ص289، عبدالمنعم النمر، المرجع السابق، ص95.

[4] لوثروب ستيوارد، المرجع السابق، ص289.

[5] كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص270.

محمود لا يكترث لما جاء في الشاهنامه من مديح لشخصه، وذلك بسبب ما ورد في الشاهنامه من تقديس لحكام إيران الأسطوريين وأزدى بغيرهم من غير الفرس وادعى أنه إحياء القومية الفارسية ومدار أغلب نظمه قائم على انتصار الفرس على التورانيين الترك وتزييف تاريخ الآخرين وإظهارهم بمظهر فاحش[1].

فالدارس في تاريخ الدول الإسلامية التي قامت في المشرق، يلاحظ أن ما قام به السلطان محمود الغزنوي تصرف حسن عندما لم يعجب بالشاهنامه ويثني عليها، فلو فعل لاندلعت شرارة عصبية الفرس من جديد وهي التي لم تلبث أن تخمد عبر صفحات التاريخ الإسلامي، فقد يكون السلطان محمود وضع أمام ناظريه هذا الأمر، فأثر إخماد هذه الشرارة خاصةً وأنه يخوض غمار فتوحات إسلامية من المهم أن تستمر.

التاريخ:

أدى اتساع الدولة الإسلامية إلى ظهور مؤرخين لا يهتمون بالتاريخ العام إنما يهتدون بتاريخ شعوبهم أو الأقاليم التي نشئوا فيها ومن هنا ظهر التاريخ المحلي الذي يعبر فيه المؤرخ عن شخصية بلده وشعبه وإحياء تاريخ هذا الإقليم.

اهتم علماء المشرق بدراسة التاريخ، ونبغ منهم مؤرخون كتبوا كتباً قيّمة في القرنين (الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلادي)، وأتيحت لهم مادة غزيرة عبروا بها في كتبهم، وأُتيحت لهم المصادر الأصلية مثل الوثائق والمراسم والمعاهدات الرسمية والمراسلات السياسية والبيانات الإحصائية والدواوين وعندهم المقدرة على وصف الحرب والخطط العسكرية والأساليب القتالية، والأسلحة المستعملة في الحروب وأخبار الثغور والعواصم[2].

العتبي:

هو محمد بن عبدالجبار العتبي، وكنيته "أبو النصر" وهو ذو أصول عربية، حيث يرجع تاريخ أسرته إلى عتبة بن غزوان ممصّر البصرة، قدم إلى خراسان

---

[1] تعليق د. محمد علاء الدين منصور، محقق كتاب: عباس إقبال، المرجع السابق، ص187.

[2] عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص328.

على خاله أبي نصر العتبي – من كبار عمال الدولة السامانية، ثم تنقلت به الأحوال والأسفار في الكتابة لبعض الأمراء مثل الأمير أبي علي المظفر بن محمد بن إبراهيم بن سيمجور[1]، ثم استقر به المقام ليعمل كاتباً عند الأمير أبي منصور سبكتكين (ت387هـ/997م) والد السلطان محمود الغزنوي، ثم لمحمود نفسه[2].

للعتبي مؤلفات كثيرة منها كتاب "لطائف الكتاب" وكتاب "شذور النصر من كلام أبي النصر" وأبرزها كتاب "اليميني" نسبةً لقب السلطان محمود وتيمناً به (يمين الدولة وأمين الملة) واللقب الذي منحه إياه الخليفة العباسي القادر بالله (381-422هـ/1030م) وقد صرح بذلك في نهاية الكتاب، فقال: "... خدمتي دولة السلطان يمين الدولة وأمين الملة بـ(اليميني في شرح أخباره، ومدح مقاماته في عدته وأنصاره"[3]، يتسم كتاب العتبي بأسلوبه الأدبي المفرق بالمحسنات البديعية، والسجع المتكلف، والتأنق اللفظي، والأساليب البلاغية الأخرى، على نحو ما فعله معاصره أبو منصور الثعالبي ولذلك جمع الكتاب بين الأدب والتاريخ[4]، وعنى بشرحه الكثير من الأدباء[5].

وعلى الرغم من أسلوب اليميني الأدبي العسير إلا أن المؤلف قدم مادة تاريخية شديدة الأهمية تكاد تكون المادة الأولية لكثير من المؤرخين في حديثهم عن سبكتكين وتأسيسه دولته، وتاريخ محمود وعصره، والوقائع التي حدثت في أيامه إلى سنة (409هـ/1018م)[6]، وتأتي أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه عاصر الأحداث التي كتب عنها خاصةً أنه كان يعمل في دواوين الدولة[7].

فهو يمثل المصدر الرئيسي لابن الأثير، وخاصةً حينما صرح بذلك خلال حديثه عن علاقة السلطان محمود بخلف بن أحمد أمير سجستان، وذلك في أحداث سنة (393هـ/1002م)[1].

---

[1] إحسان ذنون التامري، محقق كتاب، تاريخ اليميني (المقدمة)، المصدر السابق، ص هـ .
[2] الثعالبي، المصدر السابق، ج4، ص346.
[3] العتبي، المصدر السابق، ص483.
[4] أحمد أمين، المرجع السابق، ص295.
[5] إحسان دنون التامري، المرجع السابق، ص د.
[6] براون، مرجع سابق، ج2، ص132، محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص215.
[7] عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص331.
[1] المرجع نفسه، ص33.

كما يعد كتاب اليميني أحد المصادر المهمة التي مكنت محقق (ديوان أبي الفتح البستي) من إيجاد بعض النصوص المفقودة حيث حفظها العتبي[1]، بل إن ترجمة حياة أبي الفتح البستي لم يحفظها إلا العتبي وكل ما جاء بعده لا يعدو أن يكون مكرراً لما جاء به العتبي[2].

والأهم من ذلك قدم كتاب اليميني لمؤلفه العتبي صورة واضحة لتاريخ الدولة الغزنوية، خاصةً عن طموح السلطان محمود السياسي، وجهوده الكبيرة في نشر الإسلام وأعماله الداخلية في تثبيت أركان الدولة الغزنوية الناشئة، فهو يحتوي على عرض مفصل لسيرة السلطان محمود في السنين الواقعة بين 365 و409هـ/975 و1018م، فاستحق بذلك لقب مؤرخ الدولة الغزنوية.

البيهقي:

هو أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي، من أبرز رجال الأدب والتاريخ في الدولة الغزنوية، ولد في قرية بيهق في الجنوب الشرقي لخراسان حوالي سنة (385هـ/995م)، وتوفي في صفر سنة (470هـ/1077م)، بدأ أبو الفضل البيهقي حياته في نيسابور، وتثقف بها ثقافة دينية وأدبية كبيرة اشتملت على علم القرآن والحديث، وارتبط بروابط وثيقة برجال العلم والأدب، ومن أبرز كتبه كتابه الذي وضعه عن تاريخ الدولة الغزنوية في عهد السلطان مسعود، ويشهد هذا الكتاب بسعة إطلاع مؤلفه وعمق ثقافته وأحاطته الكاملين باللغتين العربية والفارسية[3].

لقد التحق البيهقي بالعمل في ديوان الرسائل كتلميذٍ – أي وكيلاً ونائباً– لأبي نصر مشكان رئيس الديوان فاشتغل تسعة عشر عاماً أيام السلطانين "محمود الغزنوي" و"ابنه مسعود"[1]، ثم تولى رئاسة الديوان في عهد السلطان عبد الرشيد (440-444هـ) وأثناء ذلك ثار العبد طغرل – أحد عبيد السلطان محمود–

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص83.

[2] محمد مرسي الحولي: أبو الفتح البستي، حياته وشعره، بيروت، د.ن، 1980م، ص335.

[3] بروان، المرجع السابق، ج2، ص132.

[1] البيهقي، المصدر السابق، ص9.

واستولى على الحكم بعد قتل السلطان والزج بأنصاره في السجن واستمرت الفوضى أربعين يوماً، ثم استرد فرخ زاد الحكم وقتل طغرل وأفرج عمن اعتقلوا، وكان أبو الفضل البيهقي واحداً منهم، وحين خرج اعتكف على القراءة والتأليف حتى وفاته[1].

وكتاب البيهقي على ضخامته جزء من سفر كبير كان في ثلاثين جزء والذي بين أيدينا منه الآن هو القسم الباقي[2]، عندما أخذ البيهقي على عاتقه كتابة التاريخ لم يكن بعيداً عن مجرى الحوادث التي يؤرخ لها، ولم يكن البيهقي يسجل هذه الحوادث التاريخية بعيداً عن البيئة التي جرت فيها وعن الأشخاص الذين شاركوا في هذه الحوادث، ولم يكتف بسرد التاريخ سرداً ولكنه كان يقف حيثما يجب التوقف ليبدي رأيه ورأي الوزير ورئيس الديوان ولا يغفل صدى التصرفات التي تصدر في موضوع معين عند الرأي العام، وأتيح للبيهقي بحكم عمله في ديوان الرسائل أن يُضمّن كتابه الوثائق الرسمية التي كانت في حوزته بوصفه الكاتب المسؤول عن نسخها ثم عن حفظها[3]، وهكذا ذكرت في كتابه الرسائل السياسية التي تعتبر من أهم الوثائق الإسلامية، بالإضافة إلى أنه كان يدون ما يسمعه من الوزير أو من كبار رجال الدولة ونقل كل هذا في كتابه "تاريخ البيهقي"؛ لذلك فإن تاريخه يعطي صورة صادقة عمّا جرى في البلاط الغزنوي، طيلة فترة عمله به، فالبيهقي صادق حين يقول إن هذا التفصيل الذي يتصف به كتابه لا يتوفر في كتب التاريخ الأخرى التي اقتصر أصحابها على نبذ وجيزة من أن ملكاً فتح بلداً يوم كذا وأن حرباً أو صلحاً قد تم وهكذا[4]، حيث يقول: "أما أنا وقد تعرضت لهذا العمل فإني أود أن أؤدي حق التاريخ كاملاً وأن أبحث عن الخفايا حتى لا يخفى شيء من الحوادث، وإذا طال هذا الكتاب فإني طامع في ألاّ أثقل على القراء، فليس من حادث إلا وهو جدير بأن يقرأ ولا تخلو قصة من عبرة"[1].

---

(1) البيهقي، المصدر السابق، ص6.

(2) المصدر، نفسه، ص6.

(3) يحيى الخشّاب، مقدمة كتاب البيهقي، المصدر السابق، ص10.

(4) المصدر نفسه، ص11.

(1) البيهقي، المصدر السابق، ص11.

تميزت شخصية البيهقي "المؤرخ" بالبعد عن الهوى والذاتية، فرغم الصلة الوثيقة التي ربطت البيهقي بالسلطان وبالوزيرين الميمندي وعبدالصمد وبرئيسه أبي نصر مشكان فإنه لم يستح من الحق وهو يتحدث عن التاريخ، وقد حظي البيهقي بثقة السلطان، حيث طلب منه النصح في مواقف عدّة، ومع هذا فإنه لم يتردد في انتقاد السلطان في كل موقف كان خطأ السلطان واضحاً، فهو يأخذ عليه انسياقه وراء أبي سهل الزوزني في مطالبة الناس بما خلع عليهم الأمير محمد بن صلات، وأنه قد نتج من ذلك أن بلغ سوء السمعة إلى ما لا يمكن وصفه.

وكم مرّة سجل البيهقي انتقاده للسلطان لانصرافه إلى اللهو والعبث في ساعات العسرة، ولم يتردد في أن يسجل أنه خسر معركة مرو لأنه تعاطى الأفيون فنام ولم يجرؤ أحد على إيقاظه في الوقت المناسب[1]، ولم يتردد في تسجيل عدم أخذه بنصح الناصحين له بعدم مغادرة غزنة إثر انهزام جيشه أمام السلاجقة[2]، فضلاً عن حوادث التاريخ السياسي فأن كتاب البيهقي حمل بين ثنايه معلومات عن النظم الإدارية والمالية ورسوم قصر الخلافة، وتحدث عن العادات والتقاليد[3].

العلوم "البيروني نموذجاً":

أصبحت خوارزم مركزاً مهماً من مراكز الثقافة الإسلامية في الجزء الشرقي من العالم الإسلامي في القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي)، وزاد من أهميتها أنها كانت بحكم وضعها الجغرافي ملتقى للثقافتين الشرقية والغربية، وعلى الرغم من التفكك السياسي الذي أصاب الخلافة الإسلامية وتمزقها إلى عدّة دويلات في بلاد فارس وغيرها، فإن الحياة الفكرية قد ازدهرت إلى حدٍ كبير، إذ كانت كل دولة تشجع العلم، وتحاول أن تتميز به وكان كل بلاط يمثل جامعة عظمى تآلفت فيها مختلف المعارف، حيث اجتمع في بلاد أبي العباس مأمون

---

(1) البيهقي، المصدر السابق، ص664.

(2) المصدر نفسه، ص727-728.

(3) انظر مقدمة تاريخ البيهقي، المصدر السابق.

خوارزمشاه(*) في أواخر ذلك القرن كوكبة من أجل علماء المسلمين مثل أبي علي بن سينا، وأبي سهل المسيحي، وأبي الخير الخمّار، ومسكويه وأبي نصر عراق، وأبي الريحان البيروني[1].

نشأ البيروني(**) في خوارزم، إذ ولد بها سنة (362هـ/972م)، وتوفي بغزنة سنة (440هـ/1048م)[2]، زار البيروني حوالي سنة (390هـ/999م) بلاط شمس المعالي قابوس بن وشمكير أمير طبرستان الذي عُرف بتشجيع العلماء وأهدى إليه أول كتاب له المسمى "الآثار الباقية عن القرون الخالية" وهو يبحث في التواريخ التي كانت تستعملها الأمم، ونظم الطوائف والجماعات المختلفة والاحتفال بالأعياد القومية[3]، ثم عاد البيروني قبل سنة (399هـ/1008م) إلى موطنه في جرجانية عاصمة "آل المأمون"[4]، وفي سنة (408هـ/1017م)[5] زحف السلطان محمود الغزنوي على خوارزم واستولى عليها، وضمّها إلى بقية ممتلكاته، ثم أمر علماء خوارزم وحكماءها أن يعودوا معه إلى بلاطه في غزنة، وكان من بينهم البيروني(***).

(*) سمي حكام الجرجانية بالمأمونيين، وهم أصحاب إقطاعيات كانوا تابعين للسامانيين ولا يوجد أي ذكر لها لدى المؤرخين المسلمين حتى سنة 382هـ/922م، عندما قدم حاكم الجرجانية مأمون بن محمد بن علي مساعدته للأمير الساماني نوح بن منصور خلال فترة نفيه من بخارى وفي سنة (385هـ/995م) ألحقت مملكة خوارزم بالجرجانية عندما قام المأمون بمهاجمتها والقبض على أبي عبدالله خوارزمشاه أسيراً، محمد ناظم، المرجع السابق، ص82.

[1] بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، القاهرة، 1958م، ص104.

(**) يرجع ياقوت الحموي، أن أبا الريحان كان من "أهل الرستاق" وهذه النسبة معناها البراني، لأن بيروني بالفارسية معناه برا، حيث يقول الحموي "وسألت بعض الفضلاء عن ذلك فزعم أن مقامه بخوارزم كان قليلاً وأهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم"، معجم الأدباء، بيروت، دار الفكر، 1990، ج17، ص180.

[2] أظهر المباركبوري، رجال السند والهند، القاهرة، دار الأنصار، 1978م، ص204، 205، بروان، المرجع السابق، ج2، ص114.

[3] أحمد أمين، المرجع السابق، ج1، ص299، محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص216، محمود سعيد عمران، معالم التاريخ الإسلامي الوسيط، بيروت، دار النهضة العربية، 1998م، ط1، ص98.

[4] عبدالعزيز مصطفى بقوش، من علماء ما وراء النهر "أبو الريحان البيروني"، أضواء على حياته وكتابه، تحقيق ماللهند... والجماهير، مؤتمر المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، (د.ن)، ص4.

[5] الكرديزي، المصدر السابق، ص85، وانظر أحداث دخول محمود الغزنوي إلى خوارزم بتفاصيلها، العتبي، المصدر السابق، ص395، محمد ناظم، مرجع سابق، ص84.

(***) يختلف الباحثون في تحديد الطريقة التي دخل بها البيروني بلاط السلطان محمود الغزنوي في غزنة، حيث يرجح البعض أنه دخلها إثر طلب السلطان من أمير خوارزم إرسال البيروني وابن سينا وغيرهما من العلماء لإثراء الحركة العلمية في حاضرة ملكه، بروان، المرجع السابق، ج2، ص121، محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص215، عصام الدين عبدالرؤوف المرجع السابق، ص378.

ولم ينجح هؤلاء في تعكير مزاج محمود، الذي قضى على أستاذ البيروني عبدالصمد الأول بن عبدالصمد الحكيم بتهمة القرمطة، وتشكك في أبي الريحان وهم أن يلحقه بأستاذه، إلا أن ما سمعه عنه من أنه إمام وقته في علم النجوم صادف هوى في نفسه، فتخلى عن فكرة قتله، ولم يَتخل عن شكه فيه، فكانت العلاقة التي ربط البيروني بمحمود علاقة شك وخوف دائمين، وريبة وتقلب يزجان به في السجن ويمكنانه من البحث والاطمئنان أحياناً أخرى[1]، وربما يرجع سخط السلطان محمود علي البيروني إلي أن السلطان لم يكن يميل إلى العلوم العقلية، بل كان يتهم صاحبها بالإلحاد والبعد عن الدين، وكان يسيء الظن بهؤلاء العلماء[2].

ويمثل أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني العالم الإسلامي في أحسن صورة له، فقد كان البيروني فيلسوفاً، ومؤرخاً ورحالة وجغرافياً، ولغوياً، ورياضياً، وفلكياً، وشاعراً، وعالماً في الطبيعيات[3]، وعندما اتصل البيروني بمحمود بن سبكتكين، أخذ في دراسة جغرافية بلاد الهند وعلومها وديانتها وعقائدها، وألف في ذلك كتباً لا يزال يعتمد عليها في معرفة بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والعلمية في الهند إلى الوقت الحاضر، وهو كتاب (تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة).

لم يبرح البيروني غزنة في عهد السلطان محمود إلا ليتوجه إلى زيارة خوارزم، أو ليكون في ركاب محمود أثناء فتوحاته للهند، ومن هنا أُتيح له أن يتعلم اللغة السنسكريتية[*]، وأن يخالط علماء الهند وحكماءها فاتسعت آفاق معرفته، وارتفاع شأن البيروني في عهد مسعود بن محمود، حيث يقول ياقوت الحموي "فقد كان فيه – يقصد السلطان مسعود– إقبال على علم النحو، ومحبة

---

[1] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج17، ص186، أطهر المباركبوري، المرجع السابق، ص207، علي الشابي، الأدب الفارسي في العصر الغزنوي، دار نشر تونس، 1965م، ص281.

[2] عبدالعزيز مصطفى بقوش، المرجع السابق، ص7.

[3] أظهر المباركبوري، المرجع السابق، ص204، محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص97.

[*] اللغة السنسكريتية: من فصيلة اللغات الآدية وضعت بها كتب الهند المقدسة القديمة مثل كتاب (الرغ ويدا) ويعتبر الأوروبيون هذه اللغة هي الأصل التي اشتقت منه اللغات الأوروبية وكتاب (الرغ ويدا) من كتب البراهمة الهندوس، على الشابي، المرجع السابق، ص288.

لحقائق العلوم، ففاوضه يوماً في هذه المسألة وفي سبيل اختلاف مقادير الليل والنهار في الأرض، وأحب أن يتضح له برهان ما لم يصح له من ذلك بعيان، فقال له أبو الريحان: أنت المنفرد اليوم بامتلاك الخافقين والمستحقين بالحقيقة اسم ملك الأرض، فأخلف بهذه المرتبة إيثار الاطلاع على مجاري الأمور، وتصاريف أحوال الليل والنهار ومقدارها في عامرها وغامرها، وصنف له عند ذلك كتاباً في اعتبار مقدار الليل والنهار بطريق تبعد عن مواصفات المنجمين وألقابهم،... وكذلك صنف كتابه في لوازم الحركتين بأمره،... وكتابه المترجم بالقانون المسعودي..."[1]، فأجازه السلطان مسعود بأموال كثيرة؛ فردّها بعذر الاستغناء عنها[2].

كما ازدادت منزلة البيروني في بلاط الأمير مودود بن مسعود (432-441هـ) فكتب باسمه كتابين مهمين، هما "كتابا الدستور" وكتاب "الجماهر في معرفة الجواهر"[3].

يعتبر مؤرخو العلم البيروني أعظم شخصية علمية ظهرت في القرن (الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاد)، فلم يخلُ علم لم يؤلف فيه، وأطلقوا على هذه الفترة "عصر البيروتي" وما تزال شخصيته العلمية آخذة في النمو، وأثبتت دراسته التي تضمنت الجديد وسبق فيها عصره أنه جدير بكل ما ناله من تقدير وإجلال؛ كان البيروني يفضل اللغة العربية على الفارسية، فلم يمنعه انتماءه إلى إيران من تقديره للغة العربية، وتفضيلها، على سائر اللغات، وفي ذلك يقول: "وإلى لسان العرب نُقلت العلوم في أقطار العالم، فازدانت وحلت إلى الأفئدة" ويقول "وأنا نفسي طبعت على لغة – يقصد الخوارزمية- لو خلد بها علم لاستغرب استغراب البعير على الميزاب، والرزفة في الأكواب، ثم نقلت إلى العربية والفارسية، وأنا في كل واحد دخيل ولها متكلف، والهجو بالعربية أحب إليّ

---

[1] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج17، ص184-185.

[2] المصدر نفسه، ج17، ص181.

[3] المصدر نفسه، ج17، ص185.

من المدح بالفارسية، وأسودّ وجهه، وزال الانتفاع به، إذ لا تصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأسماء الليلية"[1].

وقد أدرك العالم البيروني أنه لابد أن يقول كلمة العلم في حضارة الإنسان وثقافته، وأن يتعلم أكبر عدد من اللغات فتعلم لغات العلم لذلك الوقت، وأصبحت أدوات طيعة يستخدمها في الوقوف على مصادره مباشرةً[2]، حيث كان البيروني يحدد مصادره بدقة، ليس باعتماده على المصادر العربية أو من المترجمات إليها فقط، بل من المصادر الفارسية واليونانية والعربية والسنسكريتية والسريانية، كذلك لأنه كان يتقن تلك اللغات، كما يتقن العربية، وذكر في كتابه تحقيق ماللهند أن المداخل فيه أتعبته رغم حرصه في جمع كتبهم من مواطنها واستحضار من يهتدي لها من المكامن[3].

ولم يقصر البيروني همته في دراسة العلوم والتأليف فيها على الفلك والرياضيات والطب بل تناول الأدب والتقاويم والتاريخ، واختص في الفن الأخير بتدوين أخبار الأمم الشرقية عامةً والأمة الهندية بصفة خاصة[4]، وتتسم كتابات البيروني بالجدية ورصانة الأسلوب وهو بذلك أحدث تغييراً في منهج البحث التاريخي بحيث أولى له ما يحتاج من عناء شديد، ويقظة عقلية وحسن دقيق في مباشرة الماضي وسرد أحداثه والربط بينها ربطاً يجلو التاريخ ويبعثه حياً كما لو كنّا نعيشه، لم يَحِد البيروني أبداً من الشجاعة والأمانة والإخلاص وتحري الحقائق ولو عرض ذلك لأثار غضب كبراء عصره[1].

كان البيروني من أبرز علماء الفلك المسلمين، حيث أشار إلى دوران الأرض حول محورها، ووضع نظرية فريدة لاستخراج محيط الأرض، وكذلك حسب طول نصف قطر الأرض من قانون استنبطه بنفسه، ويعرف "قانون

---

[1] عبدالعزيز مصطفى بقوش، المرجع السابق، ص2، عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص380، أحمد أمين، المرجع السابق، ص298.

[2] علي الشابي، المرجع السابق، ص266.

[3] البيروني، تحقيق ماللهند، ص17.

[4] عبدالعزيز مصطفى نقوش، المرجع السابق، ص8.

[1] علي الشابي، المرجع السابق، ص323.

البيروني" وكتابه "الآثار الباقية عن القرون الخالية" فيه جداول مفصلة للأشهر الفارسية والهندية وغيرها، وفي كتاب المجسطي قدم اثنى عشر فصلاً موجزاً لعلم الفلك مع حساب التوقيت وحساب المثلثات والرياضيات والجغرافيا والتنجيم ويعتمد على أرجاء جديدة[1].

كما اشتهر البيروني في علم الفيزياء حيث استخدم التجارب لحساب الوزن النوعي أو الكثافة بالنسبة للماء، وتوصل بهذه الطريقة لحساب الوزن النوعي إلى معرفة وزن الأحجار الكريمة والعناصر، كما فسر البيروني ظواهر صعود مياه النافورات والعيون إلى أعلى، وتجمع المياه الجوفية في الآبار، وتحدث عن الضوء وقال بأن الأشعة تخرج من الجسم المرئي إلى العين[2].

ومن أهم مؤلفات البيروني العلمية:

1-كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية.

2-كتاب ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة.

3-كتاب استخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني منها.

4-كتاب راسنيكات الهند.

5-كتاب الجماهر في معرفة الجواهر.

6-الرسائل المتفرقة في الهند.

7-كتاب الصيدلة في الطب.

8-كتاب القانون المسعودي في الفلك والنجوم.

9-كتاب في استيعاب الوجوه الممكنة في صناعة الاصطرلاب.

10-رسالة في فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي.

11-مقالة في النسبد التي بين الفلزات والجواهر في الحجم (الوزن النوعي).

12-كتاب غزة الزيجات.

13-حكاية الآلة المسماة السدس الفخري.

---

(1) عصام الدين عبدالرؤوف، تاريخ الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص392-393، محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص100.

(2) عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص377.

14-كتاب تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن.

15-كتاب تمهيد المستقر في تحقيق معنى الممر.

16-كتاب في أفراد المقال في أمر الظلال.

17-كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم[1].

قام البيروني بترجمة اثنين وعشرين كتباً من السنسكريتية إلى العربية عند سفره إلى الهند؛ وذلك من خلال مصاحبته لغزوات السلاطين الغزنويين، منها:

1-جوامع الموجود لخواطر الهند في حساب التنجيم، يشرح فيه سدهانت برهما كويت العالم الرياضي الهندي.

2-قانن الأركند، وهو شرح لكتاب خاندا خاديكا لبرهما كويت.

3-خيال الخسوفين.

4-ترجمة كتاب باتانجالي في الخلاص من الارتباك.

5-ترجمة النظريات الرياضية لبرهما سدهانتا.

كما قام البيروتي بنقل المؤلفات الرياضية من التراث الإغريقي إلى اللغة السنسكريتية، وأهم هذه الكتب التي نقلها هي:

1-أصول إقليدس.

2-كتاب المجسطي لبطليموس.

3-كتاب عن صنعة الاسطرلاب[1].

كان البيروني مكباً على طلب العلم "لا يكاد يفارق يده القلم وعينه النظر، وقلبه الفكر إلا يومي النيروز والمهرجان من السنة لإعداد ما تمس إليه الحاجة في المعاش"[2]، لا يمل الاستزادة[*] ولا تزال كتب البيروني المرجع لكل من كتب عن

---

[1] أطهر المباركبوري، المرجع السابق، ص207-208، عصام الدين عبدالرؤوف، بلاد الهند في العصر الإسلامي، المرجع السابق، ص414-422، أحمد سعيد الدمرداش، البيروني، القاهرة، دار المعارف، سلسلة أعلام الإسلام، 1980، ص31، 32.

[1] أحمد سعيد الدمرداش، المرجع السابق، ص41-42، أحمد أمين، المرجع السابق، ج1، ص299.

[2] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج17، ص181.

[*] ووقف البيروني من الفتوح – في بلاد الهند- موقفاً عجيباً يشبه دور الجمعية العلمية الفرنسية في حملة نابليون على مصر، غير أن البيروني كان جمعية وحده، حيث عكف على الهند يدرسها من جميع نواحيها: جغرافيتها وعلومها ودينها، وجواهرها. أحمد أمين، المرجع السابق، ج1، ص299.

الهند شرقيين وغربيين، وكان البيروني ذرة في تاج الدولة الغزنوية كابن سينا في الدولة السامانية[1].

العلوم الدينية:

شارك علماء المشرق الإسلامي في دراسة علوم الدين وصنفوا في هذه العلوم الكتب القيمة، ومن أشهر العلوم التي انتشرت في أنحاء الدولة الغزنوية علوم القرآن منها علم التفسير وعلم الحديث وعلم القراءات وعلم التصوف.

أولاً: التفسير:

اهتم الغزنويون بعلماء التفسير، وكان لبعض ولاتهم اهتمام كبير بهذا العلم، فخلف بن أحمد أمير سجستان، وكان من أهل العلم والفضل[*]، جمع العلماء ففسروا القرآن الكريم وصنفوه، ولم يغادروا فيه حرفاً من أقوال المفسرين أو تأويل المتأولين، واتبعوا ذلك بوجوه القراءات وعلل النحو والصرف وعلامات التذكير والتأنيث وأثبت بما رواه الثقات من الحديث وأنفق عليهم مدة اشتغالهم بهذا العلم عشرين ألف دينار، ويقع هذا التفسير في مائة مجلد، وأودع نسخها بنيسابور في مدرسة الصابونية[2].

وقد مدح الشعراء أحمد بن خلف فيذكر لنا المؤرخ العتبي أبياتاً نظمها أبو الفضل الهمداني يقول فيها:

سماء الدجى ما هذه الحدق النجـلُ	أصدر الرجى حالٍ وجيد الضحى عُطل
لك الله من عــزم أجــوب جيوبــه	كأني في أجفان عــين الــردى كحــلُ
كأن السرى ساقٍ، كأن الكرى طلا	كأنا لها شــرب كــأن المنــى نقــلُ[1]

---

[1] أحمد أمين، المرجع السابق، ج1، ص296.

[*] أبو أحمد خلف بن أحمد بن خلف بن الليث بن فرقد السجزي، كان على قدر كبير من العبادة والعلم وكان عالماً، فاضلاً، محباً للعلماء، سلب مكله السلطان محمود الغزنوي في سنة 390هـ، هو آخر الأمراء الصفاريين توفى في بلاد الهند محبوساً. انظر القصة كاملة في العتبي، المصدر السابق، ص200-220، البيهقي، المصدر السابق، ص117، أطهر المباركبوري، المرجع السابق، ص393.

[2] العتبي، المصدر السابق، ص218.

[1] المصدر نفسه، ص220، عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص319.

وكان لخلف بن أحمد الذي كون فريق عمل لتفسير القرآن الكريم مكتبة كبيرة تضم فروع العلم، وجذب إليه الشعراء ومدحوه "بما سائر وذكره في الآفاق طائر".

اعتمد أهل المشرق الإسلامي على الفقهاء الأربعة في دراساتهم المستفيضة في علم الفقه، وانتشار المذهب الشافعي في بلاد المشرق، فصنف فقهاء المشرق كتباً في هذا المذهب، ومن أبرز شيوخ الشافعية في نيسابور، أبوبكر أحمد بن الحسن بن علي بن عبدالله بن موسى البيهقي رحل في طلب الحديث في الحجاز والعراق والجبال، وسمع من علماء خراسان وعلماء المشرق عموماً المعاصرين له.

وبلغت مصنفاته ألف جزء، وهو أول من جمع تصانيف الإمام الشافعي في عشر مجلدات ومن مؤلفاته "السنن الكبير" و"السنن الصغير" و"دلائل النبوة" و"السنن والآثار" و"شُعب الإيمان" و"مناقب الشافعي" و"مناقب أحمد بن حنبل"، وقد أخذ عنه الحديث جماعة من طلاب العلم، منهم زاهر الشحامي، ومحمد الغراوي وعبدالمنعم القُشَيري وغيرهم[1].

كان أحمد بن حسن البيهقي من أهل الزهد، وقيل "ما من شافعي المذهب إلا وللشافعي عليه منه إلا أحمد البيهقي فإنه له على الشافعي منه"[2].

ولد أحمد بن حسن البيهقي في شعبان سنة (384هـ/994م) وتوفي في العاشر من جماد الأول سنة (458هـ/1065م)، بنيسابور[1].

كما اشتهر من علماء التفسير أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ويقال له الثعالبي النيسابوري، المتوفى في سنة (427هـ/1035م)[2]،

---

[1] ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص75.
[2] المصدر نفسه، ج1، ص76.
[1] المصدر نفسه، ج1، ص76.
[2] المصدر نفسه، ج1، ص80، السبكي (تاج الدين)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود الطناحي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية (د.ن)، ج4، ص58.

صنف الثعلبي "التفسير الكبير" الذي فاق غيره من التفاسير وله "كتاب العرائس" في قصص الأنبياء[1].

كان للسلطان محمود دور كبير في ازدهار علوم الفقه، فقد "كان هو نفسه فقيهاً بارعاً"، فألف كتاب "تفريد الفروع" وهو كتاب يبحث في الفقه الحنفي الذي احتوى على نحو ستين ألف مسألة، كما شارك في المناظرات الدينية والأدبية التي نظمها العلماء في بلاطه[2]، وكان السلطان محمود يستدعي إلى بلاطه كل من له سعة في العلم[3]، ومن هؤلاء أبو صالح التباني[*]، والإمام أبو صادق ولما توفي الرجلان أرسل إلى نيسابور يسأل عمّن يليهما في فقه أبي حنيفة، وكان أبو صادق التباني آيةٌ في العلم.

علم الحديث:

اهتم السلاطين الغزنويون بعلم الحديث، فالسلطان محمود الغزنوي كان مولعاً بعلم الحديث ويستمع إلى علمائه، ويستفسر عمّا يتلونه عليه من أحاديث[4]، ومن علماء الحديث والتفسير الشيخ إسماعيل اللاهوري، وهو من دعاة الإسلام في أرض الهند، أسلم على يده الكثير من الهنود في مجلس وعظه وهو أول من جاء بالحديث والتفسير في لاهور توفى بها سنة (408هـ/1017م)[5].

ومن علوم القرآن التي انتشرت في أنحاء الدولة الغزنوية علم القراءات وهو علم يتصل بقراءة القرآن الكريم، ولقد كان للقراءات سبع طرق مُعينة تواتر نقلها أيضاً بأدائها واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة[1].

---

(1) ابن خلكان، ج1، ص79.

(2) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص38، محمد ناظم، المرجع السابق، ص219.

(3) أحمد محمد العدوي، المرجع السابق، ص145.

(*) أبو صالح التباني: هو خال والدة أبي صادق التباني، اشتغل إماماً على المذهب الحنفي في غزنة، انظر البيهقي، المصدر السابق، ص213.

(4) ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص180.

(5) أطهر المباركبوري، المرجع السابق، ص72.

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ص473.

أدى انتشار الإسلام في الأقطار الإسلامية إلى تباين في نطق بعض ألفاظ القرآن الكريم، مع عدم الإخلال بوحدة المعنى، ولكل قراءة سند خاص، لذلك فثبت صحة قراءاتهم، وزادت هذه القراءات إلى عشرة أو أكثر، ولكن بقيت القراءات السبع هي القراءات السليمة الصحيحة المعتمدة عن الفقهاء والقراء[1]، ومن أشهر الذين برزوا في علم القراءات محمد بن أحمد بن الهيثم أبوبكر الروذباري البلخي، قرأ بالرويات على أبي علي الأهوازي استوطن مدينة غزنة وأقرأ بها القراءات وكان بصير بالعلل، عالي الرواية وكان عالماً بالقراءات ألف كتاب جامع القراءات 469هـ، جمع فيه القراءات العشر، وغيرها وأتى فيه بفوائد كثيرة بالأسانيد المختلفة ألّفه باسم السلطان أبي المظفر إبراهيم بن مسعود بن السلطان محمود بن سبكتكين[2].

ومنهم خمّار تكين المُقرِئ الذي كان غلاماً لنوشتكين شحنة مدينة مرو، وقد رباه بنفسه وهو ناصح أمين جدير بأن يعتمد عليه، وبعد وفاة نوشتكين أمر السلطان محمود بالاحتفاظ بخمار تكين مقدماً على غلمان نوشتكين وأمر بأن تصرف لهُم النفقات والأرزاق[3].

ومحمد بن آدم الغزنوي: مُقوئ متصدر، قرأ على عمر بن زكريا السرخسي، وروى عنه القراءة محمد بن عبدالرحمن بن آلي المعالي[4].

ومنهم أيضاً الإمام أبو عبدالله الغزنوي الجاوندي المقرئ المفسر النحوي، وله تفسير حسن للقرآن وكتاب "علل القراءات" في عدة مجلدات وله كتاب "الوقف والابتداء" الكبير، وآخر صغير ويعد من كبار المحققين[1].

ومنهم الإمام محمد بن علي بن محمد بن حسن أبو عبدالله الخبازي، مُقرِئ نيسابور ومسندها ولد سنة (372هـ/982م)، صنّف التصانيف وتصدر للإقراء،

---

[1] عصام الدين عبدالرؤوف، تاريخ الفكر الإسلامي، المرجع السابق، ص201.

[2] الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: د. أحمد خان، د.ن، 1418هـ-1997م، ط ج2، ص679، ابن الجزري (محمد بن محمد بن علي)، غاية النهاية في طبقات القراء، ت833هـ، تحقيق ج. برجُستراسر، بيروت، دار الكتب العلمية، 2006م، ط1، ج2، ص82.

[3] البيهقي، المصدر السابق، ص559-560.

[4] ابن الجزري، المصدر السابق، ج2، ص41.

[1] الذهبي، المصدر السابق، ج2، ص837، ابن الجزري، المصدر السابق، ج2، ص139.

تخرج على يده أُلوف بنيسابور وغزنة – دخل غزنة أيام السلطان محمود الغزنوي فكان يكرمه غاية الإكرام–[1].

ومنهم أيضاً المُقرِئ الفقيه المفسر محمد بن يوسف بن علي أبو الفضل الغزنوي الحنفي، ولد سنة (522هـ/1128م)، قرأ الروايات على أبي محمد سبط الخياط وأبي الكرم الشهرزوري وقرأ عليه أبو الحسن السخاوي والكمال الضرير وأبو عمر بن الحاجب، توفي سنة (599هـ/1202م) في القاهرة[2].

ومنهم شيخ ضابط نزل غزنة منصور بن أحمد أبو نصر المُهُنذُرُي الهروي، روى القراءات عن أبي الحسين بن علي بن محمد الخبازي، وروى القراءات عنه أبو القاسم الهذلي[3].

التصوف:

علم التصوف "من العلوم الشرعية الحادثة في الملة"[4]، – هذا ما يقوله ابن خلدون– فالتصوف لم يكن علماً بل كان مجرد ممارسة علمية أي نوعاً خاصاً من السلوك الديني الهدف منه التقرب من الله بالإعراض عن الدنيا وشواغلها، ولكن لما دونت العلوم وانتظمت بمختلف المعارف الدينية وأنواع السلوك الديني صار التوصف "صناعة" أو "علماً" الهدف منه رسم الطريق الذي يؤدي بالإنسان إلى "المشاهدة" ومن هنا كان هذا "العلم" في الحقيقة "علم" علم وسلوك، لا علم معرفة لأن مهمته تنتهي عندما يبلغ السالك درجة المشاهدة[1].

وعند الحديث عن التصوف في الدولة الغزنوية يجدر بنا الإشارة إلى أن الأوضاع المذهبية والتقلبات التي تعرضت لها إبان حكم السلطان محمود كان لها دور في بروز الفكر الصوفي، كما كان لها دور في تقليصه فيما بعد، فقد كان السلطان محمود من أتباع مذهب أبي حنيفة غير أنه بعد فترة من ارتقائه العرش

---

[1] ابن الجزري، المصدر السابق، ج2، ص182.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص250.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص272.

[4] ابن خلدون، المقدمة، اعتنى به: هيثم جمعة هلال، بيروت، مؤسسة المعارف، 2007م، ط1، ص505.

[1] محمد عابد الجابر: نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م، ص341.

قد أظهر ميلاً إلى طائفة الكرامية التي يعزى إليها "تجسيم الله"[1]، ثم أخيراً تحوّل إلى المذهب الشافعي، وهذا التحول المتكرر في الاعتقاد فيما يخص التفاصيل الدينية تُظهر أنهُ قد تشرب بروح البحث والتساؤل في الدين[2].

الصوفية هي عبارة عن جماعات المتصوفين الذين يتبعون في عبادتهم ورياضاتهم ومجاهداتهم أسلوباً واحداً يضعهُ لهم شيخ من شيوخ التصوف ويتبعونه فيه وينسبون إليه[3]:

أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، الإمام الحافظ، أبو نُعَيْم الأصبهاني، الصوفي، الجامع بين الفقه والتَّصوُّف والحِفْظ والضَّبْط، وهو تاج المحدثين وأحد أعلام الدين، ولد في رجب سنة (336هـ/947م) بأصبهان، أجاز له من الشام خَيْثَمة بن سليمان ومن بغداد جعفر الخُلْدي، ومن واسط عبدالله بن عمر بن شَوْذَب، ومن نيسابور الأصمّ، وسمع في سنة (356هـ/966م) ببغداد أبا علي بن الصَّواف، وأبا بكر بن الهيثم الأنباري وغيرهم، وسمع بمكة أبا بكر الآجُري وبالبصرة فاروق بن عبدالكريم الخطابي، وبالكوفة أبا بكر عبدالله بن يحيى الطّلحي، وبنيسابور أبا أحمد الحاكم وحُسنك التمِيمي[4] وغيرهم، ورَوى عنه كثيرين منهم الحافظ أبو صالح المؤذن، والقاضي أبو علي الوحشي، وهبة الله بن محمد الشيرازي، وغيرهم، وهو معاصر لعهد السلطان محمود بن سبكتكين –أيام استيلاءه على أصبهان– وله العديد من المصنفات منها كتاب "معرفة الصاحبة"، و"دلائل النبوة" و"المُستخرج على مسلم" و"تاريخ أصبهان" و"صفة الجنة" و"فضائل الصاحبة" وصنف شيئاً كثيراً من المصنفات الصغار توفى في 20 من محرم سنة (430هـ/1038م) وله أربع وتسعون سنة[1].

---

[1] العتبي، المصدر نفسه، ص426.

[2] محمد ناظم، المرجع السابق، ص221.

[3] حسين مؤنس، الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2007م، ط2، ص4.

[4] السبكي، ج4، ص18-19.

[1] المصدر نفسه، ص20-22.

طائفة الكرامية – أصحاب أبو عبدالله محمد بن كرام– ومؤسس هذه الحركة في نيسابور هو الزاهد أبوبكر محمد بن إسحاق بن محمشاذ[1]، والذي كان كان والده من مشاهير الزهاد، كما أن أبابكر نفسه عرف بالزهد والتقشف منذ أيام سبكتكين، ولقد ظل محمود بعد أبيه يبدي له الكثير من الاحترام والإجلال ويؤثر طائفة الكرامية بعطفه ورعايته.

ويذكر المؤرخ أبو نصر العتبي في هذا الشأن أبياتاً لأبي الفتح البستي يشير فيها إلى ما حظيت به هذه الطائفة من احترام وإيثار على بقية الطوائف:

الفقه فقه أبي حنيفة وحـــده والدين دين محمد بن كـــرام

إن الذين أراهم لم يؤمنـــوا بمحمد بن كرام غير كرام[2]

كـــــــــــــــــــــرام[2]

إضافةً إلى قول الكرامية بالتجسيد عُرفت الكرامية بالمغالاة في التعصب، وكان أبوبكر اليد اليمنى للسلطان محمود في قمع الملحدين[3]، ويذكر العتبي أنهُ لما كان السلطان محمود الغزنوي ناحية الملتان قبض الترك عند غزوهم لنيسابور على أبي بكر، حيث بلغ بين أهل نيسابور درجة كبيرة اضطرهم للقبض عليه حماية لأنفسهم من شيعته واحتراساً من مكيدته وأخذوه معهم عند تراجعهم أمام جيوش محمود ولكنه تمكن من الإفلات من قبضتهم، الأمر الذي زاد نفوذ في دولة محمود، وانعقدت له رئاسة الصوفية، وأصبح صاحب النفوذ بنيسابور فاجتمع عليه الخاصة والعامة، ينظرون إليه "بعين المرجو والمخوف ووجدت خاصته سوقاً للأطماع بعلة الابتداع، فاستنزبنوا الناس"[1]، فلم يلبث قمعه الذي لا يعرف حدود الحرمة للملحدين ومصادرة أملاكهم، أن جر إلى كثير من التعسف والظلم، مما أثار عليه سخط الجميع فاضطر السلطان محمود الغزنوي إلى التخلص منه، فعقد رئاسة نيسابور لأبي علي الحسن بن محمد بن العباس، ولم يكن هذا الأخير من

---

(1) العتبي، المصدر السابق، ص391.

(2) المصدر نفسه، ص424.

(3) المصدر نفسه، ص391.

(1) المصدر نفسه، ص423-424.

رجال الدين، وقد قام بمجرد توليه المنصب الجديد باتخاذ إجراءات صارمة ضد الكرامية، فعوقب أبوبكر بمصادرة أملاكه واعتقل كبار أنصاره[1].

انتشرت الصوفية في أنحاء الدولة الغزنوية خاصةً في بلاد الهند حيث أثر الترك في الهنود والهنود في الترك، فقد وجد المتصوفون من الفرس والترك في بلاد الهند خير مسؤل يلجئون إليه من بلادهم المضطربة، ولقيت الصوفية ترحيباً من أهل الهند الذين يميلون إليها بطبيعتهم[2]، حيث التقت أفكار الصوفية والزهاد مع آراء الهنود الروحية مكونةً فكراً صوفياً إسلامياً، فالإسلام دين التوحيد، ويؤيد تحطيم الأصنام، ولكن المسلمين يقيمون الأضرحة للأولياء ويزورون مقابرهم، ولقيت هذه البدعة هوىً عند الهندوس، الأمر الذي أدى إلى تقارب ثقافي بين الفريقين[3].

ومن أبرز وأشهر العلماء والمتصوفة المحدثة الشيخ إسماعيل اللاهوري، الذي ظل يدعو الناس إلى الإسلام ويعلمهم شرائعه، وقد وفد عليه كثير من أهل الهند للاستماع إلى مواعظه وهدى الله على يديه الكثير من الهنود إلى دين الإسلام.

---

[1] العتبي، المصدر السابق، ص430-431.

[2] محمد عبدالعظيم أبونصر، المرجع السابق، ص229.

[3] عصام الدين عبدالرؤوف، بلاد الهند في العصر الإسلامي، المرجع السابق، ص448.

المؤسسات التعليمية في العصر الغزنوي

اكتسب الفن الإسلامي عناصر وأساليب زخرفية مستمدة من أواسط آسيا لم تكن معروفة في الفن العباسي والساساني من قبل، نتيجة اختلاط حضارات الفرس والعرب والترك.

فظهرت في هذه الحقبة الزخارف الهندسية وتطور زخرفة التوريق – الأربيسك– كما ظهر في هذه الحقبة طلاء الأواني الخزفية بالبريق المعدني، وقد عرف هذا الطراز العباسي في سامراء، ثم انتقال إلى مصر في عهد الطولونيين، وإيران في عهد البوبهيين، وخراسان وبلاد ما وراء النهر على يد السامانيين، وفي أفغانستان، والبنجاب على يد الغزنويين[1].

ظهر في أفغانستان في فترة حكم الغزنويين مدن ومبانٍ جديد الطراز، وتشكلت معالم المدرسة المعمارية المحلية، وازدهرت الزخرفة المعمارية كفن إسلامي، فكانت المدن تحيط بها الأسوار والأبراج، حيث تتمركز السلطة السياسية في ما يشبه القلعة، بينما تنمو عند تقاطع الطرق الرئيسية الأسواق والحرف والقوافل والحمامات، حيث يتوسط المدينة الجامع والمدرسة والحمام.

إن ما يهم موضوع الدراسة من ناحية الفن والعمارة في العهد الغزنوي المساجد والمدارس والمكتبات باعتبار البحث يتناول دراسة الحياة الثقافية في هذه الدولة.

أولاً: المساجد:

عندما تسلم السلطان محمود الغزنوي حكم الدولة الغزنوية القوية كان بوسعه التوسع على حساب الخلافة العباسية، غير أنه استولى السلطان محمود على جميع بلاد الفرس الممتدة من الخليج إلى نهر جيحون ثم أضاف إقليم البنجاب إلى دولته، وبعد أن وسع حدود دولته على هذه الصورة استغل ما لديه من أموال في إقامة العمائر الإسلامية، ولعل أهم ما شيده مسجد غزنة الذي كان يستخدم

[1] نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، القاهرة، دار المعارف، 2005م، ط6، ص98.

المسجد كمؤسسة تعليمية حال المساجد في ذلك العصور، وقد وصف لنا العتبي مسجد غزنة فقال: "لما عاد السلطان يمين الدولة إلى دار الملك بغزنة أحبّ أن ينفق ما أفاء الله عليه في عمل برٍّ يشيع جدواه، وكان قد أوعز باختطاط صعيد من ساحة غزنة للمسجد الجامع، إذ كان ما اختطّ قديماً على قدر أهلها، فوافق عوده حصول المراد من تقطيعه وتوسيعه، وإقامة الجدران على ترابيعه، فصبّ بدر المال على الصُنّاع، كما صبّ دماء الأبطال يوم القراع، ونصب لمشارفتهم أحد الزعماء بحضرته، ... ونقل إليه من أقطار الهند والسند جذوع توافقت قدوداً ورصانةً وتناسبت تدويراً وثخانة... وقد فرشت ساحتها بالمرر منقولاً من كل فج عميق، ومضرب سحيق... فأما الأصباغ فروضة الربيع ضاحكة الثغور تستوقف الأبصار، وتقيد النظّار، وأما التذهيب فهو صبات الذهب الأحمر أفرغت عن صور الأصنام المجذوذة، والبَدَدَة[*] المأخوذة، فطفقت تعرض على النار بعد أن كانت آلهة للكفار..." [1].

وقد أفرد السلطان لخاصته بيتاً في المسجد مشرفاً عليه، مكعب البناء فرشه وإزاره من الرخام وأحيط بكل رخامة مربعة مرحاب من الذهب الأحمر المكلل باللازورد، في تعاريج من ألوان المنثور والورد[2]، وعُرفَ هذا المسجد باسم "عروس الفلك"[3].

تميزت عمارة المساجد في العصر الغزنوي بطراز خاص متميز بالضخامة والمظهر القوي، حتى أنها أثرت في الدول التي تلتها مثل دولة السلاجقة الذين أثروا بدورهم في تطور فن العمارة[4].

---

[*] جمع بد وهو الصنم.

[1] العتبي، المصدر السابق، ص414-416.

[2] المصدر نفسه، ص417.

[3] سيد محوب الرضوي الديوبندي، المدرس في الهند، ترجمة وتعليق: محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري، مجلة الداعي الشهرية، الصادر عن دار العلوم ديوبند، جماد الأولى- جماد الثانية 1433هـ، أبريل – مايو 2012م، العدد: 5-6 السنة 36.

[4] أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه، دمشق 1986م، دار الفكر، ص397-400.

المدارس والمكتبات:

منذ قيام الدولة الإسلامية كانت المساجد تستخدم للتدريس والتعليم، وكانت الكتاتيب والمعاهد تقام في المساجد جنباً إلى جنبٍ وقلّما تجد بلداً إسلامياً إلا ويحتضن مسجده مدرسة وكتّاباً، واستمرت المدارس على هذه الحالة حتى نهاية القرن الرابع وبداية القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)، ويرجع أغلب المؤرخين(*) أن أول مدرسة شهدها التاريخ الإسلامي هي المدرسة النظامية التي أنشأها نظام الملك الطوسي (408-485هـ/1018-1092م) في بغداد سنة 457-459هـ/ 1066م)[1]، ولكن في حقيقة الأمر أن هناك مدارس سبقت إنشاء المدرسة النظامية في بغداد، فقد سبقت نيسبابور العاصمة بغداد والعواصم الأخرى في إنشاء المدارس الأولى في العالم الإسلامي، فقد كانت المدرسة البيهقية بينسابور قبل أن يولد نظام الملك الطوسي، والمدرسة السعدية بنيسابور كذلك، التي بناها الأمير نصر بن سبكتكين (ت412هـ/1021م) أخو السلطان محمود، عندما كان والياً بنيسابور، ومدرسة ثالثة بنيسابور، بناها أبو سعد علي بن إسماعيل بن المثنى الإسترابادي(**) الواعظ الصوفي، ومدرسة رابعة بنيسابور أيضاً بنيت للأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني، "وقد قال الحاكم، في ترجمة الأستاذ، "لمُ يُبْنَ بينسابور قبلها يعني مدرسة الأستاذ، مثلها" وهذا صريح في أنه بُنِيَ قبلها غيرُها"[2]، والمدرسة التي بناها أحمد بن محمد بن عُبيد الله على باب داره، ووقف عليها جملةً من ماله وتوفي سنة (429هـ/1037م)[3]، وخير دليل على تقدم مدارس نيسابور على المدارس النظامية في مدن مختلفة هو النظر في تواريخ بناء المدارس الموجودة في نيسابور وتواريخ وفيات المدرسين الذين درسوا فيها أو جلسوا بهذه المدارس للإملاء، أو بالنظر في تاريخ بناء نظامية نيسابور الذي

(*) هذا ما ذكره السبكي، المصدر السابق، ج4، ص314، غير أن بعض المصادر الذي بين أيدينا والمعاصرة للعهد الغزنوي، تذكر بعض المدارس التي كانت قائمة قبل تأسيس نظام الملك للمدرسة النظامية في بغداد.

(1) عبدالهادي محمد رضا محبوبة، المرجع السابق، ص368.

(**) الاسترابازي: قدم نيسابور وبنى بها مدرسة لأصحاب الشافعي، تنسب إليه وروى عن أبيه، وعن علي بن الحسن بن حيويه، مات في حدود سنة (440هـ/1048م)، السبكي، المصدر السابق، ص293-294.

(2) السبكي، المصدر السابق، ج4، ص314، العتبي: المرجع السابق، ص436.

(3) المصدر نفسه، ص80.

سكتت عنه المصادر، وهذه محاولة من د. عبدالهادي محمد رضا محبوبة لتقدير سنة إنشاءها، فيقول: "إذا عدنا إلى القول المتفق عليه بأن "الجويني" بقى مدرساً فيها قريباً من ثلاثين سنة غير منازع ولا مدافع، مع علمنا أنه قد توفى سنة (478هـ/1085م) يكون عام افتتاحها ما بين سنة (448-449هـ/1056-1057م)، وهذا ما لا يمكن أن يصحّ لأن النظام لم يكن وزيراً بعد"[1].

والجدير بالذكر أن بعض هذه المدارس التي سبق ذكرها كانت تتخذ من المساجد مقراً لها، ومن هذه المدارس:

1-مدرسة باب بستان التي درّس فيها أبو صالح التباني (ت400هـ/1009م) بأمر من محمود بن سبكتكين عام (385هـ/995م) بعد أن كان قد اشتغل إماماً على مذهب أبي حنيفة في غزنة تخرج على يده وأخذ العلم عنه قاضي القضاة أبو سليمان داود بن يونس، وهي مدرسة خاصة بالحنفية[2].
2-المدرسة السعيدية: التي بناها الأمير العالم أبي المظفر نصر بن سبكتكين الذي كان على المذهب الحنفي "فأمر بمدرسة بنيسابور في جوار القاضي صاعد بن محمد، وأنفق مالاً حتى ابتناها، وحبس حبائس على من أواها، ودارس بأمالي العلم في ذراها، فبقيت تذكرة عنه تُغذى بالعلم وتُراح ويثني عليه"[3].
3-مدرسة الصابوني: التي درس فيها أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد الصابوني[4]، (ت449هـ/1057م)، الفقيه، المُحدّث المفسر الخطيب، الواعظ المُلقب بشيخ الإسلام، وكان يحضر مجلس تذكيره الأئمة الكبار،

---

[1] عبدالهادي محبوبة، المرجع السابق، ص379.
[2] البيهقي، المصدر السابق، ص213.
[3] العتبي، المصدر السابق، ص436-437، السبكي، المصدر السابق، الكبرى، ج4، ص314.
[4] العتبي، المصدر السابق، ص218، السبكي، المصدر السابق، ج4، ص290-291.

أبو الطيب سهل الصعلوكي[*] والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني والإمام أبوبكر بن فورك[**]... وغيرهم[1].

4-مدرسة المسجد الجامع بغزنة "مدرسة فيحاء"[2]، تُعد هذه المدرسة من أشهر مدارس مدينة غزنة عاصمة الغزنويين، تم تشييدها بجوار جامع غزنة في سنة (410هـ/1019م)[3]، في عهد السلطان محمود الغزنوي، وتضم هذه المدرسة مكتبة زاخرة بما عزّ ونذَرَ من الكتب القيّمة، حيث يصف العتبي تلك المكتبة فيقول: "تشتمل بيوتها من بساط الأرض إلى مناط السقوف على تصانيف الأئمة الماضين من علوم الأولين والآخرين، منقولةً من خزائن الملوك... وربائع الآفاق... يرتادها فقهاء دار الملك وعلماؤها للتدريس والنظر في علوم الدين..."، وأوقف عليها الأموال وقدر الأجور والمرتبات لأساتذتها وطلبتها ولم يتأخر الوجهاء والأعيان في الاقتداء بالسلطان فتنافسوا في إظهار روعة مبانيهم الخاصة بهم، وكذلك الحال بالنسبة إلى المباني العامة[4].

ومع أننا نعلم أن كثيراً من المدارس قد بنيت زمن الغزنويين، فإن شيئاً من ذلك لا أثر له الآن، فليس من اليسير تكوين فكرة عن عمارة المدارس في ذلك الوقت[5].

(*) أبو سهل محمد بن سليمان بن هارون بن موسى بن عيسى بن إبراهيم بن بشر الحنفي الصحيلي المعروف بالصحلوكي الأصبهاني أصلاً ومولداً، النيسابوري داراً، وهو الفقيه الشافعي المفسر المتكلم الأديب النحوي الشاعر العروض الكاتب ولد في سنة 296هـ، وتوفي في آخر سنة (369هـ/979م) بنيسابور، ودفن في المسجد الذي كان يدرس فيه. ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص204.

(**) محمد بن الحسن بن فورك، الأستاذ أبوبكر، الأنصاري، الأصبهاني، لا يُجارى فقهاً وأصولاً وكلاماً، ووعظاً، ونحواً، أقام في العراق ثم التمس من الأمير ناصر الدولة، أبي الحسن محمد بن إبراهيم الأذن ليتوجه إلى نيسابور، فحدث بها ودُعي إلى مدينة غزنة وجرت له بها مناظرات، حيث تعرض لاتهامات من طائفة الكرامية، في عهد السلطان محمود بن سبكتكين، ولما عاد منها سُمَّ في الطريق، فتوفي سنة (406هـ/1015م)، ونقل إلى نيسابور ودفن بالحِيرَة. ابن خلكان المصدر السابق، ج4، ص610، السبكي، المصدر السابق، ج4، ص127-131.

(1) السبكي، المصدر نفسه، ج4، ص271-292.

(2) العتبي، المصدر السابق، ص417.

(3) سيد محبوب الرضوي، المرجع السابق.

(4) العتبي، المصدر السابق، ص417-418، محمد ناظم، المرجع السابق، ص227.

(5) عوض راشد عوض الجويسري، الغزنويون ودورهم في التطور الحضاري بالهند، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2004-2005م، ص205.

أما بالنسبة للمكتبات في القرنين (الرابع والخامس الهجري/العاشر والحادي عشر الميلادي)، فقد كان لها دور كبير في نشر الثقافة الإسلامية وتوطيد الصلات بين المسلمين وتبديد دياجير الجهل التي رانت على عقول الناس، فالمكتبات العامة المليئة بذخائر التراث الإسلامي والإنساني كانت تنتشر في كل مكان من العالم الإسلامي الواسع، فلا يخلو مسجد أو مدرسة من مكتبة عامرة، منها مكتبة مدرسة فيحاء[*]، ومكتبة مدرسة الصابوني التي كانت تبعث لها المصنفات ليتم الاحتفاظ بنسخة منها في المكتبة للاطلاع عليها.

واهتم العلماء بالكتب، مثل القاضي محمد بن حبّان البستي شيخ خراسان في عصره (ت 354هـ/965م) في مدينة نيسابور، حيث بنى داراً للعلم وخزانة كتب، ومساكن للغرباء الذين يطلبون العلم أجرى لهم الأرزاق ولم تكن الكتب تعار خارج الخزانة[1].

الدور الثقافي للمرأة في المجتمع الغزنوي:

رفع الإسلام من مكانة المرأة، ونقلها من ذلك الجاهلية والعبودية التي كانت ترزخ تحت نيرها إلى حياة نعمت فيها بالعزة والكرامة، وساوى الإسلام بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات، فالناظر في وضع المرأة بعد الإسلام لا يجد صعوبةً في استنتاج ما وصلت إليه من مكانة سامية في ظل الإسلام الذي بنيت على أساسه حضارة المجتمع الإسلامي.

إن المجتمع الغزنوي كغيره من المجتمعات الإسلامية الأخرى حيث تمتعت فيه المرأة بقسط وافر من الحرية، فشاركت الرجل في العمل والتعلم، واستطاع بعضهن التدخل في الشؤون السياسية للدولة، فكان يوجد في المجتمع الغزنوي المرأة المتعلمة التي ساهمت بثقافتها في تعليم النشئ شتى أنواع العلوم والأدب، فعندما عهد السلطان محمود بتعليم أولاده – الأمير محمد والأمير مسعود وأخيه

(*) تم ذكرها ووصفها حسب ما وصفها المؤرخ العتبي في أثناء تناول مدرسة فيحاء، ص417.

(1) السبكي، المصدر السابق، ج4، ص80.

الأمير يوسف– إلى الكاتب عبدالغفار كان لهذا الكاتب جدة ذات ثقافة عالية وعلى قدر كبير من الورع والتقوى، وتحسن القراءة والكتابة، وتحفظ القرآن وتفسيره وكان الأمراء يجتمعون بهاء دائماً لتقص عليهم السير والأخبار والحكايات المسلية[1]، كذلك كانت زوجة جد يايتكين حاكم ناحية داور، وهي عجوز تقية صالحة، كان لها مكانة خاصة لدى الأمير مسعود، فقد كان يحترمها احترامه للسيدة الوالدة، فاعتاد الأمير مسعود الاستماع إلى القصص والحكايات والأخبار، وكان لهذه المرأة دور في تشجيع الأمير على تحقيق أحلامه وطموحاته مادام مجتهداً ومثابراً لتحقيق الهدف.

كما شاركت المرأة الغزنوية سائر طبقات المجتمع مناسباته وأفراحه سواءً في خراسان أو غزنة، فكُن يشاركن في المواكب والاحتفالات الشعبية مثلهن مثل الرجال، يروي البيهقي عن حفل استقبال الرعية للسلطان مسعود عند عودته من بلاد الري وأصفهان إلى غزنة فيقول إن السلطان مسعود حين دخل حاضرة ملكه في موكب عظيم حافل خرج أهل المدينة رجالاً ونساءً وأطفالاً لاستقباله في حماس وسرور هذا بالنسبة للعامة، أما حرائر النساء في القصر السلطاني وعلى رأسهم الحرة الختلية، أعدوا الكثير من أنواع المأكل اللذيذة لاستقبال السلطان، مما بعث في نفسه السرور "ولم يأذن في عصر ذلك اليوم لأحد وخص ليلته لاستقبال حرائر النساء والسراري السلطانية اللائي حضرن لرؤيته"[2]، ولعل ذلك يدل على مدى تقدير السلطان للمرأة والإعلاء من شأنها وذلك بتخصيص الوقت الكافي لها.

كما تميزت المرأة الغزنوية بظهورها في أبهى إطلالة في حفلات الزواج، ففي حفل زواج السلطان مسعود من ابنة كاليجار حيث خرجن الأميرات وزوجات كبار رجال الدولة لحضور الحفل وهن يلبسن أحلى الثياب وتزين بالذهب والماس[3].

---

[1] البيهقي، المصدر السابق، ص115-117.

[2] المصدر نفسه، ص279-280.

[3] المصدر نفسه، ص418.

احتفظت المرأة في العصر الغزنوي بتدينها وعفافها مما أدى إلى انتشار الحجاب بين النساء في المجتمع الغزنوي بما في ذلك المجتمع الهندي[1].

كما شغلت بعض النساء وظائف رئيسية في البلاط الغزنوي فكانت ستى زرين مقرّبة للسلطان مسعود الغزنوي وبلغت منصب الحجابة في قصر السلطان وقد عهد إليها بتبليغ رسائله إلى نساء القصر[2].

وبرز في العصر الغزنوي نساء أثَّرن بإصرارهن وشجاعتهن على الأوضاع السياسية في العصر الغزنوي مثل أم الوزير حسنك، فقد كان ابنها وزيراً للسلطان محمود وأحد أكبر رجال الدولة في عهده، غير أنه في عهد السلطان مسعود وجهت له عدة اتهامات وبغض النظر عن صحتها أو خطئها، فإنه تعرض لعقوبة بشعة، حيث تم شنقه وقطعوا رأسه وظلت جثته معلقة بالمشنقة، وكانت أم حسنك امرأة ثابتة الجنان، فلما سمعت بخبر ابنها لم تجزع كعادة النساء، بل راحت تكشف للناس عن سوء نوايا المدبرين لقتل ابنها الوزير من أمراء وقادة وما يضمرون من سوء النوايا للدولة، وكانت ترثي ابنها فتقول: "يا لولدي من رجل عظيم، يمنحه ملك كالسلطان محمود عالم الدنيا فيمنحه ملك آخر كالسلطان مسعود عالم الآخرة"[3].

فكان لتلك الكلمات بالغ الأثر على قلوب الناس، واستطاعت أن تقيم لابنها مأتماً عظيماً، وشجع موقف هذه المرأة بعض الشعراء على نظم شعر الرثاء للوزير حسنك، حيث يقول أحدهم – شاعر من نيسابور– اقطعوا رأسه لأنه كان رأس الرؤوس وقد كان زينة الدهر وتاج الملك فإذا كان قرمطياً أو يهودياً أو كافراً فقد كان صعوده من التخت إلى المشنقة عملاً منكراً[4].

---

[1] محمد عبدالعظيم أبو النصر، المرجع السابق، ص229.

[2] البيهقي، المصدر السابق، ص420.

[3] المصدر نفسه، ص201.

[4] المصدر نفسه، ص202.

الخاتمة:

من خلال الدراسة، في الختام نستنتج التالي:

- نشأت الدولة الغزنوية تحت راية الدولة السامانية ولم تنفصل عنها إلا عندما دب الضعف في أركانها، فما كان من قادة الغزنويين إلا الاستيلاء على معظم أملاكها وتقديم فروض الولاء والطاعة للخلافة العباسية، كما فعل السامانيين من قبلهم، فظلت الدولة الغزنوية تتبع الخلافة العباسية في بغداد تبعية اسمية ولم تنفصل عنها مقابل إضفاء شرعية لحكمهم والحصول على الألقاب المشرفة لسلاطينها.
- سميت الدولة الغزنوية بهذا الاسم نسبةً إلى مدينة غزنة حاضرة الدولة، واتسعت في العديد من الأقاليم في المنطقة المحيط بها، ولم تكتف بذلك بل مدت نفوذها على بلاد الهند وذلك إثر العديد من الحملات الجهادية لنشر دين الإسلام ورفع رايته.
- تولى الحكم في الدولة الغزنوية العديد من الحكام، فمرّت في الفترة الأولى بعهد الأمراء وهي مر حلة بداية التأسيس، ثم عهد السلاطين.
- إن ظهور الدولة الغزنوية يمثل أول انتصار كبير للعنصر التركي في صراعه مع العنصر الفارسي على سيادة العالم الإسلامي الشرقي على الخصوص.
- اهتم حكام الدولة الغزنوية بالعلم والعلماء مما جعل غزنة من أكبر المراكز الحضارية في المشرق الإسلامي.
- عاش في المجتمع الغزنوي العديد من الأجناس المختلفة في انسجام نتج عنه مثلاً، تأثر المجتمع الهندي بعادات الأتراك الغزنويين وتقاليدهم، فشاعت الأزياء الإسلامية واحتفل الناس بأعياد المسلمين ومواسمهم، كما استفاد المجتمع الهندي من انتشار الإسلام فيما بينهم في التقليص من النظام الطبقي المنتشر في المجتمع الهندي، فقد أعلن الأتراك المسلمون الحرب على الطبقية الجامدة وتحرر الكثيرون من أفراد الطبقة المنبوذة.

- أدى اختلاط الهنود بالمسلمين الوافدين إلى اختلاط دماؤهم، فنتج عن ذلك ظهور جيل المولدين الذي لعب دوراً بارزاً في الحياة الاجتماعية وإن كانوا قد احتفظوا ببقية من تقاليد الهند القديمة.
- انتشر الإسلام بين الهنود عن طريق الفقهاء الوعاظ والعلماء والمتصوفة ورحلاتهم، ولما كان الغزنويون من أهل السنة المتشددين، فقد اعتنق الهنود الإسلام على المذهب السني.
- عرف أهل الهند اللغة الفارسية عن الغزنويين، حيث نمت هذه اللغة وازدهرت في بلاط الأمير سبكتكين في غزنة، وأدى اختلاط اللغة الفارسية بالتركية والهندية والعربية إلى ظهور لغة جديدة هي اللغة الأوردية.
- بلغت الدولة الغزنوية مكانة مرموقة في العلم والثقافة وبرز فيها العلماء والشعراء لم يجود الزمان بأمثالهم، واهتم سلاطينها ببناء المساجد والمدارس لنشر العلم وتسهيل الحصول عليه لطلبته، بتنظيم المكتبات وتخصيص المساكن الداخلية للطلبة، فقد عدت المدارس في العصر الغزنوي سابقة في التاريخ – أي أنها سبقت ظهور المدارس النظامية المنسوبة لوزير الدولة السلجوقية نظام الملك الطوسي-.
- تجمعت عدة عوامل أدت إلى ضعف هذه الدولة وانهيارها في آخر الأمر ومن أبرز هذه العوامل، المحاولات المتكررة التي بذلها ولاة الأقاليم للاستقلال بولاياتهم، هذا علاوةً على الصراع بين الأمراء الغزنويين أنفسهم من أجل الوصول إلى السلطة والنفوذ، بالإضافة إلى ظهور الأتراك السلاجقة وارتفاع شأنهم، وازدياد قوتهم وسعيهم إلى توسيع ممتلكاتهم على حساب الدولة الغزنوية، كما أن الغور خرجوا من عزلتهم الجبلية وعملوا على مد نفوذهم فيما وراء حصونهم وكان خير ميدان لتنفيذ سياستهم هو أرض الدولة الغزنوية التي أخذت في الضعف والانحلال.

المصـــــادر:

- القرآن الكريم على رواية حفص بن عاصم.

أولا: المصادر العربية

1- ابن الأثير(عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد / ت. 630 هـ/ 1232م) الكامل في التاريخ، راجعه وقدم له د. سمير شمس، بيروت، دار صادر، 1429هـ/ 2009م.

2- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد اللوتي الطنجي ت. 779هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، بيروت دار الكتب العلمية، 2007م.

3- ابن الجزري(محمد بن محمد بن علي ت 833هـ/1429م) غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق.ج برجُستراسر، بيروت، دار الكتب العلمية 2006م.

4- ابن الجوزى (أبي الفرج عبد الرحمن ت 597هـ /1200م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ط حيدر أباد 1358هـ/ 1939م.

5- ابن حوقل: (أبو القاسم محمد النصيبي توفي أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، صورة الأرض، القاهرة، دار الكتب الإسلامية،(د.ت).

6- ابن خلدون (عبد الرحمن محمد بن خلدون ت 808 هـ/ 1405م) تاريخ ابن خلدون، بيروت، مؤسسة الأعلمى،1391هـ/1971م.

7- ـــــــــ، مقدمة ابن خلدون/ اعتنى به هيثم جمعة هلال، بيروت، مؤسسة المعارف، 2007م.

8- ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر. ت 681هـــ/ 1282م وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر 2009م.

9- ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، ت774هـــ/ 1372م) البداية والنهاية، تحقيق: محمد بن سامح عمر القاهرة،دار بن الجوزي،1431هـ/ 2010م.

10- الاصطخري (أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، ت346هـ/957م) أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم، القاهرة، مكتبة مدبولي 1977م.
11- البيروني (أبو ريحان بن أحمد/ ت 440هـ/ 1048م) تحقيق ما للهند من ما قوله مقبولة في العقل أو مردولة. بيروت،عالم الكتب، 2011م.
12- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك، ت 429هـ/1037م) يتيمة الدهر في محاسن العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ/1983م.
13- الحُسيني (أبي الحسن علي بن أبي الفوارس ناصر بن علي) أخبار الدولة السلجوقية 575هـ/ 1180م، اعتنى بتصحيحيه: محمد إقبال، بيروت، دار الآفاق الجديد، (د. ت).
14- الحموي (ياقوت أبو عبد الله بن عبد الله الرومي. ت 626 هـ/1228م)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1993م.
15- ———— معجم الأدباء، بيروت، دار الفكر، 1990م.
16- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان)، ت 748هـ، طبقات القراء، تحقيق: أحمد خان، (د.ن)، 1418هـ-1997م.
17- السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي، ت 771 هـ/1369م) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمد الحلو، ومحمد الطناحي القاهرة، دار أحياء الكتب العربية، د.ت.
18- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين)، ت 911 هـ/ 1505م، تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الله، القاهرة 1351هـ/ 1932م.
19- الطبري (محمد بن جرير)، ت 310هـ/922م، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة دار الفكر، 1979 م.
20- العتبي (أبي نصر محمد بن عبد الجبار)، ت482هـ/1089م، اليميني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود العزنوي، تحقيق إحسان ذنون الثامري، بيروت، دار الطليعة 1424هـ/ 2004م.

21- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن)، ت346هـ/957م، مروج الذهب، تحقيق: محمد مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية،1986 م.

22- المقدسي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد، ت 388هـ/ 1405م) أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم، القاهرة، مكتبة مدبولي 1977م).

23- اليافعي (عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ت 768هـ/1366م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليلي منصور، بيروت، دار الكتب العلمية 1997م.

ثانيا: المصادر المترجمة

1- البيهقي (أبو الفضل محمد بن حسين، ت 470هـ/1077م)، تاريخ البيهقي: ترجمة: يحي الخشاب، وصادق نشأت بيروت، دار النهضة العربية، 1982م.

2- السمرقندي (نظام الدين العروض، ت نحو 560هـ/1164م)، جهار مقالة، ترجمة: يحيى الخشاب، عبدالوهاب عزام، القاهرة، (د.ن)، 1945م.

3- الطوسي (نظام الملك أبي علي حسن بن علي، ت 485 هـ/ 1092م)، سياسة نامة: ترجمة وتعليق: السيد محمد العزاوي، القاهرة د.ن 1975م.

4- الكرديزي (أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك. ت 442هـ/1050م)، زين الأخبار، ترجمة: عفاف السيد زيدان، القاهرة، د.ن، 1982 م.

5- ميرخزند (محمد بن خاوند شاه، ت 903هـ/ 1497م)، روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، ترجمة: عبد القادر الشاذلي،القاهرة، دار الكتب المصرية، 1981م.

6- النرشخي (أبوبكر محمد 348هـ/959م)، تاريخ بخارى، ترجمة: أمين عبد المجيد، نصرالله الطرازوي، القاهرة، دار المعارف،1865م.

المراجــــــع:

أولا: المراجع العربية

1- إبراهيم عبد المنعم سلامة، الدول الإسلامية المشرقية المستقلة عن الخلافة العباسية، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، 2005م.

2- أحمد أمين، ظهر الإسلام، القاهرة، نوابغ الفكر، 2009 م.

3- أحمد الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، القاهرة، مطبعة الآداب،1957 م.

4- أحمد سعيد الدمرداش، البيروني، سلسلة إعلام الإسلام، القاهرة دار المعارف، 1980م.

5- أحمد عدوان، موجز في تاريخ، دويلات المشرق الإسلامي، الرياض،دار عالم الكتب، 1990م.

6- أطهر المباركفوري، رجال السند والهند، القاهرة، دار الأنصار، 1978م.

7- أمير عبدالعزيز، الوجيز في تاريخ الإسلام والمسلمين، بيروت، دار ابن حزم 2003م.

8- أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه، دمشق، دار الفكر، 1986م.

9- بدر عبد الرحمن، الدولة العباسية، القاهرة، مكتبة الانجلو: 1995م.

10- ـــــــــــ، رسوم الغزنوي ونظمهم الاجتماعية، القاهرة، مكتبة الأنجلو، 1987م.

11-حافظ أحمد، الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، القاهرة، دار الفكر العربي، 2000م.

12-حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، القاهرة، (د.ن)، 1939م.

13- ـــــــــــــ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1965م.

14-حسن أحمد محمود، الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972م.

15-حسن عبد اللطيف، الخليفة القادر بالله العباسي وسياسته الداخلية والخارجية، القاهرة، نوابغ الفكر، 2008م.
16-حسين مؤنس، الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية،2007 م.
17-حمدي عبد المنعم حسين، دراسات في تاريخ الدول الإسلامية، الإسكندرية، دار المعارف الجامعية، 1999م.
18-السباعي محمد، النثر الفارسي من النشأة حتى نهاية العصر القاجاري، القاهرة، دار الثقافة، 1987م.
19-السيد أحمد بن ريني، الفتوحات الإسلامية، مضي الفتوحات النبوية، القاهرة، مطبعة المدني، 1968م.
20-سيف الدين الكاتب، أطلس تاريخ العرب والعالم،دمشق،بيروت، دار الشرق العربي، 2012م.
21- شوقي أبو خليل، أطلس دول العالم الإسلامي، دمشق، دار الفكر،2010م.
22-شيرين عبد المنعم، مسلمو تركستان والغزو الروسي من خلال التاريخ والأدب، مؤسسة دار التعاون،1985م.
23- صلاح العبيدي، الملابس العربية والإسلامية في العصر العباسي،بغداد،دار الرشيد، 1980م.
24-طه ندا، فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية،بيروت، دار النهضة العربية، 1975م.
25-عبد الرحمن بن محمد الجابري، نحن والتراث، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،2006م.
26-عبد الكريم غريبة، العرب والأتراك، دمشق، مطبعة جامعة دمشق،1961م.
27-عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، القاهرة، دار العهد الجديد، 1959م.
28-عبد الهادي محمد رضا، نظام الملك الطوسي، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1999م.

29-عصام الدين عبد الرءوف، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، القاهرة دار الفكر العربي، 1999م.
30-________ دراسة في تاريخ الدولة العباسية، القاهرة، دار الفكر العربي،2004م.
31-________ الحواضر الإسلامية الكبرى، القاهرة،دار الفكر العربي، 1975م.
32-________ بلاد الهند في العصر الإسلامي، القاهرة،دار الفكر العربي،2005م.
33-________ تاريخ الإسلام في جنوب آسيا،القاهرة،دار الفكر العربي،1975م.
34-________ تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا، القاهرة، دار الفكر العربي، 1975م.
35-محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق، القاهرة، دار الفكر العربي (د.ت).
36-محمد سعد السيد، الحياة الفكرية في إقليم خراسان في العصر السلجوقي، القاهرة، نوابغ الفكر،2009م.
37-محمد عبد العظيم أبو النصر، تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب، القاهرة، نوابغ الفكر، 2009م.
38-محمد علي، الدويلات الإسلامية في المشرق،القاهرة، عالم الكتب،1987م.
39-محمد مرسي، أبو الفتح البستي، حياته وشعره، بيروت، (د.ن) 1980م.
40-محمد نصر مهنا، الفتوحات الإسلامية والعلاقات السياسية في آسيا، الإسكندرية، دار المعارف،1990م.
41-محمود سعيد عمران، معالم التاريخ الإسلامي الوسيط، بيروت، دار النهضة العربية، 1998م.
42-مصطفى الشكعة، معالم الحضارة الإسلامية، بيروت، دار العلم للملايين، 1987م.
43- نعمت إسماعيل، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، القاهرة، دار المعارف، 2005م.

ثانيا: المراجع المعربة

1-آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،ترجمة: محمد أبوريده، بيروت، دار الكتاب العربي،1967 م.

2-ادوارد براون، تاريخ الأدب في إيران، ترجمة: إبراهيم الشواربي، القاهرة، 1954 م.

3-بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة: حمزة طاهر، القاهرة،1966م.

4-———— تاريخ الترك في آسيا الوسطى،ترجمة:أحمد الصيد، القاهرة،1958م.

5-———— تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة: صلاح الدين هاشم، الكويت،1981م.

6-جوستاف لوبون، حضارة الهند، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، مكتبة الأسرة، 2000م.

7-———— حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، مكتبة الأسرة، 2000م.

8- عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة: محمد علاء الدين، القاهرة، دار الثقافة، 1989م.

9- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: بثينة أمين، منير البعلبكي، بيروت، دار العلم، 1988م.

10-————، الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها، ترجمة: بثينة أمين، منير البعلبكي، بيروت، دار العلم، 1949م.

11-كلود كاهن، الإسلام منذ نشأته حتى ظهور السلطنة العثمانية، ترجمة: حسين جواد، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010م.

12-كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، بغداد، المجمع العلمي العراقي، (د.ت).

13-لوثروب ستيوارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويهض، القاهرة، مطبعة عيسى البابي، 1933م.

14-محمد ناظم، السلطان محمود الغزنوي، حياته وعصره، ترجمة: عبد الله سالم، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2007م.

15-موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول، ترجمة: إسماعيل العربي، الرباط، دار الآفاق الجديدة، 1990م.

الرسائل العلمية:

1- السيد سعيد مبروك الصيحي، السياسة الداخلية والخارجية للدولة الغزنوية، جامعة المنوفية، كلية الآداب، قسم التاريخ، رسالة دكتورة غير منشورة، (د.ت).

2-عوض راشد عوض الجويسري، الغزنويون ودورهم في التطور الحضاري بالهند في الفترة من 389- 582هـ/ 999-1186م، جامعة القاهرة.كلية الآداب، 2004/ 2005م، قسم التاريخ، رسالة دكتوراه غير منشورة.

المجلات العلمية المحكمة والمؤتمرات:

1-السيدة محبوبة الرضوي الديوبندي، المدارس في الهند، ترجمة وتعليق: محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، جمادي الأولى- جمادي الثانية 1433 هـ -أبريل – مايو 2012م، العدد 5 -6، السنة، 36.

2- عائدة قاسموفا شهدار، نهضة الإسلام والظروف المواكبة لها دراسة فكرية وتاريخية مجلة ابن رشد، هولندا، يوليو 2011م، العدد الثالث.

3-عبدالعزيز مصطفى بقوش، من علماء ما وراء النهر "أبو الريحان البيروني" أضواء على حياته وكتابه، تحقيق ما للهند والجماهير، مؤتمر المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، (د.ت).